

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمُنْتَجِبُ

مِنْ نَفْسِ الْقُرْآنِ

وَالْكِتَابِ الْمُسْتَشْرِفَةِ مِنْ كِتَابِ التَّبَيَّاتِ

لِلْمُؤَلِّفَةِ

عَلِيَّةُ كَامِلَةُ بَنَاتِ الْعَرَبِ وَبَنَاتِ الْعَرَبِ وَبَنَاتِ الْعَرَبِ وَبَنَاتِ الْعَرَبِ

الطبعة سنة ١٤١٨ هـ

تَحْقِيقُ وَتَرْجُومُ

عَلِيَّةُ كَامِلَةُ بَنَاتِ الْعَرَبِ وَبَنَاتِ الْعَرَبِ وَبَنَاتِ الْعَرَبِ وَبَنَاتِ الْعَرَبِ

الطبعة الثالثة

بِكِتَابَةِ الْبَنَاتِ الْعَرَبِ وَبَنَاتِ الْعَرَبِ وَبَنَاتِ الْعَرَبِ وَبَنَاتِ الْعَرَبِ

مَوْسُو عَتْرَتَيْنِ اِحْسَانُ الْجَلِي ٥



المنتخب

من نفس القرآن

وَالنُّكْتُ الْمُسْتَخْرَجَةُ مِنْ كِتَابِ التَّبْيَانِ

لِمَوْلَاهُ

السَّيِّدُ الْكَلْبَلِيُّ عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَوَّلِ الْأَوَّلِينَ عَجَلَىٰ حَيْلِي ۝

المترقى سنة ٥٩٨ هـ

تَحْقِيقُ وَتَقْدِيمُ

سید محمد محمدی سید مسعود سیدی در زمان

المجموعة الثالث

▼
موسوعة ابن إدريس الحلّي ٥

المنتخب من تفسير القرآن و النكت المستخرجة من كتاب التبيان الجزء الثالث

لؤلفه: الشيخ الجليل أبي عبدالله محمد بن أحمد بن إدريس المجلّي الحلّي ع

تحقيق و تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخراساني

منشورات: دليل ما

اعداد: مكتبة الروضة الحيدرية

الطبعة: الاولى

سنة النشر: ١٤٢٩ هـ - ق - ١٣٨٧ هـ ش

عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة

المطبعة: ننگارش

ردمك: ١- ٣٤٢- ٣٩٧- ٩٦٤- ٩٧٨- ISBN

ردمك الدورة في ١٤ مجلداً: ٠- ٣٥٢- ٣٩٧- ٩٦٤- ٩٧٨- ISBN

العنوان: ايران، قم، شارع معلم، ساحة روح الله، رقم ٦٥

هاتف وفكس: ٧٧٣٣٤١٣، ٧٧٤٤٩٨٨ (٩٨٢٥١)

صندوق البريد: ١١٥٢- ٣٧١٣٥

WWW.Dalilema.com

info@Dalilema.com



مركز التوزيع:

- ١) قسم. شارع صفائيه، مقابل زقاق رقم ٣٨، منشورات دليل ما، الهاتف ٧٧٣٧٠١١-٧٧٣٧٠٠١
- ٢) طهران، شارع إنقلاب، شارع فخررازي، رقم ٣٢، منشورات دليل ما، الهاتف ٦٦٤٦٤١٤١
- ٣) مشهد، شارع الشهداء، شمالي حديقة النادري، زقاق خوراكيان، بناية گنجينه كتاب التجارية، الطابق الأول، منشورات دليل ما، الهاتف ٥- ٢٢٣٧١١٣
- ٤) النجف الأشرف، سوق الحويش، مقابل جامع الهندي، مكتبة الإمام الباقر العلوم ع، الهاتف ٧٨٠١٥٣٢٨٩

سرشنامه: ابن إدريس، محمد بن احمد، ٥٤٣-٥٩٨ ق.
عنوان و پديدآور: موسوعة ابن إدريس الحلّي / تأليف محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخراساني.
مشخصات نشر: قم: دليل ما، ١٣٨٦.
مشخصات ظاهري: ١٤ ج.
فروست: مكتبة الروضة الحيدرية.
شابك: (ج. ٥)؛ 1 - 342 - 397 - 964 - ISBN 978
(دوره)؛ 0 - 352 - 397 - 964 - ISBN 978
وضعت فهرست نویسی: فبیا.
یادداشت: عربي.

هر جلد عنوان خواص خود را دارد.

مندرجات: ج. ١. مقدمه تفسير منتخب التبيان. ج. ٢. اكمال التبيين من تفسير منتخب التبيان. ج. ٣ و ٤. المنتخب من تفسير القرآن و النكت المستخرجة من كتاب التبيان. ج. ٥. حاشية ابن إدريس على الصحيفة المجادية. ج. ٦. اجوبة مسائل و رسائل في مختلف فنون المعرفة. ج. ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣. كتاب السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي. ج. ١٤. مستطرفات السرائر (باب النوادر).

موضوع: فقه جعفری - قرن ٦ ق.

موضوع: تفاسیر شیعه - قرن ٦ ق.

موضوع: اسلام - متون قدیمی تا قرن ١٤ ق.

شناسه افزوده: خراسان، محمد مهدي، ١٩٢٨ - م. Khaarsan, Muhammad Mahdi. گردآورنده و مصحح.

رده بندی کنگره: ١٣٨٦ م ١٦ الف ٧ / ١٨١ BP

رده بندی دیویی: ٢٩٧ / ٣٢٢

شماره کابیناسی ملی: ١١٧٤٥٩٥

سَمِ الدِّينِ الْحَرِّ الْحَمِيدِ

التعليق من الجزء الثامن من التبيان في تفسير القرآن
يشتمل على سورة السجدة، والأحزاب، وسبأ، والملائكة، ويس، والصفات،
وص، والزمر، والمؤمن، وحمل السجدة، وحمل عسق، والزخرف، وحمل الدخان،
الجاثية، والأحقاف، سورة محمد ﷺ، الفتح، الحجرات، ق، وبعض الذاريات

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة السجدة

فصل

قوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ الآية: ٤.

أي: اخترعهما وأنشأهما، وخلق ما بينهما في ستة أيام، أي: فيما قدره
سته أيام، لأنه قبل خلق الشمس لم يكن ليل ولا نهار^(١).

وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي: استولى عليه بالقهر والاستعلاء^(٢)،
وقد فسّرناه فيما مضى، ودخلت ﴿ثُمَّ﴾ على ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ وإن كان
مستعلياً على الأشياء قبلها، كما دخلت ﴿حَتَّى﴾ في قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ
الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾.

وتقديره: ثم صبح معنى استولى على العرش بإحداثه، وكذلك حتى
يصبح معنى ﴿نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ﴾ أي معنى وصفهم بهذا، وذلك لا يجوز إلا بعد
وجود الجهاد من جهتهم^(٣).

١. قارن ٨: ٢٩٣.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٨: ٢٩٤، والآية في سورة محمد: ٣١.

وقوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ نفى منه تعالى أن يكون للخلق ناصر ينصرهم من دون الله، أو شفيع يشفع لهم، كما كانوا يقولون: نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى.

ثم قال: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فيما قلناه، وتعتبرون به، فتعلموا صحة ما بيناه لكم^(١).

وقوله: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ معناه: إن الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في هذه المدة، يدبر الأمور كلها ويقدرها على حسب إرادته مما بين السماء والأرض، وينزله مع الملك إلى الأرض^(٢).

﴿ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ﴾ يعني الملك يصعد إلى المكان الذي أمره الله تعالى أن يعرج إليه، كما قال إبراهيم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾^(٣) أي أرض الشام التي أمرني ربي، ولم يكن الله بأرض الشام، ومثله قوله: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٤) يريد إلى المدينة ولم يكن الله في المدينة^(٥).

وقوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ قال ابن عباس والضحاك: معناه في يوم كان مقداره لو ساره غير الملك ألف سنة مما يعده البشر^(٦). وقيل: معناه خمسمائة عام نزول وخمسمائة عام صعود فذلك ألف سنة^(٧).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. الصافات: ٩٩.

٤. النساء: ١٠٠.

٥. قارن ٨: ٢٩٤.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

وقيل: إن معناه أن كل يوم من الأيام الستة التي خلق فيها السماوات، كالف سنة من أيام الدنيا^(١).

فصل

قوله: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ^ط وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ^ط﴾ الآية: ٧-٩.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ باسكان اللام، الباقلون بفتحها، من سكَّن اللام فعلى تقدير الذي أحسن خلق كل شيء، أي جعلهم يحسنونه، والمعنى أنه ألهمهم جميع ما يحتاجون إليه^(٢).

ومن فتح اللام جعله فعلاً ماضياً، ومعناه: أحسن الله كل شيء خلقه على ارادته ومشيته، وأحسن الإنسان وخلقته في أحسن صورة^(٣).

ومعنى ذلك في جميع ما خلقه الله تعالى وأوجده، فيه وجه من وجوه الحكمة، وليس فيه وجه من وجوه القبح، وذلك يدل على أن الكفر والضلال وسائر القبائح ليست من خلقه^(٤).

ولفظه ﴿كُلٌّ﴾ وإن كانت شاملة للأشياء كلها، فالمراد به الخصوص ها هنا، لأنه أراد ما خلقه تعالى من مقدراته دون مقدور غيره، ونصب قوله: ﴿خَلَقَهُ﴾ بالبدل من قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ كما قال الشاعر:

١. قارن ٨: ٢٩٥.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٨: ٢٩٦.

وظعني إليك الليل حضنيه أنني لتلك إذا هاب الهدان فعول^(١)
 وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ يعني نسل الإنسان الذي هو آدم وولده ﴿مِنْ سُلَالَةٍ﴾ وهي الصفوة التي تنسل من غيرها خارجة، قال الشاعر:
 فجاءت به غضب الأديم غضفرا سلاله فرج كان غير حصين^(٢)

فصل

قوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّنَكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ الآية: ١١.

أي: يقبض أرواحكم، قال قتادة: يتوفاكم ومعه أعوان من الملائكة^(٣).
 والتوفي^(٤) أخذ الشيء على تمام، قال الرازي:
 ان بني الأدم ليسوا من أحد ولا توفاهم قريش في العدد^(٥)
 ويقال: استوفى الدين إذا قبضه على كماله^(٦).

وقوله: ﴿يَتَوَفَّاكُم﴾ يقتضي أن روح الإنسان هي الإنسان^(٧).
 وقوله: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي بما فعلتم فعل من نسي لقاء جزاء هذا اليوم، فتركتم ما أمركم الله به وعصيتموه ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ أي فعلنا معكم جزاءً على ذلك فعل من نسيكم من ثوابه، وترككم من نعيمه، والنسيان

١. قارن ٨: ٢٩٦، واليت نسه الجوهري في الصحاح إلى حميد بن ثور (طعن) وكذا في اللسان وتاج العروس.

٢. قارن ٨: ٢٩٧، والبيت من شعر حسان بن ثابت كما في ديوانه: ٤٢٢، شرح البرقوقى .

٣. قارن ٨: ٢٩٧.

٤. قارن ٨: ٢٩٩.

٥. قارن ٨: ٢٩٩، والرجز نسه ابن عطية في تفسيره إلى منظور الوبري، وكذا في لسان العرب (وفى) .

٦. قارن ٨: ٢٩٩.

٧. نفس المصدر .

الترك ومنه قوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾^(١).

فصل

قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الآية: ١٧.

قولهم: (قررت عيناه) أي فرحهما الله، لأن المستبشر الضاحك يخرج من عينه ماء بارد من شؤونه، والباكي جزعاً يخرج من عينه ماء سخن من الكبد، ومنه قولهم: (سخت عينه) بكسر الخاء^(٢) ﴿جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الطاعات^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ

الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الآية: ٢١.

قيل: العذاب الأدنى هو العذاب الأصغر، وهو عذاب الدنيا بالقتل، والسبي والقحط، والفقر، والمرض، والسقم، وما جرى هذا المجرى، وقيل: هو الحدود، وقيل: عذاب القبر^(٤).

وعن جعفر بن محمد عليه السلام: إن العذاب الأدنى هو القحط، والأكبر خروج المهدي بالسيف^(٥).

١. قارن ٨: ٣٠١.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٨: ٣٠٤.

٥. نفس المصدر.

والعذاب الأكبر عند المفسرين هو عذاب الآخرة بالنار التي تستفزع الإنسان بالآلام^(١).

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إخبار منه تعالى أنه يفعل بهم ما ذكره من العذاب الأدنى، ليرجعوا عن معاصي الله إلى طاعته ويتوبوا منها، وهو قول عبد الله وأبي العالية^(٢).

ثم أخبر تعالى فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني: التوراة ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾ في شك ﴿مِنْ لِقَائِهِ﴾ يعني لقاء موسى ليلة الإسراء بك إلى السماء، على ما ذكره ابن عباس^(٣).

وقيل: فلا تكن في مرية من لقاء موسى في الآخرة^(٤).

فصل

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾ الآية: ٢٧.

الأرض الجرز هي الأرض اليابسة التي ليس فيها نبات، انقطع ذلك لانقطاع الأمطار، وهو مشتق من قولهم سيف جراز أي: قطاع لا يلقى شيئاً إلا قطعته، وناقعة جراز إذا كانت تأكل كل شيء، لأنها لا تبقي شيئاً إلا قطعته بفيها^(٥).



١. قارن ٨: ٣٠٦.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٨: ٣٠٧.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨: ٣٠٩.

سورة الأحزاب

فصل

قوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ الآية: ٤.

قال ابن عباس: كان المنافقون يقولون: لمحمد قلبان فأكذبهم الله^(١).

وقال مجاهد وقتادة وفي رواية عن ابن عباس: أنه كان رجل من قريش يدعى ذا القلبين من دهائه، وهو أبو معمر جميل بن أسد، فنزلت الآية فيه^(٢).

وقال الحسن: كان رجل يقول: لي نفس تأمرني ونفس تنهاني، فأنزل الله فيه هذه الآية^(٣).

وقال الزهري: ((هو مثل)) في أن هذا ممتنع كامتناع أن يكون ابن غيرك ابنك^(٤).

وروي عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه يحب بهذا قوماً ويحب بهذا أعداءهم^(٥).

١. قارن ٨: ٣١٣.

٢. قارن ٨: ٣١٤.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٨: ٣١٤، وما بين القوسين من المصدر.

٥. قارن ٨: ٣١٤.

ولا يمكن أن يكون لإنسان واحد قلبان في جوفه، لأنه كان يمكن أن يوصل إنسانان فيجعلان إنساناً واحداً.

وقد يمكن أن يوصلا بما لا يخرجهما عن أن يكونا إنسانين، وليس ذلك إلا من جهة القلب الواحد، أو القلبين، لأنه إذا جعل قلبان يريد أحدهما بقلبه ما لا يريد الآخر، ويشتهي ما لا يشتهي الآخر، ويعلم ما لا يعلم الآخر، فهما حيان لا محالة وليسا حياً واحداً^(١).

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ أي ليس نسأؤكم وأزواجكم إذا قلتم لهن: أنتن عليّ كظهر أمي يصرن أمهاتكم على الحقيقة، لأن أمهاتكم على الحقيقة هن اللاتي ولدنكم أو أرضعنكم^(٢).

وقال قتادة: إذا قال لزوجته أنت عليّ كظهر أمي، فهو مظاهر وعليه الكفارة^(٣)، وعندنا أن الظهار لا يقع إلا أن تكون المرأة طاهراً ولم يقربها بجماع، ويحضر شاهدان رجلان مسلمان، ثم يقول لها: أنت عليّ كظهر أمي ويقصد التحريم، فإذا قال ذلك حرم عليه وطؤها حتى يكفر، وإن اختل شيء من شرائطه فلا يقع ظهار أصلاً^(٤).

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ قال قتادة ومجاهد وابن زيد: نزلت في زيد بن حارثة، فإنه كان يدعى ابن رسول الله^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٣١٥.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

والأدعياء جمع دعي، وهو الذي تبناه الإنسان، وبين الله تعالى أن ذلك ليس بابن على الحقيقة، ولذلك قال في آية أخرى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ الآية^(١).

فصل

قوله: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا] * وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ * وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا * لَيْسَ لَكَ الصِّدِّيقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ * وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا * يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا * وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا﴾ الآيات: ٦ - ١٠.

أخبر تعالى أن النبي أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم، بمعنى أحق بتدبيرهم، وبأن يختاروا ما دعاهم إليه، وأحق بأن يحكم فيهم بما لا يحكم به في

نفسه، لوجوب طاعته التي هي مقرونة بطاعة الله، وهو أولى في ذلك وأحق من نفس الإنسان، لأنها ربما دعته إلى اتباع الهوى، ولأن النبي ﷺ لا يدعو إلا إلى طاعة الله، وطاعة الله أولى أن تختار على طاعة غيره^(١).

وواحد الأنفس نفس، وهي خاصة الحيوان الحساسة التي هي أنفس ما فيه^(٢)، ويحتمل أن يكون اشتقاقه من التنفس وهو الروح، لأن من شأنها التنفس، ويحتمل أن يكون مأخوذاً من النفاسة، لأنها أجل ما فيه وأكرمها^(٣).
ثم قال: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ والمعنى آتهن كالأمهات في وجوب الحرمة وتحريم العقد عليهن^(٤).

ثم قال: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ فأولوا الأرحام أولوا الأنساب، لما ذكر الله أن أزواجه أمهاتهم في الحكم من جهة عظم الحرمة، قال: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ أي إلا ما بين الله في كتابه مما يجوز لأزواج النبي ﷺ أن يدعين أمهات المؤمنين^(٥).
وقال قتادة: كان الناس يتوارثون بالهجرة، فلا يرث الأعرابي المسلم من المهاجر حتى نزلت الآية^(٦).

وقيل: إنهم كانوا يتوارثون بالمؤاخاة الأولية، ثم نسخ ذلك، فبين الله تعالى أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض، أي: من كان قرياء أقرب، فهو أحق بالميراث من الأبعد^(٧).

١. قارن ٨: ٣١٧.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٨: ٣١٨.

٧. نفس المصدر.

وظاهر ذلك يمنع أن يرث مع البنت والأم أحد من الأخوة والأخوات، لأن البنت والأم أقرب من الأخوة والأخوات، وكذلك يمنع أن يرث مع الأخت أحد من العمومة وأولادهم لأنها أقرب^(١).

والخير المروي في هذا الباب ((أن ما أبقت الفرائض فلأولي عسبة ذكر)) خير واحد مطعون على سنده، لا يترك لأجله ظاهر القرآن الذي بين فيه أن أولي الأرحام، الأقرب منهم أولى من الأبعد في كتاب الله من المؤمنين^(٢).

قوله: ﴿لِئَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ قال مجاهد: معناه فعل ذلك ليسأل الأنبياء المرسلين ما الذي أجاب به أممكم^(٣).

ويجوز أن يحمل على عمومه في كل صادق ويكون فيه تهديد للكاذب، فإن الصادق إذا سئل عن صدقه على أي وجه فيجازي بحسبه، فكيف يكون صورة الكاذب^(٤).

وقوله: ﴿وَبَلَغْتَ الْفُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ أي نأت عن أماكنها من الخوف والحناجر: جمع حنجرة وهي الحلق، قيل لأن الرئة عند الخوف تصعد حتى تلتحق بالحلق^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٣١٨، والخبر روي في التهذيب: في باب إبطال العول والعسبة من كتاب الفرائض الحديث ٩٧١ وفي سنده عبد الله بن طاووس. وكان على خاتم سليمان بن عبد الملك وكان يحمل على بني هاشم حملاً شديداً. وهو يرويه عن ابنه عن ابن عباس، وقد ذكرت الرواية عند ابن عباس وطاووس وأنكرا ذلك، راجع معجم رجال الحديث للخوئي ١١: ٢٤١ ترجمة عبد الله بن طاووس.

٣. قارن ٨: ٣١٩.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨: ٣٢٠.

﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ قال الحسن: كانت الظنون مختلفة، فظن المنافقون أنه يستأصل، وظن المؤمنون أنه سينصر^(١).

فصل

قوله: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية: ١١.

لما وصف الله تعالى شدة الأمر يوم الخندق وخوف الناس، وأن القلوب بلغت الحناجر من الرعب قال: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي اختبروا ليظهر بذلك حسن إيمانهم وصبرهم على ما أمرهم الله به من جهاد أعدائه، و ((هنا)) للقريب من المكان و ((هنالك)) للبعيد، و ((هناك)) للوسط بين القريب والبعيد، وسيله سبيل ذا وذاك وذلك^(٢).

وقوله: ﴿وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا﴾ معناه: وحركوا بهذا الامتحان تحريكاً عظيماً، والشدة قوة تدرك بالحاسة، لأن القوة التي هي القدرة لا تدرك بالحاسة وإنما تعلم بالدلالة، فلذلك يوصف تعالى بأنه قوي ولا يوصف بأنه شديد^(٣).

فصل

قوله: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِّنَ الْمَوْتِ أَوْ

الْقَتْلِ﴾ الآية: ١٦.

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٣٢١.

٣. قارن ٨: ٣٢١، ومما يلاحظ في المقام قول الشيخ ((فلذلك يوصف تعالى بأنه قوي ولا يوصف بأنه شديد)) مع أن الآية الكريمة في سورة الأنفال: ٥٢ وصفته تعالى بهما معاً ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدٌ الْعِقَابِ﴾ وكذلك الآية: ٢٢ من سورة غافر ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدٌ الْعِقَابِ﴾ سوى ما جاء في ذلك نحر قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ النجم: ٥، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فصلت: ١٥.

الفرار الذهاب عن الشيء خوفاً منه، وإنما فرّق الله بين الموت والقتل لأن القتل غير الموت، والقتل نقض بنية الحيوانية، والموت ضد الحياة عند من أثبتته معنى، والقتل يقدر عليه غير الله، والموت لا يقدر عليه غيره^(١).

فصل

قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا * وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ * وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا * مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ * وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا * لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنْفِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ * إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا * وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ * وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ الآيات: ٢١ - ٢٥.

أي: اقتداء حسن، في جميع ما يقوله ويفعله، متى فعلتم مثله كان ذلك حسناً، والمراد بذلك الحث على الجهاد، والصبر عليه في حروبه، والتسليم لهم مما ينالهم من المصائب، فإن النبي ﷺ شج رأسه وكسرت ربايعته في يوم أحد وقتل عمه حمزة، فالتأسي به في الصبر على جميع ذلك من الأسوة الحسنة^(٢).

١. قارن ٨: ٣٢٥.

٢. قارن ٨: ٣٢٨.

وذلك يدلّ على أنّ الاقتداء بجميع أفعال النبي ﷺ حسن جائز، إلا ما قام الدليل على خلافه، ولا يدلّ على وجوب الاقتداء به في أفعاله، وإنما يعلم ذلك بدليل آخر^(١).

فالأسوة حال لصاحبها يقتدي بها غيره فيما يقول به، فالأسوة تكون في إنسان وهي أسوة لغيره، فمن تأسّى بالحسن ففعله حسن^(٢).

وقوله: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ أي منهم من صبر حتى قتل في سبيل الله وخرج إلى ثواب ربه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ ذلك ﴿وَمَا يَدَّبُّوا تَبْدِيلًا﴾ أي: لم يبدلوا الإيمان بالتفاق ولا العهد بالحنث^(٣).

وروي أنّ الآية نزلت في حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب وعلي ابن أبي طالب، والذي قضى نجه حمزة وجعفر، والذي ينتظر عليّ عليه السلام^(٤).

قوله: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ﴾ لا يدلّ على أنّ ما يجب غفرانه من الكبائر عند التوبة يجوز تعليقه بالمشيئة، لأنّ على مذهبنّا إنّما جاز ذلك لأنّه لا يجب إسقاط العقاب بالتوبة عقلاً، وإنّما علمنا ذلك بالسمع، وأنّ الله يتفضّل بذلك^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٨: ٣٢٩.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨: ٣٢٩، وقد روى نزول الآية في الحمزة وجعفر وعليّ عليه السلام عن عبد الله بن عباس الحافظ الحسكاني في شواهد التنزيل ٢: ١٢ روى بسنده عن عبد الله بن عباس في قول الله تعالى: ﴿مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ يعني عليّاً وحمزة وجعفر: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ يعني حمزة وجعفر: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ يعني عليّاً عليه السلام، كان ينتظر أجله، والوفاء لله بالعهد، والشهادة في سبيل الله، فوالله لقد رزق الشهادة (شواهد التنزيل ٢: ٢ ط بيروت).

وقوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ معناه: إن شاء قبل توبتهم وأسقط عقابهم إذا تابوا، وإن شاء لم يقبل، وذلك إخبار عن مقتضى العقل، وأما مع ورود السمع، وهو قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ فنقطع على أنه تعالى يغفر مع حصول التوبة^(١).

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ يؤكد ذلك، لأنه إنما يكون فيه مدح إذا غفر ما له المؤاخذه به، ويرحم من يستحق العقاب، فأما من يجب غفرانه وتجب رحمته فلا مدح في ذلك^(٢).

والنحب النذر، أي: قضى نذره الذي كان نذره فيما عاهد الله عليه^(٣).

وقال مجاهد: ﴿قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ أي عهده، وقيل: إن المؤمنين كانوا نذروا إذا لقوا حرباً مع رسول الله أن يشبوا ولا ينهزموا^(٤).

وقال الحسن: قضى نجه أي مات على ما عاهدوا^(٥).

النحب الموت كقول ذي الرمة:

قضى نجه في ملتقى الموت هو بر^(٦)

أي: منيته، وهو بر اسم رجل.

١. قارن ٨: ٣٢٩، والآية في سورة الشورى: ٢٥.

٢. قارن ٨: ٣٣٠.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٨: ٣٣٠، والشطر من بيت لذي الرمة في ديوانه ٢: ٦٤٧ ط مجمع اللغة العربية بدمشق وتمتته

((عشية فرّ الحارثيون بعد ما)).

وقوله: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بالريح والملائكة، وقيل: وكفى الله المؤمنين القتال بعلي عليه السلام، وهي قراءة ابن مسعود، وكذلك هو في مصحفه في قتله عمرو بن عبدود، وكان ذلك سبب هزيمة القوم^(١).

فصل

قوله: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ [وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْغَوْهَا] وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا * يَتَأَيُّمُ النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسْرِحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا * يَنْبِسَاءَ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَعِّفْ لَهَا الْعَذَابَ ضِعْفَيْنِ * وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَنْ يَقْنُتْ

١- روى الحافظ الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ٢: ٣ بسنده عن ابن مسعود أنه كان يقرأ: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بعلي بن أبي طالب، وهذا رواه ابن عساكر أيضاً في ترجمة الإمام من تاريخ دمشق ٢: ٤٢٠، ورواه الحافظ الكنجي الشافعي في كفاية الطالب: ٢٣٤ وقال: وذكره غير واحد من أصحاب التفاسير والسير، ورواه السيوطي في الدر المنثور ٥: ١٩٢، والآلوسي في روح المعاني ٢١: ١٥٦، وقال الحاكم الحسكاني عن ابن عباس أيضاً، ثم روى بسنده عن ابن عباس في قوله: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ قال: كفاهم القتال يوم الخندق بعلي بن أبي طالب حين قتل عمرو بن عبدود، وهذا يعني أنه كان يقول ذلك تأويلاً، راجع علي إمام البررة ٣: ٥٦ ط الأولى بيروت.

مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا * يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ^١ إِنْ أَتَقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى^٢ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ^٣ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا^٤﴾ الآيات: ٢٦ - ٣٣.

الصياصي الحصون التي يمتنع بها واحداها صيصية، ويقال: جذ الله صيصية فلان، أي: حصنه الذي يمتنع به، والصيصية قرن البقرة، وهي شوكة الديك أيضاً، وهو شوكة الحائك أيضاً، قال الشاعر:

كوقع الصياصي في النسيج الممدد^(١)

كان الحسن لا يرى التخيير شيئاً، وقال: إنما خُيرَ بين الدنيا والآخرة لا في الطلاق، وكذلك عندنا أن الخيار ليس بشيء، غير أن أصحابنا قالوا: إنما كان ذلك للنبي ﷺ خاصة، ولما خُيرهن لو اخترن أنفسهن لبن، فأما غيره فلا يجوز له ذلك^(٢).

١. قارن ٨: ٣٣٣ والشطر من بيت لدريد بن الصحة، وهو من قصيدة طويلة يرثي بها أخاه عبد الله من شعر الحماسة وفيها:

فجئت إليه والرماح تنوشه كوقع الصياصي في النسيج الممدد

وراجع تفسير القرطبي ١٤: ١٦١، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢: ١٦١.

٢. قارن ٨: ٣٣٥.

ثم قال: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ إنما قال: ﴿كَأَحَدٍ﴾ ولم يقل كواحدة، لأنَّ أحدًا نفي عام للمذكر والمؤنث، والواحد والجماعة، أي: لا يشبهكنَّ أحد من النساء في جلاله القدر وعظم المنزلة، ولمكانكنَّ من رسول الله، بشرط أن تتقين عقاب الله واجتناب معاصيه وامثال أوامره^(١).

وإنما شرط ذلك بالاتقاء لئلا يعولن على ذلك، فيرتكبن المعاصي، ولولا الشرط كان يكون اغراء لهنَّ بالمعاصي، وذلك لا يجوز على الله تعالى^(٢).

وقوله: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ قال قتادة: التبرج التبخر والتكبر.

وقال غيره: هو إظهار المحاسن للرجال^(٣).

ومعنى الجاهلية الأولى، وهو ما كان قبل الإسلام، وقيل: ما كان بين آدم ونوح، وقيل: ما كان بين موسى وعيسى، وقيل: ما كان بين عيسى ومحمد^(٤).

وقيل: ما كان يفعله أهل الجاهلية، لأنهم كانوا يجوزون لامرأة واحدة رجلاً وخلاً، فللزواج النصف السفلائي وللخلّ الفوقاني من التقييل والمعانقة، فنهى الله تعالى عن ذلك أزواج النبي ﷺ، وأمَّا الجاهلية الأخرى، فهو ما يعمل بعد الإسلام بعمل أولئك^(٥).

ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

١. قارن ٨: ٣٣٨.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٨: ٣٣٩.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

تَطْهِيراً» روى أبو سعيد الخدري وأنس بن مالك وعائشة وأم سلمة ووائل بن الأسقع أن الآية نزلت في النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام^(١).

واستدل أصحابنا بهذه الآية على أن في جملة أهل البيت معصوماً لا يجوز عليه الغلط، وأن إجماعهم لا يكون إلا صواباً، بأن قالوا: ليس يخلو إرادة الله لإذهاب الرجس عن أهل البيت من أن يكون هو ما أراد منهم من فعل الطاعات واجتناب المعاصي، أو يكون عبارة عن أنه أذهب عنهم الرجس بأن فعل لهم لطفاً اختاروا عنده الامتناع من القبائح^(٢).

والأول لا يجوز أن يكون مراداً، لأن هذه الإرادة حاصلة مع جميع المكلفين، فلا اختصاص لأهل البيت في ذلك، ولا خلاف أن الله تعالى خص بهذه الآية أهل البيت بأمر لم يشركهم فيه غيره، فكيف يحمل على ما يبطل هذا التخصيص، ويخرج الآية من أن يكون لهم فيها فضيلة ومزية على غيرهم^(٣).

على أن لفظة ﴿إِنَّمَا﴾ تجري مجرى ليس، وقد دللنا على ذلك فيما

١. قارن ٨: ٣٣٩ وقد ورد نزول الآية في أهل البيت خاصة كما روى الطبري وابن أبي حاتم والطبراني والبرار وعنه السيوطي في الدر المنثور ٥: ١٩٨، والهشمي في مجمع الزوائد ٩: ١٦٧ وغيرهم أن النبي ﷺ قال: أنزلت هذه الآية في خمسة، فيّ وفي علي والحسن والحسين وفاطمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ راجع تفسير الطبري ٢٢: ٥ وورد نحو ذلك عن علي عليه السلام راجع الدر المنثور للسيوطي ٥: ١٩٨.

ونحو ذلك عن الحسن بن علي عليه السلام راجع شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ٢: ٣١، وممن قال باختصاص الآية بهم عليه السلام: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر، راجع حديثهما في علي إمام البررة ١: ٣٧٤ - ٣٧٧ وفيه تجد أسماء صحابة آخرين رجالاً ونساءً ممن روى ذلك فيهم خاصة وراجع ١: ٣٨٢ - ٣٩٩ فتمة قائمة بأسماء المصادر تتضمن ١١٦ مصدراً كلها مصادر سنية.

٢. قارن ٨: ٣٤٠.

٣. نفس المصدر.

تقدّم، وحكيّناه عن جماعة من أهل اللغة كالزجاج وغيره^(١).

فيكون تلخيص الكلام: ليس يريد الله إذهاب الرجس على هذا الحد إلا عن أهل البيت، فدلّ ذلك على أنّ إذهاب الرجس قد حصل فيهم، وذلك يدلّ على عصمتهم، وإذا ثبت عصمتهم ثبت ما أردناه^(٢).

وقال عكرمة: هي أزواج النبيّ خاصة وهذا غلط، لأنّه لو كانت الآية فيهنّ خاصة، لكنّي عنهنّ بكناية المؤنث، كما فعل في جميع ما تقدّم من الآيات، نحو قوله: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ»، «وَلَا تَبَرَّجْنَ»، «وَأَطِيعْنَ اللَّهَ»، «وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ»، «وَأَتِينَ الزَّكَاةَ» فذكر جميع ذلك بكناية المؤنث، فكان يجب أن يقول: إنّما يريد الله ليذهب عنكنّ الرجس أهل البيت ويطهركنّ، فلما كنّي بكناية المذكر دلّ على أنّ النساء لا مدخل لهنّ فيها^(٣).

وفي الناس من حمل الآية على النساء، ومن ذكرناه من أهل البيت هرباً ممّا قلناه، وقال: إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، فكُنّي عنهم بكناية المذكر^(٤).

وهذا يبطل بما بيّناه من الرواية عن أم سلمة، وما يقتضيه من كون من تناولته معصوماً، فالنساء خارجات عن ذلك، وقد استوفينا الكلام في هذه الآية في كتاب الإمامة، من أراده وقف عليه من هناك^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨: ٣٤١.

فصل

قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا] وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا * مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا * الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَخَشَوْنَهُ وَلَا تَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا * مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ * وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا [الآيات: ٣٦ - ٤٠].

بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ﴿لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ بِمَعْنَى الزَّامِ وَحُكْمًا بِهِ ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ أَي: لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَتَخَيَّرُوا مَعَ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ بِشَيْءٍ يَدْرِكُ مَا أَمَرَهُ بِهِ إِلَى مَا لَمْ يَأْذَنْ فِيهِ، وَالْخِيَرَةُ إِرَادَةُ اخْتِيَارِ الشَّيْءِ عَلَى غَيْرِهِ ^(١).

وفي ذلك دلالة على فساد مذهب المجبرة في القضاء والقدر، لأنه لو كان الله تعالى قضى المعاصي، لم يكن لأحد الخيرة ولوجب عليه الوفاء به، ومن خالف في ذلك كان عاصياً، وذلك خلاف الإجماع^(١).

ثم خاطب النبي ﷺ فقال: «واذكر يا محمد حين ﴿تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ يعني: بالهداية إلى الإيمان ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعق ﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ أي: احبسها ولا تطلقها، لأن زيدا جاء إلى النبي ﷺ مخاصماً زوجته بنت جحش على أن يطلقها، فوعظه النبي ﷺ فقال له: لا تطلقها وأمسكها ﴿وَأَتَّقِ اللَّهَ﴾ في مفارقتها ﴿وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ فالذي أخفى في نفسه أنه إن طلقها زيد تزوجها، وخشي من إظهار هذا للناس^(٢).

وكان الله تعالى أمره أن يتزوجها إذا طلقها زيد، فقال الله تعالى له: إن تركت إظهار هذا خشية الناس، فترك إضماره خشية الله أحق وأولى^(٣). وقال الحسن: معناه وتخشى عيب الناس^(٤).

وروي عن عائشة أنها قالت: لو كنتم رسول الله شيئاً من الوحي لكنتم ﴿وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾^(٥).

وقيل: إن زيدا لما جاء مخاصماً زوجته، فرآها النبي ﷺ فاستحسنها وتمنى أن يفارقها زيد حتى يتزوجها فكنتم.

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٣٤٤.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨: ٣٤٤.

قال البلخي: وهذا جائز، لأن التمني هو ما طبع عليه البشر، فلا شيء على أحد إذا تمنى شيئاً استحسنة^(١).

١- قارن ٣٤٤، وقول البلخي من السخف بمكان، إذ جعل النبي ﷺ استحسناً زينباً وتمنى أن يفارقها زيد حتى يتزوجها فكنتم؟ كيف يتصور ذلك في حقه؟ ألم يكن هو الذي زوجها من مولاة زيد؟ ألم تكن هي ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب؟ وكانت قديمة الإسلام ومن المهاجرات السابقات؟ فمن كانت منه بهذه المثابة من القرب والقربى يقال في حقه: ((استحسن زينباً وتمنى أن يفارقها زيد حتى يتزوجها فكنتم))؟ كانه لم يرها من قبل، ثم لو كان زواجه ﷺ منها لأنه استحسناها، فأين كان عنها قبل أن يتزوجها زيدا؟ فهل طراً حسن زائد على زينب بعد زواجها من زيد لم يره النبي ﷺ من قبل؟ إنها عشرة لا تقال. بل كان تزويجها بأمر من السماء صرحت به الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ وذكر القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ١٤: ١٩٠ - ١٩١ قال: وروي عن علي بن الحسين: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد أوحى الله تعالى إليه أن زيدا يطلق زينب، وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها، فلما تشكى زيد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خلق زينب، وأنها لا تطيعه، وأعلمه أنه يريد طلاقها، قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جهة الأدب والوصية: «اتق الله في قولك وامسك عليك زوجك» وهو يعلم أنه سيفارقها ويتزوجها، وهذا هو الذي أخفى في نفسه، ولم يرد أن يأمره بالطلاق لما علم أنه سيتزوجها، وخشي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد، وهو مولاة، وقد أمره بطلاقها، فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من أن خشي الناس في شيء قد أباحه الله له، بأن قال: أمسك مع علمه بأنه يطلق، وأعلمه أن الله أحق بالخشية، أي في كل حال. ثم قال القرطبي:

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين، كالزهرى، والقاضي بكر بن العلاء القشيري، والقاضي أبو بكر بن العربي وغيرهم، والمراد بقوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ إنما هو إرجاف المنافقين بأنه نهى عن تزويج نساء الأبناء وتزوج بزوجته ابنة.

فأما ما روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هوى زينب امرأة زيد - وربما أطلق بعض المُجَنِّان لفظ العشق - فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن مثل هذا، ومستخف بحرمة.

قال الترمذي الحكيم في نوادر الأصول: وأسند إلى علي بن الحسين قوله - فعلي بن الحسين جاء بهذا من خزانة العلم جوهرًا من الجواهر، ودرًا من الدرر - أنه إنما عتب الله عليه في أنه قد أعلمه ←

ثم قال: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ نزلت في زيد بن حارثة، لأنهم كانوا يسمونه زيد بن محمد، فبين الله تعالى أن النبي ﷺ ليس بأبي أحد منهم من الرجال، وإنما هو أبو القاسم والطيب المطهر وإبراهيم، وكلهم درجوا في الصغر، ذكره قتادة^(١).

ثم قال: ﴿وَلَكِنْ﴾ هو ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ ومن استدلّ بقوله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ على أنه لم يكن الحسن والحسين عليهما السلام أبناءه فقد أبعد، لأن الحسن والحسين كانا طفلين، كما أنه كان أبا إبراهيم عليهما السلام وإنما نفى أن يكون أبا للرجال البالغين^(٢).

فصل

قوله: ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَعَتُوهُنَّ وَسَرَحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * [يَتَّيِبُهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ

→ أن ستكون هذه من أزواجك، فكيف قال بعد ذلك لزيد أمسك عليك زوجك وأخذتك خسية الناس أن يقولوا: تزوج امرأة ابنه، والله أحق أن تخشاه. راجع الجامع لأحكام القرآن ١٤: ١٩٠ - ١٩١ ط دار احياء التراث العربي بيروت.

١. قارن ٨: ٣٤٦.

٢. نفس المصدر.

خَلَقْتُكَ أَلَيْتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأَمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ
إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا
مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ
عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ الآيات: ٤٩ - ٥٠.

خاطب الله تعالى بالآية المؤمنين المصدقين بوحدانيته المقرين بنبوة نبيه
بأنه إذا نكح واحد منهم مؤمنة نكاحاً صحيحاً، ثم طلقها قبل أن يمسه، بمعنى
قبل أن يدخل بها، بأنه لا عدة عليها منه، ويجوز لها أن تتزوج بغيره في الحال،
وأمرهم أن يمتنعوا ويسرحوها سراحاً جميلاً إلى بيت أهلها^(١).

وهذه المتعة واجبة إن كان لم يسم لها مهرًا، وإن كان سمى مهرًا لزمه
نصفه ويستحب المتعة مع ذلك، وفيه خلاف^(٢).

وقال ابن عباس: إن كان سمى لها صداقاً فليس لها إلا نصف المهر، وإن
لم يكن سمى لها صداقاً متعها على قدر عسره أو يسره، وهو السراح الجميل،
وهذا مثل قولنا سواء^(٣).

ثم قال: ﴿وَأَمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ فروي عن ابن عباس أنه
لا تحل امرأة بغير مهر، وإن وهبت نفسها إلا للنبي ﷺ، وإنما كان ذلك
للنبي ﷺ خاصة^(٤).

١. قارن ٨: ٣٥١.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

وقال قوم: يصح، غير أنه يلزم المهر إذا دخل بها، وإنما جاز بلا مهر للنبي خاصة^(١).

والذي يبين صحة ما قلناه قوله: ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فبين أن هذا الضرب من النكاح خاص له دون غيره من المؤمنين^(٢).

وقوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني على المؤمنين ﴿فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ قال قتادة: معناه أي لا نكاح إلا بولي وشاهدين وصداق وألا يتجاوز الأربع^(٣).

وقال مجاهد: ﴿مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ ألا يتزوجوا بأكثر من أربعة^(٤).

وقال قوم: ﴿مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ من النفقة والقسمة وغير ذلك^(٥).

وعندنا أن الشاهدين ليسا من شرط صحة انعقاد العقد، ولا الولي إذا كانت المرأة بالغة رشيدة لأنها ولية نفسها^(٦).

والمعنى على مذهبننا: أنا قد علمنا ما فرضنا على الأزواج من مهرهن ونفقتهن، وغير ذلك من الحقوق^(٧).

١. قارن ٨: ٣٥٢.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿تَرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤَيِّ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ [وَمَنْ
 ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا
 تَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ
 وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا * لَا يَحِلُّ لَكَ الْبَنَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ
 تَبْدَلَ بِهِنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ
 وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا * يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا
 بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَبْظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ
 إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَقْسِمِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ
 ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مَنْ
 الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ
 لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ
 تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا *
 إِنْ تَبَدُّوا شَيْعًا أَوْ تَخَفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا * لَا جُنَاحَ
 عَلَيْهِنَ فِي ءَابَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ

أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ۖ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥١﴾ الآيات: ٥١ - ٥٥.

قال ابن عباس: خيره الله بين طلاقهن وإمساكنهن^(١).

وقال قوم: معناه ترك نكاح من شئت، وتنكح من تشاء من نساء
أمتك^(٢).

وقال مجاهد: معناه تعزل من شئت من نسائك، فلا تأتيها وتأتي من شئت
من نسائك، فلا تقسم لها^(٣).

فعلى هذا يكون القَسَم ساقطاً عنه، فكان ممن أرجى ميمونة وأم
حبيبة وجويرية وصفية وسودة، فكان يقسم ((لهن)) من نفسه وماله ما شاء،
وكان ممن يأوي عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب، فكان يقسم بينهن نفسه
وماله بالسوية^(٤).

وقال زيد بن أسلم: نزلت في اللاتي وهبن أنفسهن، فقال الله له: تزوج
من شئت منهن وترك من شئت، وهو اختيار الطبري، وهو أليق بما تقدم^(٥).

والإرجاء هو التأخير، وهو من تباعد وقت الشيء عن وقت غيره، ومنه
الإرجاء في فساق أهل الصلاة، وهو تأخير حكمهم بالعقاب إلى الله^(٦).

١. قارن ٨: ٣٥٤.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

﴿وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ﴾ فالإيواء ضم القادر غيره من الأحياء الذين من جنس ما يعقل إلى ناحيته، تقول: آويت الإنسان آويه إيواءاً، وأوى هو يأوي أويّاً إذا انضم إلى مأواه^(١).

وقوله: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ قال ابن عباس والحسن: يعني بعد التسع اللاتي كن عنده واخترنه مكافأة لهن على اختيارهن الله ورسوله^(٢).

وقال أبي بن كعب: (لا يحل لك من بعد) أي حرم عليك ما عدا اللواتي ذكرن بالتحليل في ﴿إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ﴾ الآية، وهن ست أجناس: النساء اللاتي هاجرن معه وإعطائهن مهورهن، وبنات عمه، وبنات عماته، وبنات خاله، وبنات خالاته اللاتي هاجرن معه، ومن وهبت نفسها له بجميع ما شاء من العدد، لا يحل له من غيرهن من النساء^(٣).

وقال مجاهد: لا يحل لك النساء من أهل الكتاب، ويحل لك المسلمات^(٤).

وروي أن حكم هذه الآية نسخ، وأبيح له من النساء ما شاء أي جنس أراد وكم أراد، فروي عن عائشة أنها قالت: لم يخرج النبي ﷺ من دار الدنيا حتى حلل له ما أراد من النساء، وهو مذهب أكثر الفقهاء، وهو المروي عن أصحابنا في أخبارنا^(٥).

﴿وَلَا أَن تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ قال ابن زيد: معناه أن تعطي زوجتك

١. قارن ٨ : ٣٥٥.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٨ : ٣٥٦.

٥. نفس المصدر.

لغيرك وتأخذ زوجته، لأن أهل الجاهلية كانوا يتبادلون الزوجات^(١).

ثم قال: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَيْضاً أَنْ تَنْكِحُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾
لأنهن صرن بمنزلة أمهاتكم في التحريم^(٢).

وقال السدي: لما نزل الحجاب قال رجل من بني تميم: أنحجب من بنات
عمنا، فإن مات عرسنا بهن، فنزل قوله: ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾
الآية إن ذلك إن فعلتم كان عند الله عظيماً^(٣).

ثم استثنى لأزواج النبي ﷺ من يجوز لها محادثتهم ومكالمتهم، فقال:
﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ
أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ ولم يذكر العم والخال، لأنه مفهوم
من الكلام، لأن قرباهم واحدة، لأنهن لا يحلن لواحد من المذكورين بعقد
نكاح على وجه، فهن محرم لهم^(٤) ﴿وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ قال

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٣٥٨.

٣. قارن ٨: ٣٥٨، والرجل الذي لم يسمه من بني تميم هو طلحة بن عبيد الله كما ورد في الدر المنثور ٥:
٢١٤ نقلاً عن ابن أبي حاتم عن السدي رحمه الله قال: بلغنا أن طلحة بن عبيد الله قال: أychبنا محمد عن
بنات عمنا، ويتزوج نساءنا من بعدنا، لئن حدث به حدث لتزوجن نساء من بعده، فنزلت هذه الآية.
أقول: ولم يكن السدي وحده روى ذلك، فقد ذكر السيوطي فقال: وأخرج عبد الرزاق وعبد بن
حميد وابن المنذر عن قتادة رحمه الله قال: قال طلحة بن عبيد الله: لو قبض النبي ﷺ تزوجت عائشة
فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ الآية.

وأخرج ابن سعد عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ
اللَّهِ﴾ قال: نزلت في طلحة بن عبيد الله لأنه قال: إذا توفي رسول الله ﷺ تزوجت عائشة.

٤. قارن ٨: ٣٥٨.

قوم: من النساء والرجال، وقال آخرون: من النساء خاصة. وهو الأصح^(١).

فصل

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهَا ذَٰلِكَ أَذَىٰ أَنْ يُعْرِقْنَ فَلَا يُؤْذِينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا * لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ الْمُتَنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحَاجُّوكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۖ] الآيات: ٥٦ - ٦٠.

يقول الله تعالى مخبراً أنه يصلي وملائكته على النبي ﷺ، وصلاة الله تعالى عليه، هو ما يفعل به من كراماته وتفضيله وإعلاء درجاته ورفع منازله وثنائه عليه، وغير ذلك من أنواع إكرامه، وصلاة الملائكة مسألتهم الله تعالى أن يفعل به ^(٢) مثل ذلك.

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٣٥٩.

وزعم بعضهم أن ﴿يُصَلُّونَ﴾ فيه ضمير الملائكة دون اسم الله، مع أفرادِه بأن الله يصلِّي على النبي، لكنَّه يذهب في ذلك إلى أن في أفرادِه بالذكر تعظيماً، ذكره الجاني^(١).

ثم أمر تعالى المؤمنين المصدقين بوحدانيته، المقرين بنبوته أن يصلُّوا أيضاً عليه، وهو أن يقولوا: ((اللَّهُمَّ صل على محمد وآل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم)) في قول ابن عباس^(٢).

ثم أمر المؤمنين أيضاً بأن يسلموا لأمره تعالى، وأمر رسوله تسليماً في جميع ما يأمرهم به، والتسليم هو الدعاء بالسلامة، كقولهم: سلمك الله، والسلام عليك ورحمة الله، وكقولك: السلام عليك يا رسول الله^(٣).

﴿يُدْنِينَ عَنْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ﴾ والجلابيب جمع جلباب، وهو خمار المرأة، وهي المقنعة تغطي جبينها ورأسها إذا خرجت لحاجة، بخلاف خروج الإمام اللاتي يخرجن مكشفات الرؤوس والجباه في قول ابن عباس ومجاهد^(٤).

وقال الحسن: الجلابيب الملاحف تدليها المرأة على وجهها ﴿ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرِقْنَ﴾ من الإمام ومن أهل الريبة ﴿فَلَا يُؤْذِنَنَّ﴾^(٥).

﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ فالإرجاف إشاعة الباطل للاغتنام به، فالمرجفون هم الذين كانوا يطرحون الأخبار الكاذبة بما يشغلون به قلوب المؤمنين^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٣٦٠، وما بين القوسين من المصدر.

٣. قارن ٨: ٣٦٠.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨: ٣٦١.

٦. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَعْطَيْنَا سَادَتَنَا وَكُتِرَاءَنَا﴾ الآية: ٦٧.

فالسادة جمع سيد وهو المالك المعظم، الذي يملك تدبير السواد الأعظم، ويقال للجمع الأكثر السواد الأعظم، يراد به السواد المنافي لشدة البياض والضياء الأعظم^(١).

فصل

قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ تَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ الآية: ٧٢.

الأمانة هي العقد الذي يلزم الوفاء به، مما من شأنه أن يؤتمن على صاحبه، وقد عظم الله شأن الأمانة في هذه الآية وأمر بالوفاء بها، وهو الذي أمر به في سورة المائدة، وعناه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(٢).

وقيل في قوله: ﴿عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ مع أن هذه الأشياء جمادات لا يصح تكليفها أقوال:

أحدها: أن المراد عرضنا على أهل السماوات وأهل الأرض وأهل الجبال^(٣).

١. قارن ٨: ٣٦٤.

٢. قارن ٨: ٣٦٧.

٣. نفس المصدر.

وثانيها: أن المعنى في ذلك تفخيم شأن الأمانة وتعظيم حقها، وأن من عظم منزلتها أنها لو عرضت على الجبال والسموات مع عظمها، وكانت تعلم بأمرها لأشفقت منها، غير أنه خرج مخرج الواقع، لأنه أبلغ من المقدّر^(١).

وقيل: الأمانة ما خلق الله تعالى في هذه الأشياء من الدلائل على ربوبيته، فظهور ذلك منها كأنهم أظهروها، والإنسان جحد ذلك وكفر به^(٢).

((وإنما قال: ﴿فَأَيُّنَ﴾ ولم يقل فأبوا حملاً على اللفظ، ولم يردّه إلى معنى الآدميين، كما قال: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(٣) ﴿فَظَلْتُ أَعْنَقُهُمْ كُلَّهَا خَاضِعِينَ﴾^(٤) حملاً على المعنى دون اللفظ))^(٥).



١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. يوسف: ٤.

٤. الشعراء: ٤.

٥. ما بين القوسين من كلام ابن إدريس ظاهراً ولم يرد في المصدر.

سورة سبأ

فصل

قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ الآية: ١.

الحمد هو الشكر، والشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم،
والحمد هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم، ونقيضه الذم، وهو الوصف
بالقيح على جهة التحقير، ولا يستحق الحمد إلا على الإحسان^(١).

فلما كان إحسان الله لا يوازيه إحسان أحد من المخلوقين، فكذلك لا
يستحق الحمد أحد من المخلوقين مثل ما يستحقه، وكذلك يبلغ شكره إلى حد
العبادة، ولا يستحق العبادة سوى الله تعالى، وإن استحق بعضنا على بعض الشكر
والحمد^(٢).

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ في الأولى يعني في الدنيا بما أنعم على خلقه من فنون
الإحسان ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ (بما) يفعل بهم من الثواب والعوض وضروب التفضل^(٣).

١. قارن ٨: ٣٧٣.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٨: ٣٧٣، وما بين القوسين من المصدر.

والآخرة وإن كانت ليست دار تكليف، فلا يسقط فيها الحمد والاعتراف بنعم الله تعالى، بل العباد ملجأون إلى فعل ذلك، لمعرفةهم الضرورية بنعم الله تعالى عليهم^(١). وما يفعل من العقاب بالمستحقين فيه أيضاً إحسان، لما للمكلفين به في دار الدنيا من اللطاف والزرر عن المعاصي، يفعل الله تعالى العقاب بهم لكونه مستحقاً على معاصيه في دار الدنيا^(٢).

ومن حمد أهل الجنة قولهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ وقولهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾^(٣).

وقيل: إنما يحمده أهل الآخرة من غير تكليف، على وجه السرور به^(٤).

فصل

قوله: ﴿وَلَسُلَيْمَنَّ الرِّيحَ غُدُوَهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ الآية: ١٢.

قال قتادة: كان مسيرها به إلى انتصاف النهار في مقدار مسير شهر، ورواحها شهر من انتصاف النهار إلى الليل في مقدار مسير شهر^(٥).

وقال الحسن: كان يغدو من الشام إلى بيت المقدس، فيقبل باصطخر من أرض اصبهان، ويروح منها فيكون بكابل^(٦).

١. قارن ٨: ٣٧٤.

٢. قارن ٨: ٣٧٤، وما بين القوسين من المصدر.

٣. قارن ٨: ٣٧٤.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨: ٣٨٢.

٦. نفس المصدر.

﴿وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ قال ابن عباس وقتادة: أذنا له النحاس، والقطر النحاس^(١).

فصل

قوله: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ﴾ الآية: ١٦.

لما أخبر الله تعالى عن سبأ، وهي القبيلة من اليمن أنه أنعم عليهم بالجنتين وبالبلدة الطيبة، وأمرهم بشكر نعمه ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن ذلك، جازاهم الله على ذلك بأن أرسل عليهم سيل العرم، وسلبهم تلك النعمة، وأنزل بهم البلية^(٢).
والسيل الماء الكثير الذي لا يمكن ضبطه ولا دفعه^(٣).

وقيل: العرم ماء كثير أرسله الله في السد، فشقه وهدمه، قال الراجز:

أقبل سيل جاء من أمر الله يحرد حرد الجنة المغلة^(٤)

وقيل: إن العرم المسناة التي تحبس الماء واحدا عرمة، وهو مأخوذ من عرامة الماء، وهو ذهابه كل مذهب، قال الأعشى:

ففي ذلك للمؤتسي اسوة ومأرب قفى عليه العرم

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٣٨٧.

٣. نفس المصدر.

٤. الرجز ورد في اللسان (غلل) والصاحح (حرد) غير منسوب، وكذا في جملة من التفاسير كالرازي والقرطبي والطبري والسمعاني وغيرهم.

رخام بنته له حمير إذا جاء ماؤهم لم يرم^(١)

وقيل: كان سببه زيادة الماء حتى غرقوا به^(٢).

وقيل: كان سببه نقب جرد بثق عليهم السكر^(٣)، وقيل: العرم السكر^(٤).

وقيل: المطر الشديد^(٥)، وقيل: هو اسم واد^(٦)، وقيل: هو الجرد الذي نقب السكر^(٧).

والأكل جني الثمار الذي يؤكل، والخمط كل نبت قد أخذ طعماً من المرارة حتى لا يمكن أكله، في قول الزجاج، وقال أبو عبيدة: هو كل شجر ذي شوك، وقال ابن عباس والحسن: هو شجر الأراك وهو معروف^(٨).

والائل الطرفا، قال قتادة: بدلوا بخير الشجر شر الشجر، فالخمط شجر له ثمر مر، والائل ضرب من الخشب مثل الطرفا إلا أنه أكبر^(٩).

فصل

قوله: ﴿ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾

١. ديوان الأعشى الكبير: ٤٣ ط النموذجية بمصر شرح وتعليق الدكتور م. محمد حسين.

٢. قارن ٨: ٣٨٧.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

٨. قارن ٨: ٣٨٨.

٩. نفس المصدر.

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿الآية: ٢٣ - ٢٤﴾.

قوله: ﴿الْعَلَىٰ الْكَبِيرُ﴾ أي الله المستعلى على الأشياء بقدرته، لا من علو المكان ﴿الْكَبِيرُ﴾ في أوصافه دون ذاته، لأن كبر الذات من صفات الأجسام^(١).

ثم قال: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

وقيل: إنما قال: ﴿إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ على وجه الإنصاف في الحجاج دون الشك، كما يقول القائل لغيره: أأحدنا كاذب وإن كان هو عالماً بالكاذب^(٢)، وعلى هذا قال أبو الأسود الدؤلي يمدح أهل البيت:

يقول الأزدلون بنو قشير طوال الدهر ما تنسى علياً
بنو عثم النبي وأقربوه أحب الناس كلهم إليا
فإن يك حبههم رشداً أصبه ولست بمخطئ إن كان غياً^(٣)

١. قارن ٨: ٣٩٤.

٢. نفس المصدر.

٣. الأبيات من جملة ١٣ بيتاً في ديوانه: ١٧٦ - ١٧٩ تحيد الكريم الدجيلي ط بغداد سنة ١٣٧٣ هـ وقد علق على البيت كما هو في المتن نقلاً عن أنباء الغفطي ((ولست بمخطئ إن كان غياً)) فقالت له بنو قشير: شككت يا أبا الأسود في قولك فإن يك حبههم الخ فقال: أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، وحكي في ص ١٧٩ عن تهذيب تاريخ ابن عساكر لابن بدران عن أبي بكر الهذلي: كتب معاوية إلى عبيد الله بن زياد: إن عرفت أبا الأسود وإلا فاسأل عنه ثم أخبره أنه قد شك في دينه، فإذا قال: بماذا؟ فأخبره بقوله: فإن يك حبههم رشداً الخ، فبعث عبيد الله إلى أبي الأسود وأخبره بمقالة معاوية، فقال أبو الأسود: اقرأه السلام وأخبره بأنني قلت كما قال العبد الصالح: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أفتراه شك في دينه؟!

ولم يقل هذا مع أنه كان شاكاً في محبتهم، وأنه هدى وطاعة.
وقال أكثر المفسرين: إن معناه أنا لعلي هدى وإياكم لعلي ضلال^(١).
وقال أبو عبيدة: ﴿أَوْ﴾ بمعنى الواو، كما قال الأعشى:
أثعلبة الفوارس أوريحاً عدلت بهم طهية والخشبا^(٢)

فصل

قوله: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ الآية: ٥٠.

أي: إن عدلت عن الحق ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾ لأن ضرره يعود عليّ، لأنني أؤاخذه به دون غيري ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ﴾ إلى الحق ﴿فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ أي يسمع دعاء من يدعوه قريب إلى إجابته^(٣).

وفي الآية دلالة على فساد قول المجبرة، لأنه قال: ﴿إِنْ ضَلَلْتُ﴾ فأضاف الضلال إلى نفسه، ولم يقل فبقضاء ربي وإرادته^(٤).



١. قارن ٨: ٣٩٤.

٢. قارن ٨: ٣٩٤، والبيت ليس للأعشى لم أفق عليه في ديوان الأعشى الكبير تحال الدكتور م محمد حسين، وهو من شعر جرير كما في ديوانه: ٦٦ تحال الصاوي، ومجاز القرآن ٢: ١٧٥.

٣. قارن ٨: ٤٠٧.

٤. نفس المصدر.

سورة الملائكة^(١)

فصل

قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا^٢ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَثْقَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ^٣ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ الآية: ١١.

هذا خطاب من الله تعالى لجميع الخلق من البشر أنه خلقهم من تراب، ويريد أنه آدم الذي هو أبوهم، ومنه انتسلوا خلقه من تراب، ومنه توالدوا^(٢).

١. هكذا وردت تسمية السورة مع أن الشيخ الطوسي سماها سورة فاطر كما هو معروف في جميع المصاحف المطبوعة من نسخ القرآن، نعم قد وردت التسمية للسورة بسورة الملائكة في جملة من المصادر القديمة ففي مجاز القرآن صنعة أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ / ٢: ١٥٢ تحسزكين ط مصر الأولى، وتفسير عبد الرزاق (ت: ٢١١) ٣: ٦٨ ط دار الكتب العلمية وردت التسمية بذلك، وكذا في كتاب متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار (ت ٤١٥) ق ٢ / ٥٧١ تحرزور ط دار التراث بمصر وردت التسمية بذلك في جملة من التفاسير كتفسير البضاي ومجمع البيان للطبرسي وتفسير الصافي للفيض الكاشاني وذكر الشيخ طاهر الجزائري في كتاب التبيان: ١٢٧ ط المنار سنة ١٣٣٤ق: سورة فاطر وتسمى بسورة الملائكة، فعلى هذا لا يستغرب القارئ من المؤلف اختار تسمية السورة بسورة الملائكة .

وقيل: إن المراد به جميع الخلق، لأنهم إذا خلقهم من نطفة، والنطفة تستحيل من الغذاء، والغذاء يستحيل من التراب، فكأنه خلقهم من تراب، ثم جعل التراب نطفة بتدريج^(١).

وعلى الأول يكون قوله: ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ معناه: ثم خلق أولاد آدم من نطفة إلا من استثناه من عيسى في قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾^(٢).

وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي أشكالا، لأن الزوج هو الذي معه آخر من شكله، فالانثان زوجان^(٣).

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُ﴾ معناه ليس تحمل الأنثى من حمل بولد، ولا تضعه لتمام أو لغير تمام، والله تعالى عالم به، لا أن علمه آلة في ذلك، ولا يدل ذلك على أن له علماً يعلم به، لأن المراد ما ذكرناه، من أنه لا يحصل شيء من ذلك إلا وهو عالم به^(٤).

وقوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾ فالعمر مدة الأجل للحياة، وهو تفضل من الله تعالى على خلقه، يختلف مقداره بحسب ما يعلم من مصالح خلقه، كما يختلف الغنى والفقر والقوة والضعف^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٤١٨، والآية في سورة آل عمران: ٥٩.

٣. قارن ٨: ٤١٨.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ الآية: ١٩.

معناه: لا يتساوى الأعمى عن طريق الحق والعدل عنها، والبصير الذي يهتدي إليها قط، لأن الأول يستحق العقاب، والثاني يستحق الثواب^(١).

فصل

قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ

ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ

ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ الآية: ٣٢.

الاصطفاء الاختيار باخراج الصفوة من العباد^(٢).

ومعنى الآية أن الله تعالى أورث علم الكتاب الذي هو القرآن الذين اصطفاهم واجتباهم واختارهم على جميع الخلق من الأنبياء المعصومين، والأئمة المجتبيين، الذين لا يجوز عليهم الخطأ ولا فعل القبيح، ولا صغيراً ولا كبيراً، ويكون قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ راجعاً إلى عباده^(٣).

١. قارن ٨: ٤٢٣.

٢. قارن ٨: ٤٢٩.

٣. قارن ٨: ٤٣٠.

وتقديره: فمن عبادنا ظالم لنفسه، ومن عبادنا مقتصد، ومن عبادنا سابق بالخيرات، لأن من اصطفاه الله تعالى لا يكون ظالماً لنفسه، ولا يجوز أن يرجع الكناية إلى الذين اصطفينا^(١).

وقال ابن عباس: الذين أورثهم الله الكتاب هم أمة محمد، ورثهم الله كل كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسبه حساباً يسيراً، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب، وبه قال ابن مسعود وكعب الأحبار، ومعنى الإرث انتهاء الحكم إليهم^(٢).



١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٤٣٠.

سورة يس

فصل

قوله: ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ * [لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ] * إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ أَغْشَاءً فَهُمْ إِلَى آلَاءِنَا أَكْفَرُونَ * [مُقَمِّحُونَ] ﴿الآيات: ٦ - ٨﴾.

معناه: أنه أنزل القرآن ليخوف به من معاصي الله قوماً لم ينذر آباؤهم، قيل: أراد به قريشاً أنذروا بنوة محمد^(١).

وقيل في معناه قولان:

أحدهما: قال عكرمة: معناه لتنذر قوماً مثل الذي أنذر آباؤهم.

الثاني: قال قتادة: معناه لتنذر قوماً لم ينذر آباؤهم قبلهم، يعني في زمان الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ عما تضمنته القرآن وعما أنذر الله به من نزول العذاب^(٢).

ومثل الغفلة السهو، وهو ذهاب المعنى عن النفس، ومثله النسيان، وهو ذهاب الشيء عن النفس بعد حضوره فيها^(٣).

وقوله: ﴿فَهُمْ مُقَمِّحُونَ﴾ فالمقمح الغاض بصره بعد رفع رأسه^(٤).

١. قارن: ٨: ٤٤٢.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن: ٨: ٤٤٣.

٤. نفس المصدر.

وقيل: هو المقنع، وهو الذي يجذب ذقنه حتى يصير في صدره ثم يرفع، والقمح من هذا رفع الشيء إلى الفم، والبعر القامح هو الذي إذا أورد الماء في الشتاء رفع رأسه وشال به نصباً لشدة البرد^(١)، قال الشاعر:

ونحن على جوانبها قعود نغض الطرف كالاهل القماح^(٢)

فصل

قوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ الآية: ١٢.

معناه: أحصينا كل شيء أحصيناه في كتاب ظاهر، وهو اللوح المحفوظ^(٣).

والوجه في احصاء ذلك في إمام مبين اعتبار الملائكة به إذا قابلوا به ما يحدث من الأمور، وكان فيه دليل على معلومات الله على التفصيل^(٤).

فصل

قوله: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ الآية: ٤٠.

يعني الشمس والقمر والكواكب يسبحون في الفلك، وإنما جمعه بالواو والنون لما أضاف إليها أفعال الآدميين^(٥).

وقيل: الفلك مواضع النجوم من الهواء الذي يجري فيه ومعنى ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يسرون فيه بانبساط، وكل ما انبسط في شيء فقد سبح، ومنه السباحة في الماء^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٤٤٣، والبيت لبشر بن أبي خازم الأسدي كما في مجاز القرآن ٢: ١٧٥، قاله وهو يصف سفينة كما في تفسير القرطبي ١٥: ٨.

٣. قارن ٨: ٤٤٧.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨: ٤٦٠.

٦. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ * [قَالُوا يَتَوَلَّوْنَا مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا ۖ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ * إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ الآيات: ٥١-٥٣.

قيل: إن الصور قرن ينفخ فيه اسرافيل، فيخرج من جوفه صوت عظيم تميل العباد إليه، لأنه كالداعي لهم إلى نفسه^(١).

وقال أبو عبيدة: الصور جمع صورة مثل بسرة وبسر، وهو مشتق من الميل، صار به يصوره صوراً إذا أماله، ومنه قوله: ﴿فَصُرُّهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي أملهن إليك ومنه الصورة لأنها تميل إلى مثلها بالمشاكلة^(٢).

ثم حكى ما يقول الخلائق إذا حشروا، فبأنهم يقولون: ﴿يَا وَتِلْكَ مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا﴾ أي من حشرنا من منامنا الذي كنّا فيه نياماً، ثم يقولون: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَانُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ فيما أخبرونا عن هذا المقام وعن البعث^(٣).

فإن قيل: هذا ينافي قول المسلمين الذين يقولون: الكافر يعذب في قبره، لأنه لو كان معذباً لما كان في المنام^(٤).

١. قارن ٨ ٤٦٦.

٢. قارن ٨ ٤٦٦، والآية في سورة البقرة: ٢٦٠.

٣. قارن ٨ ٤٦٦.

٤. نفس المصدر.

قيل: يحتمل أن يكون العذاب في القبر، و ((لا)) يتصل إلى يوم البعث^(١)، فتكون النومة بين الحالين^(٢).

ويحتمل لو كان متصلاً أن يكون ذلك عبارة عن عظم ما يشاهدونه ويحضرون فيه يوم القيامة: فكأنهم كانوا قبل ذلك في مرقد، وإن كانوا في عذاب لما كان قليلاً بالإضافة إلى الحاضر^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا^ط أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ

* هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ

تَكْفُرُونَ * الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ

أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الآيات: ٦٢ - ٦٥.

يعني: أضلّ عن الدين الشيطان ﴿مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ أي خلقاً كثيراً، وإضلاله إياهم هو اغواؤه لهم، كما أضلّ السامري قوم موسى لما دعاهم إلى عبادة العجل، فكان الإضلال على هذا الوجه قبيحاً^(٤).

فأما إضلال الله تعالى للكفار عن طريق الجنة إلى طريق النار، أو إضلالهم بمعنى الحكم عليهم بالضلال، فهو حسن، وأمر الشيطان بالضلال الذي يقع معه القبول لإضلال، كما يسمّى الأمر بالاهتداء الذي يقع عنده القبول هدى^(٥).

١. قارن ٨: ٤٦٦، وما بين القوسين من المصدر.

٢. قارن ٨: ٤٦٦.

٣. قارن ٨: ٤٦٧.

٤. قارن ٨: ٤٧٠.

٥. نفس المصدر.

وفي الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة في إرادة الله تعالى إضلالهم، لأن ذلك أضرّ عليهم من إرادة الشيطان وأشدّ عليهم في إيجاب العداوة^(١).

ثم أخبر تعالى بأنه يختم على أفواه الكفار يوم القيامة، فلا يقدرّون على الكلام والنطق ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ وقيل في معنى شهادة الأيدي قولان:

أحدهما: أن الله تعالى يخلقها خلقة، يمكنها أن تتكلّم وتنتطق وتعترف بذنوبها^(٢).

والثاني: أن يجعل الله فيها كلاماً ونسب إليها لما ظهر من جهتها^(٣). وقال قوم: أنه يظهر فيها من الإمارات ما يدلّ على أنّ أصحابنا عصوا بها وجنوا بها أقبح الجنایات، فسَمّي ذلك شهادة، كما يقول القائل: عيناك تشهد بسهرك، قال الشاعر:

امتلاً الحوض وقال قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني^(٤)
وكلّ ذلك جائز.

فصل

قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ^٥ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ * [لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ]﴾
الآيات: ٦٩ - ٧٠.

١. نفس المصدر .

٢. قارن ٤٧١ : ٨ .

٣. نفس المصدر .

٤. قارن ٤٧١ : ٨ ، والبيت من أبيات الشواهد ولم ينسب في جملة المصادر التي رأيتها .

معناه: ما علّمناه الشعر، لأنّا لو علّمناه لدخلت به الشبهة على قوم فيما أتى به من القرآن، وأنّه قدر على ذلك بما ((في)) طبعه من الفطنة للشعر^(١).
وقوله: ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ قيل: معناه من كان مؤمناً، لأنّ الكافر شبهه ومثله بالأموات في قوله ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾^(٢).

فصل

قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ الآية: ٨٠.

فبيّن أنّ من قدر على أن يجعل في الشجر الأخضر الذي هو في غاية الرطوبة ناراً حامية مع تضاد النار للرطوبة، حتى إذا احتاج الإنسان حك بعضه ببعض، وهو المرخ والعفار فمن قدر على ذلك لا يقدر على الإعادة؟^(٣).
ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ والمعنى بذلك الإخبار عن سهولة الفعل عليه، وأنّه إذا أراد فعل شيء فعله، بمنزلة ما يقول للشيء ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ في الحال، وهو مثل قول الشاعر:

وقالت له العينان سمعاً وطاعة وحدرتا بالدر لما يثقب
وإنّما أخبر عن سرعة دمه دون أن يكون قولاً على الحقيقة^(٤).



١. قارن ٨: ٤٧٣.

٢. قارن ٨: ٤٧٤، والآية في سورة النحل: ٢١.

٣. قارن ٨: ٤٧٩.

٤. قارن ٨: ٤٧٩، والبيت من الشواهد ولم أقف على قائله في جملة المصادر.

سورة الصافات

فصل

قوله: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾

الآيات: ١ - ٣.

وقال مسروق وقتادة والسدي: إن الصافات صفاً هي الملائكة مصطفون في السماء^(١).

﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ قال السدي ومجاهد: هم الملائكة يزجرون الخلق عن المعاصي زجراً، يوصل الله مفهومه إلى قلوب العباد، كما يوصل مفهوم اغواء الشيطان إلى قلوبهم ليصح التكليف، وقيل: إنها تزجر السحاب في سوقه^(٢).

وقوله: ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال: أحدهما: قال مجاهد والسدي هم الملائكة تقرأ كتب الله تعالى^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ الآية: ٩.

١. قارن ٨: ٤٨٢.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد: معناه أن لهم مع ذلك أيضاً عذاب دائم يوم القيامة، ومنه قوله: ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾^(١) أي: دائماً، قال أبو الأسود:

لا أشتري الحمد القليل بقاؤه يوماً بدم الدهر أجمع واصباً^(٢)

فصل

قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ الآية: ١١.

والمراد أن خلق آدم من طين، وأن هؤلاء نسله وذريته، فكأنهم خلقوا من الطين^(٣).

ومعنى ﴿لَّازِبٍ﴾ لازم، وقال ابن عباس: اللازب الملتصق من الطين الحر الجيد، وقال قتادة: هو الذي يلتزق باليد^(٤).

ومن قال معنى ﴿لَّازِبٍ﴾ لازم، قال: أبدلت من الميم الباء، لأنها مخرجها، يقولون: طين لازم وطين لازب، قال النابغة:

ولا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون الشر ضربة لازب^(٥)

فصل

قوله: ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ الآية: ٢٨.

١. قارن ٨: ٤٨٤، والآية في سورة النحل: ٥٢.

٢. قارن ٨: ٤٨٤، والبيت في ديوان أبي الأسود: ١٠١ تحال يس.

٣. قارن ٨: ٤٨٤.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨: ٤٨٦، والبيت في ديوان النابغة الذبياني من الستة دواوين: ٣.

حكاية ما يقول الكفار لمن قبلوا منهم: أنكم كنتم تأتوننا من جهة النصيحة واليمين والبركة، فلذلك اغتررنا بكم، والعرب تيمين بما جاء من جهة اليمين^(١).

وقال الفراء: معناه أنكم كنتم تأتوننا من قبل اليمين، فتخدعوننا من أقوى الوجوه، واليمين القوة، ومنه قوله: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ أي بالقوة^(٢).

فصل

قوله: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا﴾ الآية: ٣١.

أخبروا أيضاً وقالوا: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾ أيضاً، أي وجب علينا ﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾ فأننا لا نؤمن، ونموت على الكفر، أو وجب علينا قول ربنا بالعذاب الذي يستحق على الكفر والاعواء^(٣).

﴿إِنَّا لَذَاتُنْثُونٌ﴾ العذاب، بمعنى أنا ندركه كما ندرك المطعوم بالذوق^(٤).

فصل

قوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ الآية: ٤٧.

معناه: لا يكون في ذلك الشراب ﴿غَوْلٌ﴾ أي فساد يلحق العقل خفياً، يقال: اغتاله اغتيالاً إذا أفسد عليه أمره، ومنه الغيلة وهي القتل سرّاً^(٥).

١. قارن ٨ : ٤٩١.

٢. قارن ٨ : ٤٩١، والآية في سورة الصافات: ٩٣.

٣. قارن ٨ : ٤٩٢.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨ : ٤٩٥.

وقال ابن عباس: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ معناه لا يكون فيها صدادع ولا أذى، كما يكون في خمر الدنيا، قال الشاعر:

وما زالت الكأس تغتالنا وتسذهب بالأول الأول^(١)

فهذا من الغيلة، أي نصرع واحد بعد واحد ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزِفُونَ﴾ أي ولا يسكرون، والنزيف السكران لأنه ينزف عقله^(٢).

فصل

قوله: ﴿أَعِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ الآية: ٥٣.

معناه: لمجزيون، مشتق من قولهم ((كما تدين تدان)) أي كما تجزي تجزى، والدين الحساب، ومنه الدين لأن جزاءه القضاء^(٣).

وقال ابن عباس: القرين الذي كان شريكاً له كان من الناس^(٤).
وقال مجاهد: كان شيطاناً^(٥).

فصل

قوله: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ * [أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ] * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَلْيَنْهَبْهُمْ لَّا يَكُونُوا مِمَّنْ فَعَالُونَ

١. قارن ٨: ٤٩٦، والبيت من الشواهد في تفسير القرطبي ١٥: ٧٩، والطبري ٢٢: ٦٤، ومجمع البيان ٨: ٣٠٤ وغيرها.

٢. قارن ٨: ٤٩٦.

٣. قارن ٨: ٤٩٨.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

مِنْهَا الْبُطُونُ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ * إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ * فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُرْغُونَ ﴿٦١-٧٠﴾

الآيات: ٦١ - ٧٠.

يقول الله تعالى في تمام الحكاية عن قول المؤمن للكافر: ﴿لِمِثْلِ هَذَا﴾ يعني لمثل ثواب الجنة ونعيمها ﴿فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ في دار التكليف، ويحسن من العامل أن يعمل العمل للثواب إذا أوقعه على الوجه الذي تدعو إليه الحكمة من وجوب أو ندب^(١).

قال الرماني: ألا ترى أنه لو عمل القبيح ليثاب على ما تدعو إليه الحكمة لاستحق الثواب إذا خلص من الإحباط^(٢).

وهذا الذي ذكره غير صحيح، لأن القبيح لا يجوز أن يستحق عليه الثواب على وجهه، فإن عرض في القبيح وجوه كثيرة من وجوه الحسن، فإنه لا يعتد بها^(٣).

فإن علمنا فيما ظاهره القبيح أنه وقع على وجه يستحق به الثواب، علمنا أنه خرج من كونه قبيحاً، ومثال ذلك إظهار كلمة الكفر عند الإكراه عليها، أو الإنكار لكون نبي بحضرته لمن يطلبه ليقته، فإن هذا وإن كان كاذباً في الظاهر، فلا بد أن يوري المظهر بما يخرج عن كونه كاذباً، ومتى لم يحسن التورية منع الله من إكراهها عليها^(٤).

١. قارن ٨: ٥٠٠.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٨: ٥٠١.

وفي الناس من يقول: يجب عليه الصبر على القتل ولا يحسن منه الكذب^(١)، ومتى كان ممن يحسن التورية ولم يور كان القول منه كذباً وقيحاً ولا يستحق به الثواب^(٢).

فأما الإكراه على أخذ مال الغير، أو إدخال ضرر عليه دون القتل، فمتى علمنا بالشرع وجوب فعل ذلك عند الإكراه أو حسنه، علمنا أنه خرج بذلك من كونه قبيحاً، وأن الله ضمن من العوض عليه ما يخرج به عن كونه قبيحاً، كما نقول في ذبح البهائم، ومتى لم يعلم بالشرع ذلك، فإنه يقبح إدخال الضرر على الغير وأخذ ماله^(٣).

فأما إدخال الضرر على نفسه ببذل مال، أو عمل جراح ليدفع بذلك عن نفسه ضرراً أعظم منه، فإنه يحسن لأنه وجه يقع عليه الإثم، فيصير حسناً، وهذا باب أحكامناه في كتاب الأصول، لا يحتمل هذا الموضع أكثر منه^(٤).
وقوله: ﴿أَذِلَّكَ خَيْرٌ نَزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ﴾ إنما جاز ذلك مع أنه لا خير في الزقوم لأمرين:

أحدهما: على الحذف، بتقدير أسبب هذا الذي أدى إليه خير، أم سبب ذلك النار، كأنهم قالوا فيه خير لما عملوا ما أدى إليه^(٥).
والنزل الفضل طعام له نزل، ونزل، أي فضل ريع^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٥٠٢.

والزقوم قيل: هو ثمر شجرة منكرة جداً من قولهم ((ترقم هذا الطعام)) إذا تناوله على تكره ومشقة شديدة، وقيل: شجرة الزقوم ثمرة مرة خسنة منتنة الرائحة^(١).

وقوله: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ قيل: في تشبيه ذلك برؤوس الشياطين مع أن رؤوس الشياطين لم ترقط ثلاثة أقوال:
أحدها: أن قبح صورة الشيطان متصور في النفس، ولذلك يقولون لشيء يستقبحونه جداً كأنه شيطان، وقال امرؤ القيس:

أبقتلني والمشرقي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال^(٢)
فشبه بأنياب أغوال وهي لم تر، ويقولون: كأنه رأس شيطان وانقلب عليّ كأنه شيطان^(٣).

والثاني: أنه شبه برأس حية تسميها العرب شيطانا^(٤).

الثالث: أنه شبه بنبت معروف برؤوس الشياطين^(٥).

فصل

قوله: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ

مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ الآيات: ٧٥ - ٧٦.

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٥٠٢، والبيت في ديوان امرئ القيس: ١٤١ ط مصر تح السندوبي.

٣. قارن ٨: ٥٠٢.

٤. قارن ٨: ٥٠٣.

٥. نفس المصدر.

فالنجاة هو الرفع من الهلاك، وأصله الرفع، فمنه النجوة المرتفع من المكان، ومنه النجا النجا كقولهم الوحا الوحا، والاستنجاء رفع الحدث^(١).
والكرب الحزن الثقيل على القلب، والكرب تحرير الأرض باصلاحها للزراعة، والكرب هو الذي يحمي قلب النخلة باحاطته بها وصيانتها لها^(٢).

فصل

قوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ ﴿وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ الآيات: ٨١ - ٨٣.

الشيعة الجماعة التابعة لرئيس لهم، وصار بالعرف عبارة عن شيعة علي عليه السلام الذين معه على أعدائه^(٣).
وقيل: من شيعة نوح إبراهيم، يعني أنه على منهاجه وسنته في التوحيد والعدل واتباع الحق^(٤).

فصل

قوله: ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ الآيات: ٨٨ - ٨٩.
قيل: معناه ﴿نَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ أنه استدلل بها على وقت حمى كانت تعتاده ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ومن أشرف على شيء جاز أن يقال: أنه فيه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٥) ولم يكن نظره في النجوم على حسب نظر

١. قارن ٨: ٥٠٥.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٨: ٥٠٧.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨: ٥٠٩، والآية في سورة الزمر: ٣٠.

المنجمين طلباً للأحكام، لأن ذلك فاسد^(١)، ومثله قول الشاعر:

أسهري ما سهرت أم حكيم واقعدي مرة لذاك وقومي

وافتحني الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم^(٢)

وقال الزجاج: نظر في النجوم كنظرهم، لأنهم كانوا يتعاطون علم النجوم فتوهموا هم أنه يقول مثل قولهم، فقال عند ذلك: «إِنِّي سَقِيمٌ» فتركوه ظناً منهم أن نجمة يدل على سقمه^(٣).

وقال أبو مسلم: معناه أنه نظر فيها نظر مفكر، فاستدل بها على أنها ليست آلهة له، كما قال تعالى في سورة الأنعام: «فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي» تمام الآيات، وكان هذا منه في زمان مهلة النظر^(٤).

وهذا الذي ذكره يمنع منه سياق الآية، لأن الله تعالى حكى عن إبراهيم أنه جاء ربه بقلب سليم، يعني سليم من الشرك، وذلك لا يليق بزمان مهلة النظر.

ثم أنه قال لقومه على وجه التقيح لفعلهم: «مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَنْفُكَا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ» وهذا كلام عارف بالله مستبصر، فكيف يحمل على زمان مهلة النظر^(٥).

وقيل: في معنى قوله «إِنِّي سَقِيمٌ» أي سقيم القلب فيما أرى من أحوالكم القبيحة من عبادة غير الله وعدولكم عن عبادته، مع وضوح الدلالة الدالة على توحيده، واستحقاقه للعبادة منفرداً بها^(٦).

١. قارن ٨: ٥٠٩.

٢. قارن ٨: ٥٠٩، والشعر من الشواهد ولم يعرف قائله.

٣. قارن ٨: ٥٠٩.

٤. قارن ٨: ٥٠٩، والآية في سورة الأنعام: ٧٦.

٥. قارن ٨: ٥٠٩.

٦. نفس المصدر.

وقيل: معناه أي سأسقم في المستقبل^(١).

فأما من قال: إنه لم يكن سقيماً، وإنما كذب فيه ليتأخر عن الخروج معهم إلى عيدهم ليكسر أصنامهم، وأنه يجوز الكذب في المكيدة والتقية، فقوله باطل لأن الكذب قبيح لا يحسن على وجه^(٢).

فأما ما يروونه من أن النبي ﷺ قال: ما كذب أبي إبراهيم إلا ثلاث كذبات يحاجز بها عن ربه، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ولم يكن كذلك، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ وقوله في سارة أنها أختي وكانت زوجته^(٣).

فأول ما فيه أنه خبر واحد لا يعول على مثله، والنبي ﷺ أعرف بما يجوز على الأنبياء وما لا يجوز من كل أحد^(٤).

وقد دلت الأدلة العقلية على أن الأنبياء لا يجوز أن يكذبوا فيما يؤذونه عن الله، من حيث أنه كان يؤدي إلى أن لا يثق بشيء من أخبارهم، وإلى أن لا تنزاح علة المكلفين، ولا في غير ما يؤذونه عن الله، من حيث أن تجوز ذلك ينفر عن قبول قولهم، فاذاً يجب أن يقطع على أن الخبر لا أصل له^(٥).

ولو سلم لجاز أن يكون المعنى ما ظاهره ظاهر الكذب، وإن لم يكن في الحقيقة كذباً، لأن قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ قد بينا الوجه فيه، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ بيناه في موضعه.

١. قارن ٨: ٥١٠.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

وقوله في سارة أنها أختي، معناه أنها أختي في الدين، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ فجعلهم أخوة وإن لم يكونوا بني أب واحد^(١).

فصل

قوله: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ [فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْقُونَ] قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُوا آبَاؤُنَا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ * وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ الآيات: ٩٣ - ١٠١.

١. قارن ٨: ٥١٠، والآية في سورة الحجرات: ١٠.

والخبر المشار إليه أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وربما غيرهم عن أبي هريرة، فأحدث ببلدة لدى المفسرين في توجيهه ولكل وجهة هو موليها، غير أن الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب ٧: ١٥١ ط العامرة العثمانية ذكر وجوهاً منها الوجه السابع قال بعضهم: ذلك القول عن إبراهيم عليه السلام كذبة ورووا فيه حديثاً عن النبي ﷺ أنه قال: ما كذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، قلت لبعضهم: هذا الحديث لا ينبغي أن يقبل، لأن نسبة الكذب إلى إبراهيم لا تجوز، فقال ذلك الرجل: فكيف يحكم بكذب الرواة العدول؟ فقلت: لما وقع التعارض بين نسبة الكذب إلى الراوي وبين نسبته إلى الخليل عليه السلام، كان من المعلوم بالضرورة أن نسبته إلى الراوي أولى، ثم نقول: لم لا يجوز أن يكون المراد بكونه كذاباً خبراً شبيهاً بالكذب، انتهى ما قاله الرازي، وهو جيد ووجيه.

أقول: ومراده بكونه كذاباً خبراً شبيهاً بالكذب، يعني المعارض، وهو أن يقول الرجل شيئاً يقصد به غيره، ويفهم منه غير ما يقصده، ولا يكون ذلك كذباً، فإن الكذب قبيح لعينه، ولا يجوز ذلك على الأنبياء، لأنه يرفع الثقة بقولهم، جلّ أئمة الله تعالى وأصفياءه عن ذلك، وقد ورد في الخبر: أن في المعارض لمندوحة عن الكذب باقتباس عن مجمع البيان ٤: ٤٥٠ ط صيدا، على أن في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ مريم: ٤١ ينفي كل ما رواه أبو هريرة في هذا وهو أولى بالكذب، فقد أكذبه عمر وعلي وعائشة راجع كتاب أبو هريرة للسيد شرف الدين، وكتاب شيخ المضيرة للشيخ محمود أبو رية رحمها الله تعالى تجد نماذج من كذبه.

قيل في معناه قولان:

أحدهما: أنه مال عليهم بيده اليمنى، لأنها أقوى على العمل من الشمال.

الثاني: بالقسم ليكسرنها، لأنه كان قال: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾^(١).

وقال الفراء: اليمين القوة، ومنه قول الشاعر:

تلقاها عرابية باليمين^(٢)

قوله: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ الألف ألف

استفهام ومعناها الإنكار، ووجه التوبيخ أنه كيف يصح أن يعبد الإنسان ما يعمله بيده، فإنهم كانوا الذين ينحتون الأصنام بأيديهم، فكيف تصح عبادة من هذه حاله، مضافاً إلى كونها جماداً^(٣).

ثم نبههم فقال: ﴿وَاللَّهُ﴾ تعالى هو الذي ﴿خَلَقَكُمْ﴾ وخلق الذي

﴿تَعْمَلُونَ﴾ فيه من الأصنام، لأنها أجسام، والله تعالى هو المحدث لها، وليس للمجبر أن يتعلق بقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيقول: ذلك يدل على أن الله خالق لأفعالنا، لأمر^(٤):

أحدها: أن موضوع كلام إبراهيم مبني على التقريع لهم لعبادتهم الأصنام، فلو كان ذلك من فعله تعالى لما توجه عليهم العتب، بل كان لهم أن يقولوا: ولم يوبخنا على عبادتنا للأصنام والله الفاعل لذلك، وكانت تكون الحجة لهم لا عليهم^(٥).

١. قارن: ٥١٢، والآية في سورة الأنبياء: ٥٧.

٢. قارن: ٥١٢، والبيت من الشواهد وصدوره: (إذا ما راية رفعت لمجد)، من شعر الشماخ بن ضرار.

٣. قارن: ٥١٣.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

الثاني: أنه قال لهم: ﴿اتَّعْبُدُونِ مَا تَنْحِتُونَ﴾ ونحن نعلم أنهم لم يكونوا يعبدون نحتهم الذي هو فعلهم، وإنما كانوا يعبدون الأصنام التي هي الأجسام، وهي فعل الله بلا شك، فقال لهم: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ وخلق هذه الأجسام.

ومثله قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾^(١) ومثله قوله: ﴿وَأَلْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا﴾ وعصى موسى لم تكن تلقف إفكهم، وإنما كانت تلقف الأجسام التي هي العصي والحبال^(٢).

ومنها أن ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ لا يخلو أن تكون بمعنى ((الذي)) أو مع ما بعدها بمنزلة المصدر، فإن كانت بمعنى الذي فـ ﴿تَعْمَلُونَ﴾ صلتها، ولا بد لها من عائد يعود إليها، وليس لهم أن يقدروا فيها ضمير الهاء ليصح ما قالوه، لأن لنا أن نقدّر ضميراً فيه فيصح ما نقوله^(٣).

ويكون التقدير: وما يعملون فيه، والذي يعملون فيه هي الأجسام، وإن كانت مصدرية، فإنه يكون تقديره: والله خلقكم وعملكم، ونفس العمل يعبر به عن المعمول فيه، بل لا يفهم في العرف إلا ذلك، يقولون: فلان يعمل الخوص، وفلان يعمل السروج، وهذا الباب من عمل النجار، والخاتم من عمل الصائغ، ويريدون بذلك كله ما يعملون فيه^(٤).

فعلى هذا تكون الأوثان عملاً لهم بما يحدثون فيها من النحت والنجر، على أنه تعالى أضاف العمل إليهم بقوله: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ فكيف يكون ما هو مضاف إليهم مضافاً إلى الله تعالى، وهل يكون ذلك إلا متناقضاً^(٥).

١. الأعراف: ١١٦.

٢. قارن ٨: ٥١٣، والآية في سورة طه: ٦٩.

٣. قارن ٨: ٥١٤.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

ومنها أن الخلق في أصل اللغة: هو التقدير للشيء وترتيبه، فعلى هذا لا يمتنع أن نقول: إن الله خالق أفعالنا، بمعنى أنه قدّر لها الثواب والعقاب، فلا تعلق للقوم على حال^(١).

فصل

قوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْهَبُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [قَالَ يَتَأْتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّزِهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلْتَأُ الْمُمِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ.]

الآيات: ١٠٢ - ١١١.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ﴾ مع أبيه ﴿السَّعْيَ﴾ يعني في طاعة الله، قال الحسن: سعى للعمل الذي تقوم به الحجة^(٢)، وقال مجاهد: ﴿بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ معناه أطاق أن يسعى معه ويعينه على أموره، وهو قول الفراء^(٣)، وقال ابن زيد: السعي في العبادة^(٤).

﴿قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْهَبُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ وكان الله تعالى أوحى إلى إبراهيم في حال اليقظة، وتعبده أن يمضي ما يأمره به في حال

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٥١٦ ج ٨.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

نومه، من حيث أنَّ منامات الأنبياء لا تكون إلاً صحيحة، ولو لم يأمره به في اليقظة لما جاز أن يعمل على المنامات، أحب أن يعلم حال ابنه في صبره على أمر الله وعزيمته على طاعته، فلذلك قال له: ﴿مَاذَا تَرَى﴾ وإلاً فلا يجوز أن يوامر في الماضي في أمر الله ابنه، لأنه واجب على كل حال^(١)، ولا يمتنع أن يكون فعل ذلك بأمر الله أيضاً، فوجده عند ذلك صابراً مسلماً لأمر الله^(٢).

﴿فَلَمَّا أَسْلَمًا﴾ يعني إبراهيم وابنه أي استسلما لأمر الله ورضيا به أخذ ابنه ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ معنى تلّه صرعه، والجبين ما عن يمين الجبهة أو شمالها، وللوجه جبينان الجبهة بينهما، وقال الحسن: معنى تلّه أضجعه^(٣).

واختلفوا في الذبيح، فقال ابن عباس وعبد الله بن عمر ومحمد بن كعب القرظي وسعيد بن المسيب والحسن في إحدى الروايتين عنه والشعبي: أنه كان إسماعيل وهو الظاهر في روايات أصحابنا، ويقويه قوله بعد هذه القصة وتامها ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فدلّ على أن الذبيح كان إسماعيل^(٤).

ومن قال: أنه بشر بنبوة إسحاق دون مولده فقد ترك الظاهر، لأن الظاهر يقتضي البشارة بإسحاق دون نبوته^(٥).

ويدلّ عليه أيضاً قوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾^(٦) ولم يذكر إسماعيل، فدلّ على أنه كان مولوداً قبله، وأيضاً فإنه بشره بإسحاق

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٥١٧.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨: ٥١٨.

٦. هود: ٧١.

وأنه سيولد له يعقوب، فكيف يأمره بذبحه مع ذلك، وأجابوا عن ذلك بأن الله لم يقل أن يعقوب يكون من ولد إسحاق، وقالوا أيضاً: يجوز أن يكون أمره بذبحه بعد ولادة يعقوب^(١).

والأول هو الأقوى على ما بيناه، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا ابن الذبيحين» ولا خلاف أنه كان من ولد إسماعيل، والذبيح الآخر عبد الله أبوه^(٢).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٨: ٥١٨، والحديث بهذا اللفظ أورده غير واحد في جملة من التفاسير كما في تفسير القرطبي ١٥: ١١٣، والسيوطي في الدر المنثور ٥: ٢٨١، وتفسير الطبري في ٢٣: ٥٤، وتفسير الكشاف: ١٤١، وتفسير الرازي ٧: ١٥٥ وغيرهم، ومع ذلك قال الزيلعي في نصب الراية وابن حجر في الهداية في تخريج أحاديث نصب الراية: لم نجده بهذا اللفظ وقال السخاوي في المقاصد الحسنة: حديث ابن الذبيحين رواه الحاكم في المتأقب من المستدرک وساق حديث الاعرابي الذي شكاه الفاقه للنبي ﷺ فقال: فعد عليّ ما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين. فتبسم رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه.

وقال القسطلاني في المواهب والزرقاني في شرحها: وعند الحاكم في المستدرک وابن جرير وابن مردويه والثعلبي في تفاسيرهم... والحديث حسن بل صححه الحاكم والذهبي لتقويه بتعدد طرقه. وقال ابن القيم في زاد المعاد: إسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولابن تيمية رسالة القول الملبح في تعيين الذبيح رجع فيها القول بأن الذبيح إسماعيل. ويعجني قول أبي عمرو بن العلاء في هذا المقام وقد سأله الأصمعي عن الذبيح فقال: يا أصمعي أين عقلك ومتى كان إسحاق بمكة، وإنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذي بنى البيت مع أبيه، والمنحر بمكة.

وأما الذبيح الثاني فهو عبد الله بن عبد المطلب، قد نذر أبوه إن آتاه الله عشرة من البنين الذكور ينحر واحداً منهم، ولما رزقه الله ما تمنّاه أراد أن يفي بنذره، ودعا أولاده وأخبرهم ودعاهم إلى الوفاء فأطاعوه، فأقرع بينهم، فكان عبد الله الذي يخرج عليه السهم ثلاث مرات، وكان أصغر ولد أبيه وأحبهم إليه، فأخذ عبد المطلب يده وأخذ الشفرة، فتمنعه أحواله بني مخزوم وقالوا له ارض ربك وافد ابنك، ففداه بمائة ناقة، راجع جنى الجنتين للمحبي: ٥١ ط الشرقى بدمشق سنة ١٣٤٨، وكشف الخفاء للعجلوني ١: ١٩٩ ط القدسي بمصر، وموسوعة أطراف الحديث النبوي وغيرها.

وفي الناس من استدلّ بهذه الآية على جواز النسخ قبل وقت فعله، من حيث أن الله تعالى كان أمره بذبح ولده، ثم نسخ عنه قبل أن يفعله^(١).

ولا يمكننا أن نقول: إن الوقت كان قد مضى، لأنه لو أخره عن الوقت الذي أمره به فيه لكان عاصياً، ولا خلاف أن إبراهيم لم يعص بذلك، فدلّ على أنه نسخ عنه قبل وقت فعله^(٢).

ومن لم يجز النسخ قبل وقت فعله، أجاب عن ذلك بثلاثة أجوبة^(٣):

أحدها: أن الله أمر إبراهيم أن يقعد منه مقعد الذابح، ويشد يديه ورجليه ويأخذ المديّة ويتركها على حلقه، وينتظر الأمر بامضاء الذبح على ما رأى في منامه، وكلّ ذلك فعله ولم يكن أمراً بالذبح، وإن سمي مقدمات الذبح بالذبح لقربه منه، وغلبة الظن أنه سيؤمر بذلك على ضرب من المجاز^(٤).

الثاني: أنه أمره بالذبح وذبح، وكلما فرى جزء من حلقه وصله الله بلا فصل حتى انتهى إلى آخره، فاتصل به، وصل الله تعالى قدر فعل ما أمره به، ولم يبين الرأس ولا انتفى الروح^(٥).

الثالث: أنه أمر بالذبح بشرط التخلية والتمكين، فكان كما روي أنه كلما اعتمد بالشفرة، انقلبت وجعل على حلقه صفيحة من نحاس^(٦).

١. قارن ٨ : ٥١٨ .

٢. نفس المصدر .

٣. نفس المصدر .

٤. نفس المصدر .

٥. قارن ٨ : ٥١٩ .

٦. نفس المصدر .

وهذا الوجه ضعيف، لأن الله تعالى لا يجوز أن يأمر بشرط، لأنه عالم بالعواقب وإنما يأمر الواحد منا بشرط ذلك، لأنه لا يعلم العواقب، ولأن فيه أنه أمر بما منع منه وهذا عبث^(١).

وأما شبهة من قال: أنه فداه بذبح، فدل ذلك على أنه كان مأموراً بالذبح على الحقيقة، اعتراضاً على الوجه الأول، لأن من شأن الفداء أن يكون من جنس المفدي، فليس بشيء، لأنه لا يلزم ذلك^(٢).

ألا ترى أن من حلق رأسه وهو محرم يلزمه دم، وكذلك إذا لبس ثوباً مخيطاً أو شَمَ طيباً أو جامع، وإن لم يكن جميع ذلك من جنس المفدي^(٣).

وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ أي الاختبار الظاهر، وقيل: هو النعمة الظاهرة، وتسمى النعمة بلاء والنقمة أيضاً بلاء، من حيث أنها سميت بسببها المؤدي إليها، كما يقال لأسباب الموت هو الموت بعينه^(٤).

والفداء جعل الشيء مكان غيره لدفع الضرر عنه، ومنه فداء المسلمين بالمشركين لدفع ضرر الأسر عنهم، فكذلك فدا الله ولد إبراهيم بالكبش لدفع ضرر الذبح عنه^(٥).

وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ يعني: على إبراهيم ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾ يعني أثينا عليه الثناء الحسن في أمة محمد لأنهم آخر الأمم بأن قلنا: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٨ : ٥٢٠.

٦. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ * [إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ

*** أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾** الآيات: ١٢٣ - ١٢٥.

من أضاف أراد به على آل محمد ﷺ لأن يس اسم من أسماء محمد على ما حكيناه ^(١)، وقال بعضهم: أراد آل إلياس عليه السلام ^(٢).

وقال الجبائي: أراد أهل القرآن، ومن لم يصف أراد إلياس، وقال: إلياسين، لأن العرب تغير الأسماء الأعجمية بالزيادة كما يقولون: ميكائيل وميكائين وفي إسماعيل اسمعين ^(٣)، قال الشاعر:

يقول أهل السوق لما جينا هذا ورب البيت اسرائينا ^(٤)
أي: إسرائيل.

قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ قال الحسن والضحاك وابن زيد: المراد بالبعل ها هنا صنم كانوا يعبدونه ^(٥).

والبعل في لغة أهل اليمن هو الرب، يقولون: من بعل هذا الثوب - أي من ربه - وزوج المرأة بعلها، والنخل والزرع إذا استقى بماء السماء فهو بعل وهو العذي ^(٦).

١. قارن ٨: ٥٢٣.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. البيت من شواهد زاد المسير لابن الجوزي ١: ٦٠، وفيه: وقال أعرابي صاد ضباً فأتى به أهله. وفي تفسير البحر المحيط لم ينسبه لأحد.

٥. قارن ٨: ٥٢٥.

٦. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * [فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحَوْثُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ * وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ الآيات: ١٤٠ - ١٤٨.

معناه: حين هرب إلى السفن المملوءة، فالأبق الفار إلى حيث لا يهتدي إليه طالبه، يقال: أبق العبد يأبق أباقاً فهو أبق إذا فرّ من مولاه، والأبق والهارب والفار واحد^(١).

وقوله: ﴿فَسَاهَمَ﴾ قال ابن عباس: معناه قارع، وهو قول السدي^(٢).

﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ قال مجاهد: يعني من المسهومين، والمساهمة المقارعة، فلما ساهم يونس قومه وقع السهم عليه، فألقي في البحر فالتقمه الحوت فكان من المدحضين، قال الحسن: كان من المقروعين^(٣).

قيل: إنما تساهموا لأنهم أشرفوا على الغرق، فرأوا أن طرح واحد أيسر من غرق الجميع^(٤).

١. قارن ٨: ٥٢٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٨: ٥٢٩.

وقيل: لا بل رأوا الحوت قد تعرّضت لهم، قالوا: فينا مذنّب مطلوب فتقارعوا فلما خرج على يونس رموا به في البحر^(١).

﴿فَالْتَمَتُ الْحَوْتَ﴾ ومعناه ابتلعه^(٢).

وقوله: ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ معناه: تكنه من حر الشمس، واليقطين كل شجرة ليس لها ساق يبقى من الشتاء إلى الصيف فهي يقطين، وقال ابن عباس وقتادة: هو القرع^(٣).

وقال مجاهد وسعيد بن جبير: كل شجر لا يقوم على ساق كالبطيخ والدبا - وهو القرع - فهو يقطين، وهو تفعيل من قطن بالمكان إذا أقام به إقامة زائل لا إقامة راسخ، كالنخل والزيتون ونحوه^(٤).

والقطاني من الحبوب التي تقيم في البيت ((مثل العدس والخُلر والحمص واحداها قُطنية وقُطنية، سميت بذلك لقطونها البيت))^(٥).

وقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قيل: إن قوم يونس لما رأوا إمارات العذاب، ولم يكونوا قد بلغوا حد الإلجاء واليأس من البقاء آمنوا وقبل الله إيمانهم، لأنّه لو كانوا حصلوا في العذاب لكانوا ملجئين، ولما صح إيمانهم على وجه يستحق به الثواب^(٦).

١. نفس المصدر .

٢. نفس المصدر .

٣. قارن ٨ : ٥٣٠ .

٤. نفس المصدر .

٥. ما بين القوسين من زيادات ابن إدريس، والخُلر كسكر نبات، أو الفول أو الجلبان، أو الماش (القاموس).

٦. قارن ٨ : ٥٣٠ .

وقوله: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قيل في معنى ﴿أَوْ﴾ ثلاثة أقوال^(١):

أحدها: أن يكون بمعنى الواو، وتقديره إلى مائة ألف وزيادة عليهم^(٢).

الثاني: أن يكون بمعنى ((بل)) على ما قال ابن عباس^(٣).

الثالث: أن يكون بمعنى الإبهام على المخاطبين، كأنه قال: أرسلناه إلى

إحدى العديتين^(٤).



١. قارن ٨: ٥٣٦.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

سورة ص

فصل

قوله: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ * كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ

مَنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ الآية: ٢ - ٣.

الشقاق الخلاف.

ومعنى: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ حين فرار من العقاب، وقيل: المناص

المنجاة^(١).

فصل

قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ﴾ الآية: ٦.

معناه هذا الذي يدعيه محمد ويدعونا إليه، لشيء يراد به أمر ما، من

الاستعلاء علينا، والرئاسة فينا، والقهر لنا^(٢).

فصل

قوله: ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ﴾ الآية: ١١.

والجند جمع معد للحرب، وجمعه أجناد وجنود وجنْد الأجناد، أي:

جيش الجيوش، ومنه قوله: ((الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف))^(١).

فصل

قوله: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ الآية: ١٦.

يقول الله تعالى مخبراً عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بأنهم يقولون على وجه الاستهزاء بعذاب الله: ((يا ربنا عجل لنا قطناً)) أي قدم لنا نصيناً من العذاب^(٢).

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: طلبوا حظهم من العذاب تهزئاً بخبر الله وشكاً فيه^(٣).

وقيل: إنما سألوا أن يعجل كتبهم التي يقرؤونها في الآخرة استهزاءً منهم بهذا الوعيد، والقط الكتاب^(٤)، قال الأعشى:

ولا الملك النعمان يوم لقيته بأتمه يعطي القطوط ويأفق^(٥)

فصل

قوله: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبْوُ الْخَصَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى

١- قارن ٨: ٥٤٧، والحديث في مسند أحمد ٢: ٢٩٥، وعلل الشرائع للصدوق باب ٧٩: ٢ وقد عقد البخاري في صحيحه ٤: ١٠٤ باب الأرواح جنود مجندة وكذلك مسلم في صحيحه ٨: ٤١ أخرج الحديث وغيرهم آخرون.

٢- قارن ٨: ٥٤٨.

٣- نفس المصدر.

٤- قارن ٨: ٥٤٩.

٥- قارن ٨: ٥٤٩، والبيت في ديوان الأعشى الكبير: ٢١٩، ط النمودجية بمصر.

بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى تِعَاجِهِ ^ط وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ^ط وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ^ط وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّكَابٍ ﴿الآيات: ٢١ - ٢٥﴾

يعني: حين صعدوا المحراب.

والخصم هو المدعي على غيره حقاً من الحقوق المنازع له فيه، ويعبر به عن الواحد والاثنين والجماعة بلفظ واحد، لأن أصله المصدر، ولذلك قال: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ لأنه أراد المدعي والمدعى عليه ومن تبعهما، فلا يمكن أن يتعلق به في أن أقل الجمع إثنان ^(١).

والتسور الإتيان من جهة السور، يقال: تسور فلان الدار إذا أتاها من قبل سورها، وكانوا أتوه من أعلى المحراب، فلذلك فرع منهم ^(٢).

والمحراب مجلس الأشراف، الذي يحارب دونه لشرف صاحبه، ومنه سمي المصلّى محراباً، وموضع القبلة أيضاً محراب ^(٣).

١. قارن ٨: ٥٥١.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

وقوله: ﴿خَصَمَانِ بَغَى بَغْضًا عَلَى بَغْضٍ﴾ لَأَنَّهُمَا كَانَا مُلْكَيْنِ وَلَمْ يَكُونَا خَصَمَيْنِ وَلَا بَغَى أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ، وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى الْمِثْلِ ^(١).

﴿فَاخُكُمُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ معناه: وَلَا تَجَاوِزِ الْحَقَّ، وَقَالَ أَبُو مُسْلِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ بَحْرِ الْأَصْبَهَانِي: الْخَصَمَانِ مَنْ وَلَدَ آدَمَ وَلَمْ يَكُونَا مُلْكَيْنِ ^(٢).

وقوله فقال: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ قَالَ وَهَبُ بْنُ مِنْبِهِ: يَعْنِي أَخِي فِي دِينِي، وَقَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: أَنَّهُ كُنِيَ بِالنَّعَاجِ عَنْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ امْرَأَةً كَانَتْ لَهُ، وَإِنَّ الْآخَرَ لَهُ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ يَعْنِي امْرَأَةً وَاحِدَةً ^(٣).

وقال الحسن: لَمْ يَكُنْ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ امْرَأَةً وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى وَجْهِ الْمِثْلِ ^(٤).
وقال أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني: أَرَادَ النَّعَاجَ بِأَعْيَانِهَا ^(٥) وَهُوَ الظَّاهِرُ، غَيْرَ أَنَّهُ خِلَافُ أَقْوَالِ الْمُفَسِّرِينَ وَقَالَ: هُمَا خَصَمَانِ مَنْ وَلَدَ آدَمَ وَلَمْ يَكُونَا مُلْكَيْنِ وَإِنَّمَا فُزِعَ مِنْهُمَا، لَأَنَّهُمَا دَخَلَا عَلَيْهِ فِي غَيْرِ الْوَقْتِ الْمَعْتَادِ، وَهُوَ الظَّاهِرُ، غَيْرَ أَنَّهُ خِلَافُ أَقْوَالِ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ ^(٦).

وقوله تعالى: ﴿أَكْفَلْنِيهَا﴾ معناه اجعلني كفيلاً بها، أَي ضَامِناً لَأَمْرِهَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ ^(٧)، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: معناه ضَمَّهَا إِلَيْهِ ^(٨).

١. قارن ٨: ٥٥٢.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. آل عمران: ٣٧.

٨. قارن ٨: ٥٥٣.

وقال ابن عباس وابن مسعود معنى ﴿اَكْفَلْنِيهَا﴾ أنزل لي عنها ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ أي غلبني^(١).

فقال له داود: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَنۢغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ومعناه: إن كان الأمر على ما تدعيه، لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، فأضاف السؤال إلى المفعول به وهي النعجة وإن أضيف إليها^(٢).

ثم أخبر أن كثيراً من الشركاء والخلطاء لينغي بعضهم على بعض فيظلمه. وقال أصحابنا: كان موضع الخطيئة أن قال للخصم: لقد ظلمك من غير أن يسأل خصمه عن دعواه، وفي أدب القضاء: ألا يحكم بشيء ولا يقول حتى يسأل خصمه عن دعوى خصمه، فما أجاب به حكم به، وهذا ترك الندب في ذلك^(٣). وفي الناس من قال: إن ذلك كانت صغيرة منه وقعت مكفرة، والشرط الذي ذكرناه لا بد فيه، لأنه لا يجوز أن يخبر النبي أن الخصم ظلم صاحبه قبل العلم بذلك على وجه القطع، وإنما يجوز مع تقدير الشرط الذي ذكرناه^(٤).

فصل

قوله: ﴿إِذْ عَرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفِثَتُ الْاَلْحِيَادُ﴾ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتَ بِالْحِجَابِ * رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ * وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي
لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ
رُحَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣١﴾ الآيات: ٣١ - ٣٦.

﴿بِالْعَشِيِّ﴾ يعني: آخر النهار، قال ابن زيد: صفن الخيل قيامها على ثلاث
مع رفع رجل واحدة يكون طرف الحافر على الأرض^(١)، قال الشاعر:

ألف الصفون فما يزال كأنه مِمَّا يقوم على الثلاث كسيراً^(٢)
قوله: ﴿لَا يَنْبَغِي﴾ قال أبو عبيدة: معنى لا ينبغي لا يكون، وأنشد:

في رأس خلقاء من عنقاء مشرقة لا ينبغي دونها سهل ولا جبل^(٣)
قال أبو عبيدة: أي لا يكون فوقها سهل ولا جبل أحصن منها.
وقوله: ﴿رُحَاءً﴾ قال قتادة: معناه طيبة سريعة، وقال ابن زيد: لينة، وقال ابن
عباس مطيعة، وبه قال الضحاك والسدي^(٤).

والرخاء الريح اللينة، وهو رخاوة المر وسهولته^(٥).

ومعنى قوله: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والسدي والضحاك:
معناه حيث أراد، يقول القائل: أصاب الله بك الرشاد، أي أراد الله^(٦).

١. قارن ٨: ٥٥٩.

٢. البيت من الشواهد وهو من شعر امرئ القيس كما في شواهد الكشف.

٣. البيت في تفسير القرطبي ١١: ١٥٨ نسه في الصحاح واللسان والتاج إلى ابن أحمري الباهلي (عُتِق) يصف جبلاً يقول: لا ينبغي أن يكون فوقها سهل ولا جبل أحصن منها.

٤. قارن ٨: ٥٦٣.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٨: ٥٦٤.

فصل

قوله: ﴿وَاخْذُ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ﴾ الآية: ٤٤.

فالضغث ملء الكف من الشجر والحشيش والسماريخ وما أشبه ذلك، قال

عوف بن الجزع:

وأسفل مني فهدة قد ربطتها وألقيت ضغثاً من خلا متطيب^(١)

فصل

قوله: ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ [وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ

* هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَّآبٍ * جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةٌ لَهُمْ

الْأَبْوَابُ * مُتَكِينِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكِهِةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِنْدَهُمْ

قَصِيرَاتُ الطَّرَفِ أَتْرَابٌ]﴾ الآيات: ٤٨ - ٥٢.

قيل: ذو الكفل ذو الضعف من الثواب، وقيل: كان اسمه ذلك، وقيل: سمي

بذلك لأنه تكفل بأمر أنبياء خلصهم من القتل، وقيل: تكفل بعمل صالح فسمي به^(٢).

قوله: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرَفِ أَتْرَابٌ﴾ يعني: قصرن طرفهن على

أزواجهن فما لهن في غيرهم بغية، فالقاصر نقيض الماد، يقال: هو قاصر طرفه

عن فلان وماد عينه إلى فلان، قال امرؤ القيس:

من القاصرات الطرف لودب محول من الذر فوق الأتب منها لأترا^(٣)

١. قارن ٨: ٥٦٨، والبيت في جمهرة أشعار العرب ٢: ٢٢، وقد نسب إلى عوف بن عطية راجع سمط

اللتالي: ٣٧٧، ومجاز القرآن ١: ٣١٢.

٢. قارن ٨: ٥٧٢.

٣. قارن ٨: ٥٧٣، والبيت في ديوان امرئ القيس: ٩١ ط مصر سنة ١٣٨٨ هـ وهو من الشواهد اللغوية

كما في معجم مقاييس اللغة (أتب).

والأتراب الأقران على سن واحد ليس منهنّ هرمة ولا عجوز^(١)، قال
الفراء: لا يُقال الأتراب إلا في الأناث ولا يقال في الذكّان^(٢)، قال ابن أبي ربيعة:
أبرزوها مثل المهاة تهادى بين عشر كواعب أتراب^(٣)
وهو مأخوذ من اللعب بالتراب، وقيل: أتراب على مقدار سن الأزواج من
غير زيادة ولا نقصان^(٤).

فصل

قوله: ﴿حَرِيمٌ وَعَسَاقٌ * وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ الآية: ٥٧-٥٨.
الحميم الحار الشديد الحرارة، ومنه الحمى لشدة حرارتها، وحم الشيء
إذا دنا، وأحمه لهذا أي أدناه، قال الشاعر:
أحم الله ذلك من لقاء أحاد احاد في الشهر الحلال^(٥)
والعساق ما يسيل من صديد أهل النار، وقال كعب: العساق عين في
جهنم يسيل إليها سم كل ذات حمة من عقرب وحية، وقيل: هو قيح شديد التن^(٦).
ثم قال: ﴿وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ معناه: أنواع آخر من شكل العذاب
﴿أَزْوَاجٌ﴾ أي: أمثال^(٧).

١. قارن ٨: ٥٧٣.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٨: ٥٧٣، والبيت في ديوان عمر بن أبي ربيعة: ٥٩ ط محمد محي الدين عبد الحميد.

٤. قارن ٨: ٥٧٣.

٥. البيت في شرح أشعار الهذليين ٢: ٥٧٠ وصدّره: منت لك أن تلاقيني المتايا، وهو منسوب إلى
عمر و ذو الكلب الهذلي كما في اللسان (حم).

٦. قارن ٨: ٥٧٥.

٧. نفس المصدر.

الشكل بفتح الشين الضرب المتشابه، والشكل بكسر الشين النظير في الحسن وهو الدل^(١).

فصل

قوله: ﴿قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي^ع﴾

الآية: ٧٥.

إنما قال: ﴿بِإَيْدِي﴾ على وجه تحقيق الإضافة لخلقه إليه تعالى، لأنه أمر به، أو كان عن سبب أذى إليه، والتثنية أشد مبالغة، ومثله قولهم: ((هذا ما كسبت يدك)) أي ما كسبته أنت، وقال الشاعر:

أيها المتبغى فناء قريش يسد الله عمرها وفناء^(٢)

ويحتمل أن يكون على اليمين، كأنه أقسم فقال: بنعمتي الدينية والدنيوية^(٣).

فصل

قوله: ﴿قَالَ فَآخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ* وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ

الدِّينِ* قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ* قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ*

إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ* قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ

مِنْهُمْ الْمُخَلَّصِينَ﴾ الآيات: ٧٧ - ٨٣.

أصل الرجيم المرجوم، وهو المرمي بالحجر ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ﴾ يا إبليس

﴿لَعْنَتِي﴾ يعني إبعادي لك من رحمتي ﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ يعني يوم القيامة الذي

١. نفس المصدر.

٢. البيت في معاني القرآن للفراء ٢: ٤١٢.

٣. قارن ٨١١.

هو يوم الجزاء، فقال إبليس عند ذلك يا ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾ أي أخرني ﴿إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ﴾ أي يوم يحشرون للحساب، وهو يوم القيامة^(١).

فقال له الله تعالى: ﴿فَأَنْتَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ أي من المؤخرين ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ أي اليوم الذي قدر الله فيه إمامتك، فعلى هذا لا يلزم إبليس أن يكون مغرئاً بالقبائح لعلمه بأنه يبقى، لأنه لا وقت إلا وهو يجوز أن يخترم فيه ولا يقدر على التوبة، فالزجر حاصل له^(٢).

ومن قال: إنه أجابه إلى يوم القيامة يقول: كما أعلمه أنه يبقى إلى يوم يعثون، أعلمه أيضاً أنه من أهل النار لا محالة، وأنه لا يتوب، وصح مع ذلك تكليفه، لأنه يلزمه بحكم العقل أن لا يفعل القبيح من حيث أنه متى فعله زاد عقابه، ويضاعف على ما يستحق له، وتخفيف العقاب عن النفس واجب بحكم العقل، كما يجب إسقاط العقاب جملة^(٣).

ثم حكى تعالى ما قال إبليس، فإنه أقسم و ﴿قَالَ فَيَعِزَّتِكَ﴾ يا إلهي ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فالعزة القدرة التي يقهر بها غيره من القادرين^(٤).

والاغواء التخيب، فإبليس يغوي الخلق بأن يزين لهم القبيح ويرغبهم فيه والغوي خلاف الرشد وهو الخيبة^(٥).



١. قارن ٨: ٥٨٤.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

سورة الزمر

فصل

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا تَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ] الآيات: ٣-٤.

معناه: أنه تعالى لا يهديه إلى طريق الجنة، أو لا يحكم بهديته إلى الحق ﴿مَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ على الله في أنه أمره باتخاذ الأصنام، كافر بما أنعم الله عليه، جاحد لا خلاص العباد، ولم يرد الهداية إلى الأيمان، لأنه قال: ﴿وَأَمَّا تُمُوذُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾^(١).

ثم قال تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ على ما يقول هؤلاء من أن الملائكة بنات الله، أو على ما يقوله النصارى من أن عيسى ابن الله، أو يقوله اليهود أن عزيز ابن الله ﴿لَاصْطَفَىٰ﴾ أي لا اختار ممّا يخلق ما يشاء^(٢).

فصل

قوله: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ الآية: ٧.

١. قارن ٩: ٥، والآية في سورة فصلت: ١٧.

٢. قارن ٩: ٦.

وفي ذلك دلالة على أن الكفر ليس من فعل الله ولا بإرادته، لأنه لو كان مريداً له لكان راضياً به، لأن الرضا هي الإرادة إذا وقعت على وجه^(١).
وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ معناه لا يؤاخذ بالذنب إلا من يفعله ويرتكبه ولا يؤاخذ به غيره وذلك نهاية العدل^(٢).
وفي ذلك دلالة على بطلان قول المجبرة في أن الله يعذب أطفال الكفار بكفر آبائهم^(٣).

فصل

قوله: ﴿كِتَابًا مُتَشَبِهًا﴾ الآية: ٢٣.

معناه: متشابهاً في الحكم التي فيه من الحجج والمواعظ والأحكام التي يعمل عليها في الدين، وصلاح التدبير، فيشبه بعضه بعضاً لا تناقض فيه^(٤).
﴿مَثَانِي﴾ أي يثنى فيه الحكم والوعد والوعيد بتصريفها في ضروب البيان ويثنى أيضاً في التلاوة، فلا يعمل بحسن مسموعه في القراءة^(٥).

فصل

قوله: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ الآية: ٣٣.

قال قتادة وابن زيد: الذي جاء بالصدق محمد ﷺ وصدق به المؤمنون^(٦).

١. قارن ٩: ٩.

٢. قارن ٩: ١٠.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ٢١.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٩: ٢٦.

وقال السدي: الذي جاء بالصدق وصدق به هم المؤمنون جاؤوا بالصدق الذي هو القرآن وصدقوا به، وهو حجتهم في الدنيا والآخرة^(١).

وقال الزجاج: الذي هاهنا والذين بمعنى واحد يراد به الجميع^(٢).

والصحيح أن قوله: ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ من صفة الذي جاء بالصدق، لأنه لو كان غيره لقال: والذي جاء بالصدق والذي صدق به^(٣).

وقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ يعني من جاء بالصدق وصدق به هم المتقون^(٤).

فصل

قوله: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ الآية: ٣٦.

يحتمل معناه شيئين:

أحدهما: أن من أضله الله عن طريق الجنة بكفره ومعاصيه فليس له هاد يهديه إليها^(٥).

والثاني: من حكم الله بضلاله وسمّاه ضالاً إذا ضلّ هو عن الحق، فليس له من يحكم بهدايته ويسمّيه هادياً^(٦).

١. هذا ما ذكره الشيخ الطوسي في التبيان ٩: ٢٦ منسوباً إلى ابن مسعود في قراءته، ولم يرد عنده عن السدي في ذلك شيء، وأحسب أن ما ذكره ابن إدريس منسوباً إلى السدي هو الصحيح، وأن ما وقع في التبيان من غلط النسخة، إذ ليس فيما ذكر شيء من القراءة.

٢. قارن ٩: ٢٦.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

ثم يبين عكس ذلك فقال: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ وهو يحتمل أيضاً الأمرين:

أحدهما: من يهديه الله إلى طريق الجنة فلا أحد يضله عنها^(١).
والثاني: من يحكم بهدايته ويسميه هادياً، فلا أحد يمكنه أن يحكم بضلاله على الحقيقة^(٢).

فصل

قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ بِوَكِيلٍ﴾
الآية: ٤١.

معناه: أنزلنا على أنه حقّ بآنه حقّ، فهذه فائدة الباء^(٣)، وفي ذلك حجة على من زعم أنه تعالى يريد بإنزاله إضلال الكافرين عن الإيمان، لأنه لو كان كذلك لم يكن منزلاً بالحق، وإذا كان منزلاً على أنه حقّ، وجب النظر في موجهه ومقتضاه فما رغب فيه وجب العمل به، وبما حذر منه وجب اجتنابه، وما صحّحه وجب تصحيحه، وما أفسده وجب إفساده، وما دعى إليه فهو الرشد، وما صرف عنه فهو الضلال^(٤).

ثم قال: ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ يعني بما فيه من الأدلة ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ لأن منفعة عاقبته من الثواب تعود عليه^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٢٧.

٣. قارن ٩: ٣١.

٤. قارن ٩: ٣٢.

٥. نفس المصدر.

﴿وَمَنْ ضَلَّ عَنْهُ وَحَادَ﴾ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ يعني على نفسه، لأنَّ وخيم عاقبته من العقاب تعود عليه ^(١).

فصل

قوله: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ] الآيات: ٥٣ - ٥٥.

معناه: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ بارتكاب المعاصي ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ أي لا تياسوا من رحمته، يقال: قنط يقنط قنوطاً إذا يشئ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ أنه هو الغفور الرحيم ^(٢). وفي ذلك دلالة واضحة على أنه يجوز أن يغفر الله بلا توبة تفضلاً منه، وبشفاعة النبي ﷺ، لأنه لم يشترط التوبة بل أطلقه، وروي عن فاطمة عليها السلام أنها قالت: «إن الله يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي».

وروي عن علي عليه السلام وعن ابن عباس أنهما قالاً: أرجى آية في كتاب الله قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: بل أرجى آية في كتاب الله قوله: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ

أَنفُسِهِمْ^(١) وهو المروي عن عليٍّ عليه السلام أيضاً^(٢).

وقوله: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ وإنما قال: ﴿أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ﴾ لأنه أراد بذلك الواجبات والنفل التي هي الطاعات دون المباحات والمقبحات التي لا يأمر بها^(٣). وقال قوم: ﴿أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يريد به النسخ دون المنسوخ، وهذا خطأ، لأن المنسوخ لا يجوز العمل به بعد النسخ وهو قبيح، ولا يكون الحسن أحسن من قبيح^(٤).

وقال الحسن: أحسنه أن يأخذوا بما أمرهم الله به وأن ينتهوا عما نهاهم عنه.

فصل

قوله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرُنِي عَلَى مَا قَرَطْتُ فِي حَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءَ تَكَءَايَبِي فَكَذَّبْتُ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتُ وَكُنْتُ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ الآيات: ٥٦-٥٩.

النفس نفس الإنسان، والفرق بين النفس والروح، أن النفس من النفاسة والروح من الريح، فأنفس ما في الحيوان نفسه، وهو جسم رقيق روحاني من الريح، ونفس الشيء هو الشيء بعينه^(٥).

١. قارن ٩: ٣٧، والآية في سورة الرعد: ٦.

٢. قارن ٩: ٣٨.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٩: ٣٩.

والتفريط إهمال ما يجب أن يتقدم فيه حتى يفوت وقته، ومثله التقصير، وضده الأخذ بالحزم، يقال: فلان حازم وفلان مفراط^(١).

وقوله: ﴿فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ معناه: فرطت في طاعة الله، أو في أمر الله، إلا أنه ذكر الجنب، كما يقال: هذا صغير في جنب ذلك الماضي، أي في أمره وفي جهته، وإذا ذكر هذا دلّ على الاختصاص به من وجه قريب من معنى صفته^(٢).

وقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّاحِرِينَ﴾ قال قتادة والسدي: معناه المستهزئين بالنبي والكتاب الذي معه^(٣)، وقيل: معناه كنت ممن يسخر بمن يدعوني إلى الإيمان^(٤).

وقوله: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت^(٥)، وكنت من الكافرين^(٦).

وفي ذلك دليل على بطلان مذهب المجبرة في أن الكافر لا يقدر على الإيمان، لأنه لو كان إذا رد لا يقدر على الإيمان لم يكن لتمنيه معنى^(٧).

فصل

قوله: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ] * قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ * وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٤٠.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾
الآيات: ٦٣ - ٦٦.

المقاليـد المفاتيـح، واحده مقلـبـد، كقولك مندـيل ومنادـيل، ويقال في واحده أيضاً أقليـد وجمعه أقاليد، والمعنى: له مفاتيـح خزائن السماوات والأرض، يفتح الرزق على من يشاء ويغلقه على من يشاء^(١).

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَكَ لِيُخْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الآيات.

ليس في ذلك ما يدل على صحّة الإحباط، على ما يقوله أصحاب الوعيد، لأنّ المعنى في ذلك: لئن أشركت بعبادة الله غيره من الأصنام، لوقعت عبادتك على وجه لا يستحق عليها الثواب^(٢).

ولو كانت العبادة خالصة لوجهه لاستحق عليها الثواب، فلذلك وصفها بأنها محبطة، وبين ذلك بقوله: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾ أي وجه عبادتك إليه تعالى وحده دون الأصنام^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ﴾ الآية ٦٧.

١. قارن ٩: ٤٣.

٢. قارن ٩: ٤٤.

٣. نفس المصدر.

يقول الله تعالى مخبراً عن حال الكفار أنهم ما عظموه حقَّ عظمتهم إذ دعوك إلى عبادة غيره^(١).

ومعنى الآية أنَّ الأرض بأجمعها في مقدوره، كما يقبض عليه القابض فيكون في قبضته، وكذلك قوله: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ معناه أي في مقدوره طيها^(٢).

وذكرت اليمين مبالغة في الاقتدار والتحقيق للملك، وقيل: اليمين القوة^(٣)، قال الشاعر:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين^(٤)

فصل

قوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۖ قِيلَ آدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۖ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ

١. قارن ٩: ٤٥.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٤٦.

٤. قارن ٩: ٤٦، والبيت من الشواهد في جملة من التفسير وهو للشماخ بن ضرار بمدح عرابة الأوسي، وكان قدم المدينة فأوفر له راحلته تمرأ فقال:

رأيت عرابة الأوسي ينمى إلى الخيرات منقطع القرن

ثم البيت الشاهد. راجع طبقات ابن سعد ٤: ٣٧٠ ذكر عرابة بن أوس.

زُمرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١-٧٥﴾

الزمر جمع زمرة، وهي الجماعات، لها صوت كصوت المزمار، ومنه مزامير داود عليه السلام، يعني أصوات كانت له مستحسنة ^(١).

وقوله: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، وقيل: تسييحهم ذلك الوقت على سبيل التنعم والتلذذ ثواباً لهم على أعمالهم لا على وجه التعبد، لأنه ليس هناك تكليف ^(٢).

وقيل: الوجه في ذلك تشبيه حال الآخرة بحال الدنيا، فإن السلطان الأعظم إذا أراد الجلوس للمظالم والقضاء بين الخلق قعد على سريره، وأقام حشمه وجنده قدّامه وحوله تعظيماً لأمره، فلذلك عظم الله أمر القضاء في الآخرة بنصب العرش وقيام الملائكة حوله معظمين له تعالى مسبحين، وإن لم يكن تعالى على العرش، لأن ذلك يستحيل عليه، لكونه غير جسم، والجلوس على العرش من صفات الأجسام ^(٣).



١. قارن ٩: ٤٨.

٢. قارن ٩: ٥١.

٣. نفس المصدر.

سورة غافر^(١)

فصل

قوله: ﴿حَمَّ * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ [مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ لِّمَصِيرُ]﴾ الآيات ١ - ٣.

قال قتادة والحسن: حم اسم السورة^(٢). وقال شريح بن أوفى العبسي:

يذكرني حم والرمح شاجر فهلا تلاحم قبل التقدم^(٣)

وقوله: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ معنى ﴿قَابِلِ التَّوْبِ﴾ أنه يقبل توبة من تاب إليه من المعاصي، بأن يثيب عليها، ويسقط عقاب معاصي ما تقدمها تفضلاً منه،

١. في الرضوية: سورة المؤمن، وهو من أسماء السورة.

٢. قارن ٩: ٥٣.

٣. قارن ٩: ٥٣، والبيت قاله لما قتل محمد بن طلحة في حرب الجمل من جملة أبيات ذكرها ابن الأثير في أسد الغابة في ترجمة محمد بن طلحة أولها:

وأشعث قوام بآيات ربّه	قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
ضمت إليه بالقناة فميصه	فخر صريعاً للبيدين وللغم
على غير ذنب غير أن ليس تابعاً	علياً ومن لا يتبع الحق يظلم

ثم البيت الشاهد.

ولذلك كان صفة مدح، ولو كان سقوط العقاب عندها واجباً لما كان فيه مدح^(١).

والتوب يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون جمع توبة، كدوم ودومة وعود وعود، والثاني: أن يكون مصدر تاب يتوب توباً^(٢).

فصل

قوله: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ [فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ * ذَالِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ^١ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا^٢ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ * هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ آيَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُم مِّن السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ * فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِن أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ]﴾ الآيات: ١١-١٥.

قال السدي: الإمامة الأولى في الدنيا، والثانية في البرزخ إذا أحيى للمساءلة قبل البعث يوم القيامة، وهو اختيار الجبائي والبلخي^(٣).

١. قارن ٩: ٥٤.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٦٠.

والعلي: القادر الذي ليس فوقه من هو أقدر منه، ولا من هو مساو له في مقدوره، وجاز وصفه تعالى بالعلي لأن الصفة بذلك نقلت من علو المكان إلى علو الشأن، يقال: استعلى عليه بالقوة، واستعلى عليه بالحجة^(١).

وقوله: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ معناه: رفيع طبقات الثواب التي يعطيها الأنبياء والمؤمنين في الجنة^(٢).

وقوله: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ قيل: الروح القرآن. وقيل: معنى الروح ها هنا الوحي، لأنه يحيي به القلب بالخروج من الجهالة إلى المعرفة^(٣).

فصل

قوله: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ الآية: ١٦.

قيل في معناه قولان:

أحدهما: أنه تعالى يقرر عباده فيقول: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ﴾؟ فيقول المؤمنون والكفار: بأنه ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

والثاني: أنه القائل لذلك وهو المجيب لنفسه، ويكون في الإخبار بذلك مصلحة للعباد في دار التكليف^(٤).

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي لا تشغله محاسبة واحد عن محاسبة غيره فحساب جميعهم على حد واحد^(٥).

١. قارن ٩: ٦١.

٢. قارن ٩: ٦٢.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ٦٣.

٥. قارن ٩: ٦٤.

فصل

قوله: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ الآية: ١٨.

نفي من الله أن يكون للظالمين شفيع يطاع^(١)، ويحتمل أن يكون المراد بالظالمين الكفار، فهؤلاء لا يلحقهم شفاعة شافع أصلاً^(٢)، وإن حملنا على عموم كل ظالم من كافر ومؤمن، جاز أن يكون إنما أراد نفي شفيع يطاع، وليس في ذلك نفي شفيع يجاب^(٣).

ويكون المعنى أن الذين يشفعون يوم القيامة من الأنبياء والملائكة والمؤمنين إنما يشفعون على وجه المسألة إليه والاستكانة إليه، ((لا أنه يجب على الله أن يطيعهم فيه، وقد يطاع الشافع بأن يكون الشافع فوق المشفوع إليه)) ولذلك قال النبي ﷺ لبريرة: «إنما أنا شافع» فكونه فوقها في الرتبة لم يمنع من إطلاق اسم الشفاعة على سؤاله^(٤).

فصل

قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ * وَيَقْوِمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ

يَوْمَ التَّنَادِ * [يَوْمَ تُولَوْنَ مُذْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ^٤ وَمَنْ

يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ]﴾ الآيات: ٣١ - ٣٣.

١. قارن ٩: ٦٥.

٢. قارن ٩: ٦٥.

٣. نفس المصدر.

٤. ما بين القوسين من النسخة الرضوية.

أخبر أنه تعالى لا يريد ظلماً لعباده ولا يؤثره لهم، وذلك دال على فساد قول المجبرة الذين يقولون إن كل ظلم في العالم بإرادة الله^(١).

و ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ قيل: هو اليوم الذي ينادي بعض الظالمين بعضاً بالويل والثبور، لما يرى من سوء عاقبة الكفر والمعصية له^(٢).

وقيل: أنه اليوم الذي ينادي أصحاب الجنة أصحاب النار ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾^(٣) وينادي أصحاب النار أصحاب الجنة ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾^(٤).

فصل

قوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَمْنُنُ ابْنِ لِي صَرَخًا﴾ [الْعَلَى أَبْلَغُ الْأَسْبَبِ * أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأُظَنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ] ﴿الآيات: ٣٦ - ٣٧﴾.

((قيل: إن هامان أول من طبخ الآجر لبناء الصرح))^(٥) والصرح البناء العالي الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد، وهو من التصريح بالأمر، وهو إظهاره بأتم الإظهار^(٦).

١. قارن: ٩: ٧٥.

٢. نفس المصدر.

٣. الأعراف: ٤٤.

٤. الأعراف: ٥٠.

٥. ما بين القوسين من كلام ابن إدريس، وأحسب أن ذكر هارون من سهو القلم وغلط النسخة والصواب هامان فهو الذي بنى الصرح كما هو صريح الآية، ولم يتبه له محقق النسخة المطبوعة.

٦. قارن: ٩: ٧٨.

ومعنى الأسباب قال ابن عباس: أراد به منزل السماء، وقال قتادة: معناه أبواب طرق السماء^(١).

وقوله: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ يعني: في هلاك، والتباب: الهلاك بالانقطاع، ومنه قوله: ﴿تَبَّتْ يُدَا أَيْبِي لَهُبٍ﴾ أي خسرت بانقطاع الرجاء، ومنه قوله: تَبَّأْ لَهُ^(٢).

فصل

قوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنْمَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾ الآية: ٤٣.

قال الزجاج: هو رد الكلام، كأنه قال: لا محالة أن لهم النار^(٣). وقال الخليل: لا جرم لا يكون إلا جواباً، تقول: فعل فلان كذا، فيقول المجيب: لا جرم، وقال المبرد: معناه حق واستحق^(٤).

فصل

قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الآية: ٦٠.

يعني: أستجب لكم إذا اقتضت المصلحة إجابتكم، ومن يدعو الله ويسأله فلا بد أن يشترط المصلحة، أما لفظاً أو إضماراً، وإلا كان قبيحاً، لأنه إذا دعا بما يكون فيه مفسدة ولا يشترط انتفاءها كان قبيحاً^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٧٩.

٣. قارن ٩: ٨١.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٩: ٨٩.

فصل

قوله: ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ الآية: ٦٧.

العلقة هي القطعة من الدم، لأنها تعلق بما تمر به، لظهور أثرها فيه وخلقكم منها^(١).

﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ أي أطفالاً واحداً واحداً، فلهذا ذكره بالتوحيد، كما قال: ﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾ لأن لكل واحد منهم أعمالاً قد خسر بها^(٢).

فصل

قوله: ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ الآية: ٧٢.

السجر إلقاء الحطب في معظم النار، كالتنور الذي يسجر بالوقود^(٣)، فهؤلاء الكفار لجهنهم كالسجار للتنور^(٤).

فصل

قوله: ﴿فَيْئِسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ الآية: ٧٦.

إنما أطلق عليه اسم يئس مع كونه حسناً، لأن الطبع ينفر عنه كما ينفر العقل من القبيح بالذم عليه، فحسن لهذه العلة إطلاق اسم يئس عليه^(٥).

١. قارن ٩: ٩٣.

٢. قارن ٩: ٩٣، والآية في سورة الكهف: ١٠٣.

٣. قارن ٩: ٩٥.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٩: ٩٧.

فصل

قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ الآيات: ٧٩ - ٨٠.

الأنعام من الإبل والبقر والغنم، واللام في قوله: ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ لام الغرض، فإذا كان الله تعالى خلق هذه الأنعام، وأراد أن ينتفع خلقه بها، وكان تعالى لا يريد القبيح ولا المباح، فلا بد أن يكون أراد انتفاعهم بها على وجه الطاعة والقربة إليه^(١).

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ آخر من ألبانها وأصوافها وأشعارها^(٢).



١. قارن ٩: ٩٨.

٢. قارن ٩: ٩٩.

سورة فصلت^(١)

قيل في وجه الاشتراك في أسماء هذه السور السبعة بـ (حم) أنه للمشكلة التي بينها بما يختص به ليس لغيرها، لأنه اسم علم أجري على الصفة الغالبة بما يصح فيه الاشتراك، والتشاكل الذي أختصت به هو أن كل واحد منها استفتح بصفة الكتاب، مع تقاربها في الطول والقصر، ومع شدة تشاكل الكلام في النظام^(٢).

وقوله: ﴿كِتَابٌ فَصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ أي هو كتاب، وإنما وصف القرآن بأنه كتاب، وإن كان المرجع فيه إلى كلام مسموع، لأنه مما ينبغي أن يكتب ويدون، لأن الحافظ ربما نسيه، أو نسي بعضه فيتذكر، وغير الحافظ فيتعلم منه^(٣).

وقوله: ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ معناه ميزت دلائله، وإنما وصفه بالتفصيل دون الإجمال، لأن التفصيل يأتي على وجه البيان، لأنه يفصل جملة عن جملة ومفرد عن مفرد، ومدار أمر البيان على تفصيل التمييز فيما يحتاج إليه من أمور الدين^(٤)، إذ العلم علمان: علم دين وعلم دنيا، وعلم الدين أجلهما وأشرفهما لشرف النفع به^(٥).

١. في الرضوية: سورة حم السجدة .

٢. قارن ٩: ١٠٤ .

٣. نفس المصدر .

٤. نفس المصدر .

٥. قارن ٩: ١٠٥ .

فصل

قوله: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * [الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ * قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُدَّ أَنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِّنْ فَوْقِهَا وَبَنَىٰ فِيهَا قَدَرًا فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ الآيات: ٦ - ١٠.

قال الفراء: الزكاة في هذا الموضع أن قريشاً كانت تطعم الحاج وتسقيهم، فحرموا ذلك على من آمن بمحمد ﷺ^(١).

وقال قوم: إنما توعدهم على ترك الزكاة الواجبة عليهم، لأنهم متعبدون بجمع العبادات ويعاقبون على تركها، وهو الظاهر^(٢).

وقال الزجاج: الزكاة معناه وويل للمشركين الذين لا يؤمنون بأن الزكاة واجبة، وإنما خص الزكاة بالذكر تفريراً لهم على شحهم الذي يأنف منه أهل الفضل^(٣).
وقد بينا أن الأقوى قول من قال: الذين لا يؤدّون زكاة أموالهم، لأن هذا هو حقيقة هذه اللفظة^(٤).

وقوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ قال أبو عبيدة: الأقوات جمع قوت، وهي أرزاق الخلق، قيل: إنما خلق ذلك شيئاً بعد شيء في

١. قارن ٩: ١٠٧.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ١٠٧، وما بين القوسين من المصدر.

هذه الأربعة أيام لتعتبر به الملائكة^(١)، وقيل: بل لاعتبار العباد في الأخبار عن ذلك إذا تصوّروه على تلك الحال^(٢).

وقال الزجاج: الوجه فيه تعليم الخلق التائي في الأمور وأن لا يستعجل فيها^(٣)، فإن الله تعالى كان قادراً على أن يخلق ذلك في لحظة، لكن خلقها في هذه المدة لما قلناه^(٤).

وقال قوم: إنما خلق ذلك في هذه المدة، لتعتبر بذلك على أنها صادرة من قادر مختار عالم بالمصالح وبوجوه الأحكام، إذ لو كان صادراً عن مطبوع أو موجب لحصلت في حالة واحدة^(٥).

فصل

قوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فَقَالَ هَا وَلِلْأَرْضِ أَنْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ * إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ

١. قارن ٩: ١٠٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

مَلَكِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ
بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ
هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا بِعَايِنَتِنَا سَجِدُونَ ﴿الآيات: ١١ - ١٥﴾

قال السدي: معناه ثم استوى أمره ولطفه إلى السماء^(١).

وقال غيره: معنى الاستواء إلى السماء العمدة والقصد إليها، كأنه قال: ثم
قصد إليها، وأصل الاستواء الاستقامة والقصد للتدبير المستقيم تسوية له^(٢).
وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٣) معناه: ثم استوى تدبيره بتقدير
القادر عليه.

وقيل: إن الاستواء بمعنى الاستيلاء كما قال الشاعر:

ثُمَّ اسْتَوَىٰ بِشَرِّ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مَهْرَاقٍ^(٤)

وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ يفيد أنه خلق السماء بعد خلق الأرض وخلق
الأقوات فيها، ولا ينافي ذلك قوله: ﴿أَلَا أَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ * رَفَعَ سَمَكَهَا
فَسَوَّاهَا ﴿إلى قوله: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ لأن ذلك يفيد أن الأرض كانت
مخلوقة غير مدحوة، فلما خلق الله السماء دحا بعد ذلك الأرض فسطحها^(٥).

وقوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ إِنِّي نَادِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ إنما قال

١. قارن ٩: ١٠٩، وفيه نسب القول إلى الحسن.

٢. قارن ٩: ١٠٩.

٣. الأعراف: ٥٤.

٤. البيت من الشواهد في كتب التفسير وهو للبعيث، ونسب للأخطل يمدح بشراً أخاً عبد الملك بن مروان حين ولاه العراق كما في البداية والنهاية لابن كثير ٩: ٧.

٥. قارن ٩: ١١٠، والآية في سورة النازعات: ٢٧ و٢٨ و٣٠.

﴿طَائِعِينَ﴾ ولم يقل طائعتين، لأنه لما أسند إليهما ما يكون من العقلاء أخبر عنهما بالياء والنون^(١).

وقال قطرب: لأن المعنى أتينا بمن فينا من العقلاء فغلب حكم العقلاء^(٢).
فإن قيل: قوله: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ وخلق الجبال والأقوات في أربعة أيام، وخلق السماوات في يومين يكون ثمانية أيام، وذلك مناف لقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(٣).

قلنا: لا تنافي بين ذلك، لأنه خلق الأرض وخلق الجبال والأشجار والأقوات في تمام أربعة أيام منها اليومان المتقدمان^(٤)، كما يقول القائل: خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام، ثم إلى الكوفة في خمسة عشر يوماً، أي: في تمام هذه المدة^(٥).

ويكون قوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ تمام ستة أيام، وهو الذي ذكره في قوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ وزال الإشكال^(٦).

فصل

قوله: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ الآية: ١٩.
أي: يمنعون من التفرق، ويحبسون ويكفون، يقال: وزعت الرجل إذا منعته،

١. قارن ٩: ١١١.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ١١٢.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

ومنه قول الحسن: لابد للناس من وزعة، وقوله: ﴿أَوْزَعْنِي﴾ ألهمني، وقول الشاعر:

وأتى بها يا ذا المعارج موزع

أي: مولع^(١).

فصل

قوله: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ [وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَعْتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ * وَقَبِضْنَا لَهُمْ قُرُونًا فَرَيْنُوا هُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ الآيات: ٢١ - ٢٥.

النطق إدراة اللسان في الفم بالكلام، ولذلك لا يوصف تعالى بأنه ناطق، وإن وصف بأنه متكلم، والفائدة في الإخبار عنهم بذلك التحذير من مثل حالهم فيما ينزل بهم، من الفضيحة بشهادة جوارحهم عليهم بما كان من فواحشهم^(٢).

وقوله: ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾

١. قارن ٩: ١١٦.

٢. قارن ٩: ١١٨.

معنى الآية: فَإِنْ يَصْبِرُوا عَلَى مَا هُمْ فِيهِ فَمَقَامُهُمْ فِي النَّارِ ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا﴾ أي وإن يطلبوا العتي وهو الرضا.

﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُغْتِيثِينَ﴾ أي ليسوا بمرضى عنهم، لأن السخط من الله تعالى بكفرهم قد لزمهم وزال التكليف عنهم، فليس لهم طريق إلى الإعتاب^(١).

فصل

قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَلَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ الآية: ٢٩.

قيل: أراد به إبليس الأبالسة، وهو رأس الشياطين، وابن آدم الذي قتل أخاه وهو قابيل، روي ذلك عن علي^(٢) لأنه أسس الفساد في ولد آدم^(٣).
وقيل: هم الدعاة إلى الضلال من الجن والإنس^(٤).

فصل

قوله: ﴿أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ الآية: ٣٤.

أمر للنبي^(٥) أن يدفع بالتي هي أحسن، وقيل: معنى الحسنة ها هنا المدارة والسيئة المراد بها الغلظة، فأدب الله عباده بهذا الأدب^(٦).

ثم قال: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ معناه دار القوم، ولا تغلظ عليهم، حتى كأن عدوك الذي يعاديك في الدين بصورة وليك، من حسن

١. قارن ٩: ١٢٠.

٢. قارن ٩: ١٢٣.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ١٢٥.

عشرتكَ وبشرك إياه، ويدعو ذلك عدوك إلى أن يصير لك كالولي الحميم^(١).

فصل

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيْ ءَايَاتِنَا﴾ الآية: ٤٠.

معناه: الذين يميلون عن الحق في أدلتنا، يقال: ألحد يلحد إلحاداً وقيل: لحد يلحد أيضاً^(٢).

فصل

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ * مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَّغْفِرٌ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيْ ءَاذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ الآيات: ٤١ - ٤٤.

سمي القرآن ذكر لأنه تذكر به وجوه الدلائل المؤدية إلى الحق، والمعاني التي يعمل عليها فيه، وأصل الذكر ضد السهو، وهو حضور المعنى للنفس^(٣).

١. قارن ٩: ١٢٦.

٢. قارن ٩: ١٢٩.

٣. قارن ٩: ١٣٠.

قوله: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ قيل في معناه أقوال: أحدها: أنه لا تعلق به الشبهة من طريق المشاكلة، ولا الحقيقة من جهة المناقضة، فهو الحق المخلص الذي لا يليق به الدنس^(١).
الثاني: قال قتادة والسدي: لا يقدر الشيطان أن ينتقص منه حقاً ولا يزيد فيه باطلاً^(٢).

الثالث: أن معناه لا يأتي بشيء يوجب بطلانه ممّا وجد قبله ولا معه ولا ممّا يوجد بعده^(٣).

الرابع: قال ابن عباس معناه لا يأتيه الباطل من أول تنزيله ولا من آخره^(٤).
وقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ يعني الذكر الذي قدم ذكره ﴿قُرْآنًا أُعْجِمِيًّا﴾ أي مجموعاً بلغة العجم، يقال: رجل أعجمي إذا كان لا يفصح وإن كان عربي النسب، وعجمي إذا كان من ولد العجم وإن كان فصيحاً^(٥).

فصل

قوله: ﴿وَمَا رَيْكَ بِظُلْمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ الآية: ٤٦.

إنما قال: ﴿بِظُلْمٍ﴾ على وجه المبالغة في نفي الظلم عن نفسه، مع أنه لا يفعل مثقال ذرة، لأمرين:

أحدهما: أنه لو فعل فاعل الظلم وهو غير محتاج إليه مع علمه بقبحه، وبأنه غني عنه لكان ظلاماً، وما هو تعالى بهذه الصفة لأنه غني عالم^(٦).

١. قارن ٩: ١٣١.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر وفي الرضوية قال الحسن بدل ابن عباس، والصواب ما في المتن لموافقة المصدر.

٥. قارن ٩: ١٣٢.

٦. قارن ٩: ١٣٥.

الثاني: أنه على طريق الجواب لمن زعم أنه يفعل ظلم العباد، فقال: ما هو بهذه الصفة التي يتوهمها الجهال، فيأخذ أحداً بذنب غيره، والظلام ((هو الفاعل)) لما هو من أفحش الظلم، والظالم من فعل الظلم وظالم صفة ذم^(١).

فصل

قوله: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَى نِعْمَتَنَا بَحْثَانِيهِ﴾ وَإِذَا مَسَّهُ

الشَّرُّ فَذُوْ دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿الآية: ٥١.

﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ يعني إذا ناله مرض أو مصيبة في مال أو نفس ﴿فَذُوْ دُعَاءٍ

عَرِيضٍ﴾ قال السدي: يدعو الله كثيراً عند ذلك^(٢).

وإنما قال: ﴿فَذُوْ دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ ولم يقل طويل لأنه أبلغ، لأنَّ العرض يدلّ

على الطول، ولا يدلّ الطول على العرض، إذ قد يصحّ طويل ولا عرض له، ولا يصحّ عريض ولا طول له، لأنَّ العرض الانبساط في خلاف جهة الطول، والطول الامتداد في أيّ جهة كان^(٣).

وفي الآية دلالة على بطلان قول المجبرة أنه ليس لله على الكافر نعمة،

لأنّه أخبر تعالى عنه بأنّه ينعم عليه وأنّه يعرض عن موجبها من الشكر^(٤).



١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ١٣٧.

٣. قارن ٩: ١٣٨.

٤. نفس المصدر.

سورة الشورى^(١)

فصل

قوله: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ الآية: ٦.

معناه أنك لم توكل بحفظ أعمالهم، فلا يظن ظان هذا، فإنه ظن فاسد، وإنما بعثك الله نذيراً لهم وداعياً إلى الحق ومبيناً لهم سبيل الرشاد^(٢).

وقيل: معناه أنك لم توكل عليهم أن تمنعهم من الكفر بالله، لأنه قد يكفر بما لا يتهيأ له منعه من كفره بقتله^(٣).

فصل

قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الآية: ١١.

قيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الكاف زائدة، وتقديره: ليس مثل الله شيء من الموجودات ولا المعدومات^(٤)، كما قال أوس بن حجر:

١. في الرضوية: سورة حم عسق .

٢. قارن ٩: ١٤٥ .

٣. نفس المصدر .

٤. قارن ٩: ١٤٨ .

وقتلَى كمثل جذوع النخيل تغشاهم مسبل منهمر^(١)
وقال آخر:

سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم ما أن كمثلهم في الناس من أحد^(٢)

الثاني: قال الرماني: أنه أبلغ في نفي التشبيه إذا نفى مثله، لأنه يوجب نفي الشبه على التحقيق والتقدير، وذلك أنه لو قدر له مثل بأن يكون له مثل صفاته، لبطل أن يكون له مثل ولتفرده بتلك الصفات، وبطل أن يكون مثلاً له^(٣).

فيجب أن يكون من له مثل هذه الصفات على الحقيقة لا مثل له أصلاً، إذ لو كان له مثل لم يكن هو بصفاته، وكان ذلك الشيء الآخر هو الذي له تلك الصفات، لأنها لا تصح إلا لواحد في الحقيقة، وهذا لا يجوز أن يشبه تشبيه حقيقة ولا بلاغة، فوجب التباعد من الشبه لبطلان شبه الحقيقة^(٤).

الثالث: وجه كان المرتضى علي بن الحسين الموسوي رحمة الله عليه جارانا فيه، فاتفق لي بالخاطر وجه قلته فاستحسنه واستجاده، وهو أن لا تكون الكاف زائدة، ويكون المعنى أنه نفى أن يكون لمثله مثل، وإذا ثبت أنه لا مثل لمثله، فلا مثل له أيضاً، لأنه لو كان له مثل لكان له أمثال، لأن الموجودات على ضربين:

أحدهما: لا مثل له كالقدرة، فلا أمثال لها أيضاً.

١. البيت في ديوانه: ٣٠ تحال الدكتور محمد يوسف نجم ط دار صادر و دار بيروت .

٢. البيت لم أقف على قائله وهو من الشواهد في البحر المحيط لأبي حيان والمحزر الوجيز لابن عطية وتفسير الطبري .

٣. قارن ٩: ١٤٩ .

٤. نفس المصدر .

والثاني: له مثل كالسواد والبياض وأكثر الأجناس، فله أمثال أيضا، وليس في الموجودات ما له مثل واحد فحسب، فعلم بذلك أن المراد أنه لا مثل له أصلاً من حيث لا مثل لمثله^(١).

فصل

قوله: ﴿جَتَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ الآية: ١٦.

جتتهم داحضة وهي شبهة، وإنما سماها حجة على اعتقادهم، فلشبهها بالحجة أجرى عليها اسمها^(٢).

و ﴿دَاحِضَةً﴾ معناه: باطلة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٣).

فصل

قوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ الآية:

٢٣.

اختلفوا في قوله: ﴿الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فقال علي بن الحسين عليه السلام وسعيد ابن جبير وعمرو بن شعيب: معناه إلا أن تودوا قرابتي، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام^(٤).

وقوله: ﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ أي يثبت الحق بأقواله التي ينزلها على أنبيائه^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ١٥٤.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ١٥٨.

٥. قارن ٩: ١٦٠.

فصل

قوله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا

عَن كَثِيرٍ﴾ الآية: ٣٠.

قال الحسن: ذلك خاص في الحدود التي تستحق على وجه العقوبة ^(١).

وقال قتادة: هو عام ^(٢).

وقال قوم: ذلك خاص، وإن كان مخرجه مخرج العموم، لما يلحق من مصائب الأطفال والمجانين ومن لا ذنب له من المؤمنين ^(٣).

وقال قوم: هو عام بمعنى أن ما يصيب المؤمنين والأطفال، فإنما هو من شدة محنة تلحقهم، وعقوبة للعاصين، كما يهلك الأطفال والبهائم مع الكفار بعذاب الاستئصال، لأنه قد يكون فيه استصلاح ^(٤).

فصل

قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ الآية: ٣٩.

يعني: ممن بغى عليهم من غير أن يعتدوا فيها، فيقتلوا غير القاتل ويجنوا على غير الجاني، وفيه ترغيب في إنكار المنكر ^(٥).

١. قارن ٩: ١٦٣.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٩: ١٦٨.

فصل

قوله: ﴿وَلَمَنَ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ
 * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
 الْحَقِّ﴾ الآية: ٤١ - ٤٢.

إخبار من الله سبحانه أن من انتصر لنفسه بعد أن كان ظلم وتعدى عليه،
 فأخذ لنفسه بحقه فليس عليه سبيل^(١).

قال قتادة: بعد ظلمه فيما يكون فيه القصاص بين الناس في النفس أو
 الأعضاء أو الجراح، فأما غير ذلك فلا يجوز أن يفعل لمن ظلمه^(٢).

وقال قوم: معناه أن له أن ينتصر على يد سلطان عادل، بأن يحمله إليه ويطلبه
 بأخذ حقه منه، لأن السلطان هو الذي يقيم الحدود ويأخذ من الظالم للمظلوم^(٣).

ويمكن أن يستدل بذلك على أن من ظلمه غيره، بأخذ ماله، كان له إذا
 قدر أن يأخذ من ماله بقدره ولا إثم عليه، والظالم هو الفاعل للظلم^(٤).

فصل

قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآيِ
 حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ الآية: ٥١.

١. قارن ٩: ١٧٠.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

يكون كلام الله لعباده على ثلاثة أقسام^(١):

أولها: أن يسمع منه كما يسمع من وراء حجاب، كما خاطب الله به موسى عليه السلام^(٢).

الثاني: بوحى يأتي به الملك إلى النبي من البشر كسائر الأنبياء^(٣).

الثالث: بتأدية الرسول إلى المكلفين من الناس^(٤).

وقيل في الحجاب ثلاثة أقوال:

أحدها: حجاب عن إدراك الكلام لا المكلم وحده.

الثاني: حجاب لموضع الكلام.

الثالث: أنه بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب^(٥).

﴿فَيُوحِي بِأُذُنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ معناه أن ذلك الرسول الذي هو الملك يوحى إلى النبي من البشر، بأمر الله ما يشاءه الله ﴿إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾ معناه أن كلامه المسموع منه لا يكون بمخاطبه يظهر فيها المتكلم بالرؤية، لأنه العلي عن الإدراك بالأبصار^(٦).



١. قارن ٩: ١٧٧.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

سورة الزخرف

فصل

قوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ الآية: ٤.

يعني القرآن ﴿فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا﴾ يعني اللوح المحفوظ، الذي كتب الله فيه ما يكون إلى يوم القيامة، لما فيه من مصلحة ملائكته بالنظر فيه، وللخلق فيه من اللطف بالاخبار عنه، وأم الكتاب أصله، لأن أصل كل شيء أمه^(١).

فصل

قوله: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ

خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ الآية: ٩-١٠.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ﴾ يعني الكفار ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ بأن أنشأها واختراعها لم يكن جوابهم في ذلك، إلا أن يقولوا ﴿خَلَقَهُنَّ﴾ يعني السماوات والأرض ﴿الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يقهر ﴿الْعَلِيمُ﴾ بمصالح الخلق وهو الله تعالى، لأنه لا يمكنهم أن يحيلوا في ذلك على الأجسام والأوثان لظهور فساد ذلك^(٢).

وليس في ذلك ما يدل على أنهم كانوا عالمين بالله ضرورة، لأنه لا يمتنع أن يكونوا عالمين بذلك استدلالاً، وإن دخلت عليهم شبهة في أنه يستحق العبادة سواء^(٣).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ١٨٤.

٣. نفس المصدر.

وقال الجبائي: لا يمتنع أن يقولوا ذلك تقليداً، لأنهم لو علموه ضرورةً، لعلموا أنه لا يجوز أن يعبد معه غيره، وهو الذي يليق بمذهبنا في الموافقة^(١).

فصل

قوله: ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ * وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * أَوْ مَن يُنْشَأُ فِي آلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ الآيات: ١٦ - ١٨.

أخبر الله تعالى عن الكفار أنهم جعلوا له من عباده جزءاً، ثم فسّر ذلك وهو أنهم قالوا: بل ﴿اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ وفي هذا القول حجة عليهم، لأنه ليس بحكيم من يختار لنفسه أدون المنزلتين ولغيره أعلاهما، فلو كان على ما يقول المشركون من جواز اتخاذ الولد عليه، لم يتخذ لنفسه البنات ويصفيههم بالبنين^(٢).

ثم قال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ يعني إذا ولد لواحد منهم بنت حسب ما أضافوها إلى الله، ونسبوها إليه على وجه المثل لذلك ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ أي يتغير مما يلحقه من الغم بذلك حتى يسود وجهه ويربد ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾^(٣).

وفي هذا أيضاً حجة عليهم، لأن من اسودّ وجهه لما يضاف إليه مما لا يرضى، فهو أحق أن يسودّ وجهه بإضافته مثل ذلك إلى من هو أجل منه، فكيف إلى ربه^(٤).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ١٨٩.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

ثم قال تعالى على وجه الإنكار لقولهم: ﴿أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْحَلِيِّ﴾ قال ابن عباس: أو من ينشئ في الحلية المرأة، وبه قال مجاهد والسدي^(١).

ثم قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا﴾ يعني هؤلاء الكفار ﴿الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَانِ﴾ متذللون له خاضعون ﴿إِنَّا﴾ فقال لهم على وجه الإنكار: ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾ ثم قال: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ بذلك ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ عن صحتها^(٢).

وفائدة الآية أن من شهد بما لا يعلم، فهو حقيق بأن يوبخ ويذم على ذلك، وشهادته بما هو متكذب به على الملائكة أعظم من الفاحشة، للإقدام على تنقصهم في الصفة وإن كانوا في ذلك على جهالة^(٣).

ثم حكى عنهم أنهم قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَانُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ كما قالت المجبرة بأن الله تعالى أراد كفرهم، ولو لم يشأ ذلك لما كفروا، فقال الله لهم على وجه التكذيب: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي ليس يعلمون صحة ما يقولونه، وليس هم إلا كاذبين^(٤).

ففي ذلك إبطال مذهب المجبرة في أن الله تعالى يريد القبيح من أفعال العباد، لأن الله تعالى قطع على كذبهم في أن الله يشأ عبادتهم للملائكة، وذلك قبيح لا محالة، وعند المجبرة فالله شاء له، وقد نفاء تعالى عن نفسه وكذبهم في قولهم فيه^(٥).

فصل

قوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ

عَظِيمِ﴾ الآية: ٣١.

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ١٩٠.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

حكى الله تعالى عن الكفار أنهم قالوا: لو كان القرآن حقاً هلاً نزل
﴿عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ﴾ يعني بالقريتين مكة والطائف^(١).

ويعنون بالرجل العظيم من أحد القريتين في قول ابن عباس: الوليد بن
المغيرة المخزومي القرشي من أهل مكة، أو حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي^(٢).

وقال مجاهد: يعني بالذي من أهل مكة عقبة بن أبي ربيعة، والذي من
أهل الطائف ابن عبد ياليل^(٣).

وقال قتادة: الذي من أهل مكة يريدون الوليد بن المغيرة، والذي من
أهل الطائف عروة بن مسعود الثقفي^(٤).

((وقوله: (على أمة) قال ابن عباس ومجاهد وفتادة: يعني على ملّة، وقُرى
على إمّة بكسر الهمزة والمراد به الطريقة)).

فصل

قوله: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ

قَرِينٌ﴾ الآية: ٣٦.

١. قارن ٩: ١٩٥.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ١٩٥ قال الرازي في تفسيره ٧: ٤٤١ ط القاهرة استاينول: قال المفسرون: والذي بمكة هو
الوليد بن المغيرة، والذي بالطائف هو عروة بن مسعود.

وقال القرطبي في تفسيره ١٦: ٨٣ ط دار إحياء التراث العربي بيروت: والرجلان: الوليد بن المغيرة ...
والذي بالطائف أبو مسعود عروة بن مسعود الثقفي قاله فتادة، وقيل: عمير بن عبد ياليل الثقفي من
الطائف، وعتبة بن ربيعة من مكة، وهو قول مجاهد، وعن ابن عباس: أن عظيم الطائف حبيب بن
عمرو الثقفي، وقال السدي: كنانة بن عبد بن عمرو.

٤. قارن ٩: ١٩٥، وما بين القوسين من الرضوية.

يقال: عشا إلى النار إذا تنورها فقصد لها، وعشاء عنها إذا أعرض عنها قاصداً لغيرها، كقولهم مال إليه ومال عنه ^(١).

وقوله: ﴿نَقِصْ لَهُ شَيْطَانًا﴾ قيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: قال الحسن: نخل بينه وبين الشيطان الذي يغويه، ويدعوه إلى الضلالة، ولا يمنعه منه ^(٢).

((الثاني)) وقيل: نجعل له شيطاناً قريناً، يقال: قيص له كذا وكذا أي سهل له ويسر ^(٣).

الثالث: قال قتادة: نقيص له شيطاناً في الآخرة يلزمه حتى يصير به إلى النار فحينئذ يتمنى البعد منه ^(٤).

فصل

قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ الآية: ٤٤.

قيل في معناه قولان:

أحدهما: أن هذا القرآن شرف لك بما أعطاك الله ﷻ من الحكمة، ولقومك بما عرضهم له من إدراك الحق به، وإنزاله على رجل منهم ^(٥).

الثاني: أنه حجة تؤدي إلى العلم لك ولكل أمتك، والأول أظهر ^(٦).

وقوله: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ قال قتادة والضحاك: يعني أهل الكتابين التوراة والإنجيل ^(٧).

١. قارن ٩: ١٩٩.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٩: ٢٠٢.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

وقال ابن زيد: يريد الأنبياء الذين جمعوا له ليلة الاسراء، وهو الظاهر^(١).

فصل

قوله: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ * وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا

قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الآيات: ٥٥ - ٥٧.

قال ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة وابن زيد: معنى ﴿آسَفُونَا﴾

أغضبونا لأن الله تعالى يغضب على العصاة بمعنى يريد عقابهم، ويرضى عن المطيعين بأن يريد ثوابهم بما يستحقونه من طاعاتهم ومعاصيهم^(٢).

وقوله: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ * وَقَالُوا

آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ المثل بيان عن أن حال الثاني كحال الأول بما قد صار في الشهرة كالعلم.

وقوله: ﴿يَصِدُّونَ﴾ بكسر الصاد وضمها وقد قرئ بهما، وقيل: معنى

﴿يَصِدُّونَ﴾ بكسر الصاد يضجون، أي ضجوا سروراً منهم، ومن ضمها أراد يعرضون^(٣).

وقوله: ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ يعني: المسيح مثلاً ﴿إِلَّا جَدَلًا﴾ أي: خصومة ودفعاً

لك عن الحق، لأن المجادلة لا تكون إلا وأحد المجادلين مبطلاً، والمناظرة قد

تكون بين المحققين، لأنه قد يعارض ليظهر الحق^(٤).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٢٠٨.

٣. قارن ٩: ٢١٠.

٤. نفس المصدر.

ثم قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِيمُونَ﴾ أي: جدلون في دفع الحق بالباطل^(١).

فصل

قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُ بِهَا﴾ [وَأَتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا] الآيات: ٦١ - ٦٣.

الضمير في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ يحتمل أن يكون راجعاً إلى عيسى عليه السلام، لأن ظهوره يعلم به مجيئ الساعة، لأنه من أشراطها، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي وابن زيد^(٢).

وقيل: أنه عليه السلام يعود غير مكلف في دولة المهدي عليه السلام، وإن كان التكليف باقياً على أهل ذلك الزمان^(٣).

وقوله: ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ﴾ قال قوم: البعض ها هنا يراد به الكل، كأنه قال: ولأبين لكم جميع ما تختلفون فيه^(٤)، وقيل: أراد به من أمر دينكم دون أمر دنياكم^(٥).

والاختلاف أصل كل عداوة، والوفاق أصل كل ولاية، لأن الخلاف يوجب البغضة^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٢١١.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٩: ٢١٣.

٦. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ الآية: ٧٠.

﴿تُحْبَرُونَ﴾ أي: تسرون فيها، والحبور السرور الذي يظهر في الوجه أثره، وحبرته حسته بما يظهر أثر السرور به^(١).

وقال قتادة وابن زيد: معنى ﴿تُحْبَرُونَ﴾ تنعمون^(٢).

وقال السدي: معناه تكرمون^(٣).

فصل

قوله: ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ الآية: ٧٤ - ٧٥.

أي: آيسون من رحمة الله وفرجه، وهو قول قتادة^(٤).

والإبلاس اليأس من الرحمة مع شدة الحيرة، يقال: أبلس فلان إذا تحير عند انقطاع الحجة^(٥).

فصل

قوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ * [سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * فَذَرَهُمْ مَخَضُوا

١. قارن ٩: ٢١٤.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٢١٥.

٤. قارن ٩: ٢١٦.

٥. نفس المصدر.

وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ * وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ
وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ * وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [الآيات: ٨٥، ٨١.
قيل في معنى قوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَانِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ أقوال:
أحدها: فأنا أول الأنفين من عبادته، لأن من كان له ولد لا يكون إلا
جسماً محدثاً، ومن كان كذلك لا يستحق العبادة، لأنه لا يقدر على النعم التي
يستحق بها العبادة^(١)، تقول العرب: عبدت فصمت، قال الفرزدق:
واعبد أن يهجي كليب بدارم^(٢)

وقال آخر:

ألا هذيت أم الوليد وأصبحت لما أبصرت في الرأس مني تعبد^(٣)
الثاني: ما قاله ابن زيد وابن أسلم وقتادة: إِنْ ﴿إِنْ﴾ بمعنى ما وتقديره: ما
كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين لله^(٤).
الثالث: هو أنه لو كان له ولد لعبده على ذلك، كما تقول: لو دعت
الحكمة إلى عبادة غير الله لعبده، لكنها لا تدعو إلى عبادة غيره^(٥)، وكما تقول:
لو دلّ الدليل على أن له ولد لقلت به لكنه لا يدلّ، فهذا تحقيق نفي الولد، لأنه
تعليق محال بمحال^(٦).

١. قارن ٩: ٢١٨.

٢. الشطر من بيت للفرزدق صدره: أولئك أجلسي فجثي بمثلهم .

٣. البيت في تفسير الطبري ولم ينسب لأحد .

٤. قارن ٩: ٢١٩ .

٥. نفس المصدر .

٦. نفس المصدر .

إنما لم يجز على الله تعالى الولد، لأنه لا يخلو أن يضاف إليه الولد حقيقة أو مجازاً، وحقيقته أن يكون مخلوقاً من مائه أو مولوداً على فراشه، وذلك يستحيل عليه تعالى، ومجازه أن يضاف إليه على وجه التبني، وإنما يجوز ذلك في من يجوز عليه حقيقته، ألا ترى أنه لا يقال: تبنى شاب شيخاً لما لم يمكن أن يكون له ولداً حقيقة، وإن جاز أن يضاف إلى شيخ شاب أنه تبناه لما كانت حقيقته مقدورة فيه^(١).

وإنما جاز أن يقال: روح الله، ولم يجز أن يقال: ولد الله، لأن روح الله بمعنى ملك الله للروح، وإنما أضيف إليه تشريفاً، وإن كانت الأرواح كلها لله، بمعنى أنه مالك لها ولا تعارف مثل ذلك في الولد^(٢).

ثم قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ﴾ أي تحقق له العبادة في السماء وتحقق له العبادة في الأرض، وإنما كرر لفظ ﴿إِلَهٌ﴾ في قوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ لأحد أمرين: أحدهما: للتأكيد، ليتمكن المعنى في النفس لعظمه في باب الحق^(٣).

الثاني: أن المعنى هو في السماء إله يجب على الملائكة عبادته، وفي الأرض إله يجب على الآدميين عبادته^(٤).

وقوله: ﴿تَبَارَكَ﴾ هو مأخوذ من الثبوت، ومعناه جل الثابت الذي لم يزل ولا يزال، وقيل: معناه جل الذي عمّت بركة ذكره^(٥).



١. قارن ٩: ٢١٩.

٢. قارن ٩: ٢٢٠.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

سورة حم الدخان

فصل

قوله: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾^ط إِنَّ كُنْتُمْ

مُوقِنِينَ ﴿الآية: ٧.

يجوز أن يكون المراد إن كنتم موقنين، أي إن كنتم ممن يطلب اليقين فهذا طريقه، واليقين ثلج الصدر بالعلم، وهو حال يجده الإنسان من نفسه عند التعقل، ولهذا يقال: من وجد برد اليقين ((كان من اليقين)) ولذلك لا يوصف الله تعالى باليقين، وإن وصف بأنه عالم وعليم^(١).

فصل

قوله: ﴿وَأَتْرَكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾^ط إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ * كَمْ تَرَكَوْا

مِنْ جَنَّتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾

الآيات: ٢٤ - ٢٧.

أي: ساكناً على ما هو به من كثرته إذا قطعه، ولا يرده إلى ما كان، ويقال: عيش راه إذا كان خفضاً وادعاً^(١).

وقال قوم: معناه اترك البحر يابساً، وقيل: طريقاً يابساً، وقال ابن الأعرابي: معناه واسعاً ما بين الطاقات^(٢).

وقوله: ﴿وَنَعْمَةٌ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ النعمة بفتح النون التنعم، وبكسرهما منفعة يستحق بها الشكر وإن كانت مشقة، لأن التكليف نعمة وإن كان فيها مشقة، والفاكهة المتمتع بضروب اللذة، كما يتمتع الأكل بضروب الفاكهة^(٣).



١. قارن ٩: ٢٣١.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٢٣٢.

سورة الجاثية

فصل

قوله: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ] الآيات: ٧ - ١٠.

الويل قيل: أنه واد سائل من صديد جهنم، وقيل: ان الويل كلمة يتلقى بها الكفار والفساق تتضمن استحقاقهم العقاب، والأفَّاك الكذاب، ويطلق ذلك على من يكثر كذبه^(١).

ثم قال: ﴿مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: من بين أيديهم، يعني يوم القيامة جهنم معد لهم، وإنما قيل لما بين أيديهم ﴿مِّنْ وَرَائِهِمْ﴾ والوراء هو الخلف، لأنه يكون في مستقبل أوقاتهم بعد تفضيهم، فيصلح لهذه العلة فيه الوجهان^(٢).

١. قارن ٩: ٢٥٠.

٢. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ الآيات: ٢١ - ٢٣.

الاجتراح الاكتساب، اجترح السيئة اجتراحاً أي اكتسبها من الجراح، لأن له تأثيراً كتأثير الجراح، ومثله الاقتراف، وهو مشتق من قرف القرحة، والسيئة هي التي تسوء صاحبها، وهي الفعلة القبيحة^(١).

قال الرماني: القبيح ما ليس للقادر عليه فعله، والحسن هو ما للقادر عليه أن يفعله، وكل فعل وقع لا لأمر من الأمور فهو لغو لا ينسب إلى الحكمة ولا إلى السفه^(٢).

ثم قال: ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ يا محمد ﴿مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ وإنما سَمَى الهوى إلهاً من حيث أن العاصي يتبع هواه، ويرتكب ما يدعوه إليه، ولم يرد أنه يعبد هواه، أو يعتقد أنه يحق له العبادة، لأن ذلك لا يعتقد أحد^(٣).

١. قارن ٩: ٢٥٨.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٢٥٩.

قال الحسن: معناه اتخذ إلهه بهواه، لأن الله تعالى يجب أن يعرف بحجة العقل لا بالهوى^(١).

وقال ابن عباس: معناه أفرأيت من اتخذ دينه ما يهواه، لأنه يتخذه بغير هدى من الله ولا برهان^(٢).

وقوله: ﴿وَأَضَلُّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ معناه حكم بضلاله عالماً بعدوله عن الحق^(٣)، ويحتمل أن يكون المعنى يعدل الله به عن طريق الجنة إلى طريق النار جزاءً على فعله عالماً بأنه يستحق ذلك^(٤).

﴿وَوَخَّتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ وقد فسّرناه فيما مضى، ومعناه أنه يجعل عليهما علامة تدلّ على كفره وضلاله واستحقاقه للعقاب، لا أنه يفعل فيهما ما يمنع من فعل الإيمان والطاعات^(٥).



١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

سورة الأحقاف

فصل

قوله: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ^١ إِنِ اتَّبَعِ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَان مِّن عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِء وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَامَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ^٢ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الآيات: ٩ - ١٠.

البدع: الأول في الأمر، يقال: هو بدع من قوم أبداع، قال عدي بن زيد:

فلا أنا بدع من حوادث تعتري رجالاً عرت من بعد بؤس وأسعد^(١)

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة: معناه ما كنت بأول رسول بعث^(٢).

وقوله: ﴿مَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ قال الحسن: معناه لا أدري ما

يأمرني الله تعالى فيكم من حرب أو سلم أو تعجيل عقابكم أو تأخير^(٣).

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ يحتمل أمرين:

أحدهما: أنهم لا يهديهم إلى الجنة لاستحقاقهم العقاب.

والثاني: أنه لا يحكم بهداهم لكونهم ضاللاً ظالمين^(٤).

١. البيت في ديوانه، وهو من الشواهد في تفسير الطبري ومجمع البيان والقرطبي.

٢. قارن ٩: ٢٧٠.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

ولا يجوز أن يكون المراد لا يهديهم إلى طريق الحق لأنه تعالى هدى جميع المكلفين، بأن نصب لهم الأدلة على الحق ودعاهم إلى اتباعه ورغبهم في فعله، وقد قال: ﴿وَأَمَّا تُمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ فبين أنه هداهم إلى الحق، وإن اختاروا هم الضلال^(١).

فصل

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ الآية: ١٥.

الايضاع المنع من الانصراف عن الشيء، فايزاع الشكر المنع من الانصراف عنه باللطف، ومنه قولهم: يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن^(٢)، قال النابغة: والشيب وازع^(٣) أي: مانع.

وقيل: ايزاع الشكر الهام الشكر، وقيل: الاغراء بالشكر^(٤).

فصل

قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ الآية: ١٦.

يعني: ما يستحق به الثواب من الواجبات والمندوبات، لأن المباحات وإن كانت حسنة لا يستحق بها الثواب ولا توصف بأنها متقبلة، لأنه لا يتقبل إلا ما ذكرناه من واجب أو نذب^(٥).

١. قارن ٩: ٢٧٠، والآية في سورة فصلت: ١٧.

٢. قارن ٩: ٢٧٥، والخبر في الدر المنثور للسيوطي ٤: ١٩٩ منسوباً إلى قول عمر: والله لما يزع الله بالسلطان أعظم مما يزع بالقرآن، وقريب منه في رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام.

٣. قارن ٩: ٢٧٥ وقول النابغة شطرة من قوله كما في ديوانه ومجاز القرآن ١: ٢٢٧.

فأسهل مني عبرة فرددتها على النحر منها مستهل ودامع

على حين عاتبت المشيب على الصبا وقلت ألما أصح والشيب وازع

٤. قارن ٩: ٢٧٥.

٥. قارن ٩: ٢٧٧.

فصل

قوله: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ الآية: ٢١.

قال ابن عباس: الأحقاف هو واد بين عُمان ومهرة^(١).

وقال ابن اسحاق: الأحقاف الرمل فيما بين عُمان إلى حضرموت^(٢).

وقال قتادة: الأحقاف رمال مشرفة.

فصل

قوله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ﴾ الآية: ٣٥.

قال قوم: أولوا العزم هم الذين يثبتون على عقد القيام بالواجب واجتناب المحارم^(٣).

فعلى هذا الأنبياء كلهم أولوا العزم، ومن قال: ذلك جعل من ها هنا للتبيين لا للتبويض^(٤).

ومن قال: إن أولي العزم طائفة من الرسل وهم قوم مخصوصون قال من ها هنا للتبويض^(٥).

وهو الظاهر في روايات أصحابنا وأقوال المفسرين، ويريدون بأولي العزم من أتى بشريعة مستأنفة نسخت شريعة من تقدم من الأنبياء قالوا: وهم خمسة أولهم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم محمد ﷺ^(٦).



١. قارن ٩: ٢٧٩.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٢٨٦.

٤. قارن ٩: ٢٨٧.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

سورة محمد ﷺ

قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ *
 وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ
 الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ
 يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ * فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى
 إِذَا أَخْنَسْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَمَا مَثًا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ
 الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَا
 بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ۖ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ *
 سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ الآيات: ١ - ٥.

معناه: حكم الله على أعمالهم بالضلال عن الحق، والعدول عن الاستقامة،
 وسماها بذلك لأنها عملت على غير هدى وغير رشاد^(١).

ومعنى التكفير في السيئات هو الحكم باسقاط المستحق عليها من العقاب، فأخبر تعالى أنه متى فعل المكلف الإيمان بالله والتصديق لنبيه، أسقط عقاب معاصيه حتى يصير بمنزلة ما لم يفعل^(١).

قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ قال قتادة وابن جريج: الآية منسوخة بقوله: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾^(٢) وقوله: ﴿فَأَمَّا تَثَقَفَتْهُمُ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدَ بِهِمْ مَنْ خَلَقَهُمْ﴾^(٣).

وقال قوم: ليست منسوخة والإمام مخير بين الفداء والمن والقتل بدلالة الآيات الأخر^(٤).

والذي رواه أصحابنا أن الأسير إذا أخذ قبل انقضاء الحرب والقتال والحرب قائمة، فالإمام مخير بين أن يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ويتركهم حتى ينزفوا، وليس له المن ولا الفداء^(٥).

وإن كان أخذ بعد وضع الحرب أوزارها وانقضاء الحرب، كان مخيراً بين المن والفداء: إما بالمال أو النفس، وبين الاسترقاق، فإن أسلموا في الحالين سقط جميع ذلك وصار حكمه حكم المسلم^(٦).

فصل

قوله: ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ الآية: ٩.

١. قارن ٩: ٢٩٠.

٢. قارن ٩: ٢٩١، والآية في سورة التوبة: ٥.

٣. قارن ٩: ٢٩١، والآية في سورة الأنفال: ٥٧.

٤. قارن ٩: ٢٩١.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

أي: حكم ببطالانها، لأنها وقعت على خلاف الوجه المأمور به^(١).

فصل

قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾ الآية: ١٦.

قرأ ابن كثير آنفًا على وزن فعل الباقون آنفًا بالمد على وزن فاعل^(٢).

حكى الله تعالى لنبئه أن من الكفار من إذا جاء إلى النبي ﷺ واستمع لقراءة القرآن، فلا يصغي إليه ولا ينتفع به حتى إذا خرج من عنده لم يدر ما سمعه ولا فهمه، ولا يسألون أهل العلم الذين آتاهم الله العلم والفهم من المؤمنين^(٣).

﴿مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾ أي: أي شيء قاله الساعة، وقيل: معناه قريباً، وقيل: مبتدئاً^(٤)، والآنف الجائي بأول المعنى، ومنه الاستئناف، وهو استقبال الأمر بأول المعنى، ومنه الأنف لأنه أول ما يبدو من صاحبه^(٥).

فصل

قوله: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية: ١٩.

١. قارن ٩: ٢٩٤.

٢. قارن ٩: ٢٩٧.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ٢٩٨.

٥. نفس المصدر.

الخطاب له والمراد به الأمة، لأنه ﷺ لا ذنب له يستغفر منه، ويجوز أن يكون ذلك على وجه الانقطاع إليه^(١).

ثم قال: ﴿وَاللَّهُ يَغْلَمُ مَتَقَلِّبَكُمُ وَمَتَوَاكُمُ﴾ أي الموضع الذي تتقلبون فيه، وكيف تتقلبون وموضع استقراركم، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، طاعة كانت أو معصية^(٢).

فصل

قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ أَمْرٌ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ الآية: ٢٣ - ٢٤.

أي: سمّاهم عمياً وصماً وحكم عليهم بذلك، لأنهم بمنزلة الصمّ والعمي، من حيث لم يهتدوا إلى الحق ولا أبصروا الرشد، ولم يرد الإصمام في الجارحة والإعماء في العين، لأنهم كانوا بخلافه صحيحي العين صحيحي السمع^(٣).

ثم قال موبخاً لهم: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ أَمْرٌ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ معناه: أفلا يتدبرون القرآن بأن يفكروا فيه ويعتبروا به أم على قلوبهم قفل يمنعهم من ذلك، تنبيهاً لهم على أن الأمر بخلافه، وليس عليها ما يمنع من التدبر والتفكير، والتدبر في النظر في موجب الأمر وعاقبته، وعلى هذا دعاهم إلى تدبر القرآن^(٤).

١. قارن ٩: ٣٠٠.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٣٠٣.

٤. نفس المصدر.

وفي ذلك حجة على بطلان قول من يقول: لا يجوز تفسير شيء من ظاهر القرآن إلا بخبر وسمع^(١).

وفيه تنبيه على بطلان قول الجهال من أصحاب الحديث أنه ينبغي أن يروى الحديث على ما جاء، وإن كان مختلاً في المعنى، لأن الله تعالى دعا إلى التدبر والتفقه، وذلك مناف للتعامي والتجاهل^(٢).

ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾ أي رجعوا عن الحق والإيمان ﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ أي ظهر لهم الطريق الواضح المفضي إلى الجنة^(٣).

وليس في ذلك ما يدل على أن المؤمن على الحقيقة يجوز أن يكفر، لأنه لا يمتنع أن يكون المراد من رجع عن اظهار الإيمان بعد وضوح الأمر فيه وقيام الحجة بصحته^(٤).

فصل

قوله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ الآية: ٣٠.

أي: في فحوى القول ومتضمّنه، ومنه قوله عليه السلام: «ولعل بعضكم ألحن بحجته» أي أذهب بها في الجهات، لقوته على تصريف الكلام^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٩: ٣٠٥، والحديث الشريف في جملة من التفسير وأحكام القرآن للجصاص ولابن ←

واللحن الذهاب عن الصواب في الإعراب، واللحن ذهاب بالكلام إلى خلاف جهته^(١).

فصل

قوله: ﴿ وَلَنْ يَبْرُكُمْ أَغْمَلُكُمْ ﴾ الآية: ٣٥.

أي لن ينقصكم أجور أعمالكم، يقال: وتره يتره وترأ إذا نقصه، وهو قول مجاهد، وأصله القطع فمنه التره القطع بالقتل، ومنه الوتر المنقطع بانفراده عن غيره^(٢).



→ العربي وغيرها ولقظه: ((إنكم تخصصون إليّ وإنما أنا بشر، ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأنا أقطع له قطعة من النار يأتي بها يوم القيامة)).

١. قارن ٩: ٣٠٥.

٢. قارن ٩: ٣٠٨.

سورة الفتح

فصل

قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن

ذُنُوبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ الآيات: ١ - ٢.

قد بينا أن شيئاً من القبايح لا يجوز على الأنبياء بحال، على أن الصغائر تقع مكفرة محبطة لا يثبت عقابها، فكيف يمتن الله تعالى على النبي بأنه يغفرها له وهو تعالى لو واخذه بها لكان ظالماً، وإنما يصح التمدح بما له المؤاخذه وله العفو، فإذا غفر استحق بذلك الشكر^(١).

وللآية وجهان من التأويل^(٢):

أحدهما: ليغفر لك ما تقدم من ذنب أمتك وما تأخر بشفاعتك ولمكانك، وأضاف الذنب إلى النبي وأراد به أمته، كما قال: ﴿وَاسْأَلِ الْقُرْيَةَ﴾^(٣) فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وذلك جائز لقيام

١. قارن ٩: ٣١٤.

٢. نفس المصدر.

٣. يوسف: ٨٢.

الدلالة عليه، كما قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾^(١) والمراد جاء أمر ربك^(٢).

الثاني: أراد أن يغفر ما أذنبه قومك إليك من صدهم لك عن الدخول إلى مكة سنة الحديبية^(٣).

فصل

قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ - وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ [وَتُضِلُّوهُ بُكَرَةً وَأَصِيلًا * إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ - وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُسيؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا]﴾ الآيات: ٨ - ١٠.

معنى ﴿تُعَزِّرُوهُ﴾ أي تنصروه، فالهاء راجعة إلى النبي ﷺ، وقال المبرد: معنى ﴿تُعَزِّرُوهُ﴾ تعظموه^(٤).

وقوله: ﴿لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ دلالة على بطلان قول المجبرة أنه تعالى يريد من الكفار الكفر، لأنه تعالى بين أنه أراد من جميع المكلفين الطاعة ولم يرد أن يعصوا^(٥).

١. الفجر: ٢٢.

٢. قارن ٩: ٣١٤.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ٣١٨.

٥. قارن ٩: ٣١٩.

ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ فالمراد بالبيعة المذكورة ها هنا بيعة الحديبية، وهي بيعة الرضوان، والمبايعة معاقدة على السمع والطاعة كالمعاقدة في البيع والشراء^(١).

وقوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: عقد الله في هذه البيعة فوق عقدهم، لأنهم بايعوا الله ببيعة نبيه.
والآخر: قوة الله في نصرته نبيه فوق نصرتهم^(٢).

فصل

قوله: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا﴾

الآية: ١١.

الأعراب الجماعة من عرب البادية، وعرب الحاضرة ليسوا بأعراب، ففرقوا بينهما وإن كان اللسان واحداً^(٣).

وقوله: ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ البور الفاسد، وقال مجاهد: البور الهالكون^(٤).

فصل

قوله: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سِتْرُ عَوْنٍ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٣٢١.

٤. قارن ٩: ٣٢٢.

شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا^١
وإن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا أَلَيْسَ عَلَى
الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ
يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ
يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا * لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ
تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا
قَرِيبًا * وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَعَدَكُمْ اللَّهُ
مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ
وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا] الآيات: ١٦ - ٢٠.

يقول الله تعالى لنبيه: قل لهؤلاء المخلفين الذين تخلفوا عنك في
الخروج إلى الحديبية ﴿سَتُدْعُونَ﴾ فيما بعد ﴿إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ
تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ قال ابن عباس: أولوا البأس الشديد أهل فارس^(١)، وقال
ابن أبي ليلي والحسن: هم الروم^(٢).

١. وقال بهذا جملة من تلامذته كعطاء بن أبي رباح ومجاهد وعطاء الخراساني (فتح القدير للشوكاني
٥: ٤٩ ط البابي الحلبي سنة ١٣٥ هـ) ورواه عنه علي بن أبي طلحة (تفسير ابن كثير ٤: ١٩٠ ط
الاستقامة) وتبعهم ابن أبي ليلي كما في المصادر المذكورة وغيرهما.

٢. وهذا أيضاً مروى في جملة من التفاسير راجع تفسير الطبري والرازي وابن كثير وفتح القدير
وغيرها.

وقال سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة: هم هوازن بحنين^(١).

وقال الزهري: هم بنو حنيفة مع مسيلمة الكذاب وكانوا بهذه الصفة^(٢).

واستدل جماعة من المخالفين بهذه الآية على إمامة أبي بكر من حيث أن أبا بكر دعاهم إلى قتال بني حنيفة، وعمر دعاهم إلى قتال فارس والروم، وكانوا قد حرموا القتال مع النبي ﷺ، بدليل قوله: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾^(٣).

وهذا الذي ذكروه غير صحيح من وجهين:

أحدهما: أنه غلط في التاريخ ووقت نزول الآية.

والثاني: أنه غلط في التأويل، ونحن نبين فساد ذلك أجمع، ولنا في

الكلام في تأويل الآية وجهان^(٤).

١. كسابقه، وقد قواه الخازن في تفسيره فقال بعد أن حكى جملة الأقوال: وأقوى هذه الأقوال قول من قال إنهم هوازن وثقيف، لأن الداعي هو رسول الله ﷺ، وأبعدها قول من قال إنهم حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب (تفسير الخازن ٤: ١٤٩ ط الميمنية سنة ١٣١٧) وتبعه ظاهراً على هذا السراج الشربيني في تفسيره (٤: ٣٧ ط الخيرية سنة ١٣١١)، فقد حكى قوله ولم يعقب عليه، ولم يبعد ابن جزري في التسهيل (٤: ٢٣ ط مصر سنة ١٣٥٥ هـ) عن ذلك حيث قال إنهم هوازن، وهناك غير هؤلاء أيضاً.

٢. وهذا مروى عن الزهري ولم يرو عن غيره، راجع التفاسير المذكورة، ومع ذلك نجد الشوكاني يقول: وحكى هذا القول الواحد عن أكثر المفسرين!؟

٣. قال الآلوسي في روح المعاني ٢٦: ٩٥ ط المنيرية: وشاع الاستدلال بالآية على صحة إمامة أبي بكر. ثم ذكر وجه الاستدلال إلى أن قال: والإنصاف أن الآية لا تكاد تصحّ دليلاً على إمامة الصديق، إلا إن صحّ خبر مرفوع في كون المراد بالقوم بني حنيفة ونحوهم، ودون ذلك خسرط القتاد.

أحدهما: أن يَنازِعَ في اقتضاها داعياً يدعو هؤلاء المخلفين غير النبي، ويبيِّن أنَّ الداعي لهم فيما بعد كان النبي ﷺ، على ما حكيناه عن قتادة وسعيد بن جبير في أنَّ الآية نزلت في أهل حنين، وكان النبي ﷺ هو الداعي إلى ذلك^(١).

والآخر: أن يسلم أنَّ الداعي غيره، وتبيَّن أنَّه لم يكن أبا بكر ولا عمر، بل كان أمير المؤمنين^(٢).

فأما الوجه الأول فظاهر، لأنَّ قوله: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ قد بيَّنَّا أنَّه أراد به الذين تخلفوا عن الحديبية بإجماع المفسرين^(٣).

ثم قال: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ﴾ إلى آخر الآية، بيِّن أنَّ هؤلاء المخلفين سألوها أن يخرجوا إلى غنيمة خيبر، فمنعهم الله ذلك وأمر نبيه بأن يقول لهم: ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾ إلى هذه الغزاة، لأنَّه تعالى كان حكم من قبل، بأنَّ غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية، وأنَّه لا حظَّ فيها لمن لم يشهدا، وهذا هو معنى قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ وقوله: ﴿كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾^(٤).

ثم قال: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ

١. قارن ٩: ٣٢٥.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴿١﴾ وإنما أراد أن الرسول سيدعوهم فيما بعد إلى قتال بهذه الصفة، وقد دعاهم بعد ذلك إلى غزوات كثيرة^(١).

وقال قوم: أولي بأس شديد، كمؤنة وحنين وتبوك وغيرها، فمن أين يجب أن يكون الداعي لهم غير النبي ﷺ^(٢).

فأما قولهم - إن معنى قوله: ﴿كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ هو أنه أراد قوله: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُوا لَلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾^(٣) فهو الغلط الفاحش في التاريخ^(٤).

لأننا قد بينا أن هذه الآية التي في التوبة نزلت بتبوك سنة تسع، وآية سورة الفتح نزلت سنة ست، فكيف تكون قبلها، وينبغي لمن تكلم في تأويل القرآن أن يرجع إلى التاريخ، ويراعي أسباب نزول الآية على ما روي، ولا يعول على الآراء والشهوات^(٥).

وتبين أيضاً أن هؤلاء المخلفين غير أولئك، وإن لم يرجع إلى تاريخ ونقل^(٦)، قوله: ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ فلم يقطع فيهم على طاعة ولا معصية، بل ذكر الوعد والوعيد على ما يتعلق به من طاعة أو معصية، وحكم المذكورين في سورة التوبة

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. التوبة: ٨٣.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٩: ٣٢٦.

٦. نفس المصدر.

بخلافه، لأنه تعالى قال بعد قوله: ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(١).

واختلاف أحكامهم تدلّ على اختلافهم، وقد حكينا عن سعيد بن جبير أنه قال: هذه الآية نزلت في هوازن يوم حنين، وقال الضحاك: هم ثقيف^(٢).

وقال قتادة: هم هوازن وثقيف.

وأما الوجه الذي يسلم معه أن الداعي غير النبي ﷺ، فهو أن نقول: الداعي أمير المؤمنين ﷺ، لأنه قاتل بعده أهل الجمل وصفين وأهل النهروان، وبشره النبي ﷺ بقاتلهم وكانوا أولي بأس شديد^(٣).

فإن قالوا: من قاتلهم عليّ ﷺ كانوا مسلمين، وفي الآية قال: ﴿تَقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُوا﴾ كيف تناولهم الآية؟

قلنا: أول ما نقوله: أنهم غير مسلمين عندنا ولا عند جميع من خالفنا من المعتزلة لأنّ عندهم صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا مسلم^(٤).

وأما مذهبنا في تكفير من قاتل علياً ﷺ معروف، وقد ذكرناه في كتب الإمامة لقوله ﷺ: «حربك يا عليّ حربي»^(٥) وغير ذلك من الأخبار والأدلة التي

١. قارن ٩: ٣٢٦، والآيات في سورة التوبة: ٨٤ - ٨٦.

٢. قارن ٩: ٣٢٦.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. أخرج هذا الحديث بلفظه الخوارزمي الحنفي في مناقبه: ٧٦ ط حجرية، والقندوزي الحنفي في يتابع المودة: ١٥٤ بسنده عن عليّ ﷺ قال: «قال لي رسول الله ﷺ يوم ففتح خيبر بقدره الله: ... وحربك حربي وسلمك سلمي وسرك سرّي وعلايتك علانيتي...». ←

→ وقال القندوزي: أخرج هذا الحديث المذكور صاحب كتاب المناقب عن جابر بن عبد الله... وأخرجه القندوزي مرة ثانية عن موفق بن أحمد الخوارزمي بسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال: دفع النبي ﷺ الراية يوم خيبر إلى عليّ ففتح الله بيده، ثم في غد ير خم أعلم الناس أنه مولى كل مؤمن ومؤمنة وقال: «... وأنا سلم لمن سالمك وحرب لمن حاربك...».

أقول: روى الذهبي في ميزان الاعتدال ٢: ٧٥ تح البجاوي، وابن حجر في لسان الميزان ٢: ٤٨٣، كلاهما في ترجمة زكريا بن يحيى الكسائي، وابن عدي في الكامل ٣: ٢١٥ ط الثالثة دار الفكر عنه بإسناده: أخذ بيد عليّ وقال: «الله وليي وأنا وليك وعادي من عاداك وسالم من سالمك» وتحاملوا على المسكين زكريا وجرحوه، وأبان ابن عدي ذلك بقوله: وزكريا بن يحيى الكسائي هذا أكثر الأحاديث التي يرويه في فضائل أهل البيت الذي يقع فيها النكرة ومثالب غيرهم من الصحابة التي كلّها موضوعات، وهذا الذي قال ابن معين: يحدث بأحاديث سوء، إنما يرويه في مثالب الصحابة إهـ.

وليتني أدري ماذا يقول ابن معين وابن عدي والذهبي وابن حجر أولاً فيما رواه الترمذي في صحيحه برقم ٣٨٧٠ تح إبراهيم عطوه عوض، ورواه ابن ماجة في سننه ١: ١٤٥ تح محمد فؤاد عبد الباقي، ورواه ابن حبان في صحيحه برقم ٢٢٤٤ ط بيروت، والحاكم في المستدرک ٣: ١٤٩، والطبراني في معجمه الكبير ٣: ٣٠ - ٣١ وغيرهم بأسانيدهم عن زيد بن أرقم قال: مرّ النبي ﷺ على بيت فيه فاطمة والحسن والحسين ﷺ فقال: «أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم» وبلغظ «أنا سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم».

وثانياً: وماذا يقولون في حديث أبي هريرة وقد رواه أحمد في مسنده ٢: ٤٤٢، والحاكم في المستدرک ٣: ١٤٩، والخطيب في تاريخ بغداد ٧: ١٣٧، والطبراني في معجمه الكبير ٣: ٣٠، والهيتمي في مجمع الزوائد ٩: ١٦٩ وغيرهم بأسانيدهم قال أبو هريرة: نظر النبي ﷺ إلى عليّ والحسن والحسين وفاطمة ﷺ وقال: «أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم» وقال الهيتمي في المجمع: وفيه تليد بن سليمان وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح، أقول: فالحديث بهذا الطريق حسن.

وثالثاً: ماذا يقولون في حديث أبي سعيد الخدري وقد أخرجه ابن مردويه وعنه السيوطي في الدر المنثور ٥: ١٩٩ قال: لما دخل عليّ ﷺ بفاطمة ﷺ جاء النبي ﷺ أربعين صباحاً إلى

ذكرناها في غير موضع، واستوفينا ما يتعلق بذلك في كتاب الإمامة^(١).

ويمكن على تسليم أن الداعي أبو بكر وعمر أن يقال: ليس في الآية ما يدل على مدح الداعي ولا على إمامته، لأنه قد يدعو إلى الحق من ليس عليه، ويجب ذلك من حيث كان واجباً، لا من أجل دعاء الداعي، وأبو بكر دعاهم إلى الدفاع عن الإسلام، وهذا واجب على كل أحد بلا دعاء داع^(٢).

ويمكن أن يكون المراد بقوله: ﴿سَتُدْعَوْنَ﴾ دعاء الله لهم بإيجاب القتال عليهم، لأنه إذا دلهم على وجوب القتال للمرتدين ودفعهم عن بيضة الإسلام فقد دعاهم إلى القتال ووجبت عليهم طاعته^(٣).

والكلام في هذه الآية كالكلام في التي قبلها، في أنا إذا قلنا لا تدل على إمامة الرجلين لا نكون طاعنين، بل لا يمتنع أن يثبت فضلها وإمامتهما بدليل غير الآية، لأن المحصلين من العلماء يذهبون إلى إمامتهما من جهة الاختيار لا من جهة الآية^(٤).

→ بابها يقول: «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، الصلاة رحمكم الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم».

ألا فلتسخر أعين النواصب الذين لا يطبقون سماع فضيلة لأهل البيت، فهذه الأحاديث الثلاثة ليس في سند واحد منها زكريا بن يحيى الكسائي الذي تحاملوا عليه بغير حق، وإلى غير ذلك من أحاديث أمثالها.

١. راجع تلخيص الشافي ٢: ١٣٥ ط الآداب النجف.

٢. قارن ٩: ٣٢٦.

٣. قارن ٩: ٣٢٧.

٤. نفس المصدر.

وقوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾^(١)
سميت بيعة الرضوان لقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

قال ابن عباس: كان سبب بيعة الرضوان بالحديبية تأخر عثمان حين بعثه النبي ﷺ إلى قريش فبلغه أنهم قتلوه، فبايعهم على قتال قريش^(٢).

وهو إخبار من الله تعالى أنه رضي عن الذين بايعوا تحت الشجرة النبي ﷺ، وكانوا مؤمنين في الوقت الذي بايعوه ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من إيمان ونفاق، فرضي عن المؤمنين وسخط على المنافقين^(٣).

وقيل: معناه فعلم ما في قلوبهم من صدق النية في القتال وكرهته له، لأنه بايعهم على القتال، ذكره مقاتل^(٤).

﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني على المؤمنين، والسكينة الصبر لقوة البصيرة^(٥).

والشجرة التي بايعوا تحتها هي السمرة^(٦).

واستدل بهذه الآية جماعة على فضل أبي بكر، فإنه لا خلاف أنه كان من المبايعين تحت الشجرة، وقد ذكر الله أنه رضي عنهم وأنه أنزل السكينة عليهم، وأنه علم ما في قلوبهم من الإيمان وأثابهم فتحاً قريباً^(٧).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٣٢٨.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

والكلام على ذلك مبني على القول بالعموم، وفي أصحابنا من قال: لا صيغة للعموم ينفرد بها، وبه قال كثير من المخالفين^(١).

فمن قال بذلك كانت الآية عنده مجملة لا يعلم المعنى بها، وقد بايع النبي ﷺ جماعة من المنافقين بلا خلاف، فلا بد من تخصيص الآية على كل حال^(٢).

على أنه تعالى وصف من بايع تحت الشجرة بأوصاف قد علمنا أنها لم تحصل في جميع المبايعين، فوجب أن يختص الرضا بمن جمع الصفات، لأنه قال: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

ولا خلاف بين أهل النقل أن الفتح الذي كان بعد بيعة الرضوان بلا فصل هو فتح خيبر، وأن رسول الله بعث أبا بكر ثم عمر، فرجع كل واحد منهما منهزماً^(٣)، فقال النبي ﷺ عند ذلك: «لَأُعْطِينَ الرَايَةَ غَدًا رَجُلًا يَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. روى المتقي الهندي في كنز العمال ٦: ٣٩٤ ط حيدر آباد الأولى وهو ترتيب جمع الجوامع للسيوطي حديثاً عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال فيه: فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث أبا بكر - يعني يوم خيبر - فصار بالناس فانهزم حتى رجع عليه، وبعث عمر فانهزم بالناس حتى انتهى إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لَأُعْطِينَ الرَايَةَ رَجُلًا يَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ لَيْسَ بِفَرَارٍ» وساق الحديث، وذكر المتقي الهندي قول السيوطي: أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد بن حنبل وابن ماجه والبخاري وابن جرير وصححه والطبراني في الأوسط والحاكم والبيهقي في الدلائل والضياء المقدسي . وورد في حديث ابن عباس في مجمع الزوائد للهيتمي ٩: ١٢٤ فرجع - أبو بكر - منهزماً ومن معه، فلما كان من الغد بعث عمر فرجع منهزماً يجتن أصحابه ويجتن أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «لَأُعْطِينَ الرَايَةَ رَجُلًا يَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...» وقال: رواه الطبراني، وفي مستدرك الصحيحين ٣: ٣٨ بسنده عن جابر أن النبي ﷺ دفع الراية يوم خيبر إلى عمر فانطلق فرجع يجتن أصحابه ويجتنونه، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

ويحبه الله ورسوله كزار غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه»^(١) فدعا علياً فأعطاه الراية، وكان الفتح على يده، فوجب أن يكون هو المخصوص بحكم الآية، ومن كان معه في ذلك الفتح، لتكامل الصفات فيهم^(٢).

على أن في من بايع بيعة الرضوان طلحة والزبير، وقد وقع منهما من قتال علي عليه السلام ما خرجا به عن الإيمان، وفسقا عند جميع المعتزلة ومن جرى مجراهم، ولم يمتنع وقوع الرضا في تلك الحال من مواقعة المعصية فيما بعد، فما الذي يمنع من مثل ذلك في غيره^(٣).

وليس إذا قلنا أن الآية لا تختص بالرجلين كان طعننا عليهما، بل إذا حملناها على العموم دخلا وكل مباح مؤمن فيها، فكان ذلك أولى^(٤).

فصل

قوله: ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ الآية: ٢٩.

١. حديث الراية رواه المؤرخون وأصحاب السير بألفاظ مختلفة وعن عدة من الصحابة، حتى قال ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة الإمام علي عليه السلام: روى سعد بن أبي وقاص وسهل بن سعد وأبو هريرة وبريدة الأسلمي وأبو سعيد الخدري وعبد الله بن عمر وعمران بن حصين وسلمة بن الأكوع كلهم بمعنى واحد عن النبي ﷺ أنه قال في يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ليس بفرار يفتح الله على يديه» ثم دعا بعلي وهو أرمد، فقتل في عيته وأعطاه الراية ففتح الله عليه.

أقول: ولقد فات ابن عبد البر ذكر جماعة آخرين من الصحابة رووا ذلك الحديث، منهم علي وابن عباس وعمر وأبو ليلى الأنصاري وأبو رافع وجابر بن عبد الله وغيرهم. وتجد الحديث عنهم في ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ ابن عساكر فراجع ١: ١٥٦ - ٢٢٥، وفي البداية والنهاية ٤: ١٨٦ بعض ذلك.

٢. قارن ٩: ٣٢٩.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

قال ابن عباس: أثر صلاتهم يظهر في وجوههم^(١)، وقال الحسن: هو السميت الحسن^(٢)، وقال قوم: هو ما يظهر في وجوههم من السهر بالليل^(٣)، وقال مجاهد: معناه علامتهم في الدنيا من أثر الخشوع^(٤).

وقوله: ﴿كَزَرَ عَ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ﴾ شبههم بالزرع الذي ينبت حواليه نبات ويلحق به، فالشطء فراخ الزرع الذي يخرج في جوانبه، ومنه شاطئ النهر جانبه^(٥).

﴿فَآزَرَهُ﴾ أي عاونه فشد فراخ الزرع لاصول النبت وقواها، وقال أبو عبيدة: آزره ساواه فصار مثل الأم^(٦).



١. قارن ٩: ٣٣٦.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٩: ٣٣٧.

سورة الحجرات

فصل

قوله: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ
وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۖ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ
فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ الآيات: ١ - ٢.

أمرهم أن يتقوا الله بأن يجتنبوا معاصيه ويفعلوا طاعاته^(١).
ثم أمرهم ثانياً بأن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي على وجه
الاستخفاف به عليه السلام. فإن مجاهداً وقتادة قالوا: جاء أعراب أجلاف من بني تميم،
فجعلوا ينادون من وراء الحجرات: يا محمد أخرج إلينا^(٢).

١. قارن ٩: ٣٤٠.

٢. قارن ٩: ٣٤٠ لقد روى البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق وفي كتاب الاعتصام بالكتاب
والسنة وفي كتاب التفسير بطرق مختلفة منها عن نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن
يهلكا أبو بكر وعمر، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما
بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر
لعمر: ما أردت إلا خلافي فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ
النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ورواه
السيوطي عنه وعن ابن المنذر والطبراني، وهذا رواه أحمد في مسنده ٤: ٦، والترمذي في صحيحه
أبواب التفسير، والنسائي في سننه ٢: ٣٠٤، والسيوطي في الدر المنثور ٦: ٨٣ نقلاً عن البخاري وابن
المنذر وابن مردويه عن عبد الله بن الزبير.

ولو أن إنساناً رفع صوته على صوت النبي ﷺ على وجه التعظيم له والإجابة لقوله لم يكن مأثوماً، وقد فسر ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ فإن العادة جارية أن من كلم غيره فرفع صوته فوق صوته أن ذلك دال على وجه الاستخفاف به، فلذلك نهاهم عنه ^(١).

وجهر الصوت أشد من الهمس، ويكون شديداً وضعيفاً ووسطاً، والجهر ظهور الصوت بقوة الاعتماد، ومنه الجهارة في المنطق ^(٢).

فصل

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ الآية: ٦.

قال ابن عباس ومجاهد ويزيد بن رومان وقتادة وابن أبي ليلي: نزلت الآية في الوليد بن عقبة بن أبي معيط لما بعثه رسول الله في صدقات بني المصطلق، خرجوا يتلقونه فرحاً به وإكراماً له، فظن أنهم هموا بقتله، فرجع إلى النبي ﷺ فقال: أنهم منعوا صدقاتهم وكان الأمر بخلافه ^(٣).

١. قارن: ٩: ٣٤٠.

٢. نفس المصدر.

٣. قال الزمخشري في الكشاف ٣: ١٤٨ ط مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٦٧ هـ بعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة - أخا عثمان لأمه، وهو الذي ولّاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر أربعاً ثم قال: هل أزيدكم؟ فعزله عثمان عنهم - مصداقاً إلى بني المصطلق، وكانت بينه وبينهم إحنة، فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبليين له، فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله ﷺ: قد ارتدوا ومنعوا الزكاة، فغضب رسول الله ﷺ وهم أن يغزوهم، فبلغ القوم، فوردوا وقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتهمهم وقال: لتنتهن أو لأبعثن إليكم رجلاً هو عندي كنفي يقاتل مقاتلكم ويسبي ذراريكم، ثم ضرب يده على كتف علي ﷺ، إله، وروى ذلك الطبراني ←

→ في الأوسط كما في مجمع الزوائد ٧: ١١٠ عن جابر بن عبد الله وفيه إنهم بنو وليعة، وكان بينهم وبين الوليد شحنة في الجاهلية ثم ساق القصة وقال: وأنزل الله في الوليد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنَاتٌ﴾ الآية .

وفي زاد المسير لابن الجوزي قال: نزلت في الوليد بن عقبة ...

وفي تفسير القرطبي ١٦: ٣١١: فأنزل الله تعالى هذه الآية وسَمَّى الوليد فاسقاً أي كاذباً .

ثم قال في ص ٣١٢ قال ابن العربي: ومن العجب أن يجوز الشافعي ونظراؤه إمامة الفاسق ومن لا يؤمن على حبة مال كيف يصح أن يؤمن على قنطار دين .

قال القرطبي: وهذا إنما كان أصله أن الولاة الذين كانوا يصلون بالناس لما فسدت أديانهم ولم يمكن ترك الصلاة وراءهم، ولا استطيعت إزالتهم صلي معهم ووراءهم ثم كان من الناس من إذا صلى معهم تقية أعادوا الصلاة، ومنهم من كان يجعلها صلاته . وبوجوب الإعادة.

أقول: إن كان ابن العربي عجب من تجويز الشافعي ونظرائه إمامة الفاسق الخ ألا يكون الأعجب والأغرب حين نرى الرازي وهو من جهاذة المفسرين يقول في تفسيره ٧: ٥٨٩ ط العامة بدون حياء:

إن اطلاق لفظ الفاسق على الوليد شيء بعيد، لأنه توهم وظن فأخطأ، والمخطئ لا يسمى فاسقاً كيف والفاسق في أكثر المواضع المراد به من خرج عن ربة الإيمان لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ إلى غير ذلك، هذا ما قاله الرازي، فاقراً واضحك وشر البلية ما يضحك، فالله تعالى يسمي الوليد فاسقاً وينزل في ذلك قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، والرازي يتأبى من تسميته بالفاسق، أنه هذا الشيء عجاب، وليته سلك مسالك قومه من المفسرين فلم يأت بباقعة، بعد أن صح نزول الآية في تلك الواقعة، قال ابن كثير في تفسيره ٤: ٢٠٨:

وقد ذكر أكثر المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق، وقد روي ذلك من طرق، ومن أحسن ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية ملك بني المصطلق، وهو الحارث بن ضرار بن أبي ضرار والد ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين ﷺ، ثم ساق الحديث بطوله إلى أن قال في ص ٢٠٩: ورواه ابن أبي حاتم ... ورواه الطبراني من حديث محمد بن سابق ...

وقال ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس ﷺ في هذه الآية قال: كان رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة ... فأنزل الله تبارك وتعالى عذرهم في الكتاب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنَاتٌ﴾ فَبَيَّنُوا ﴿إلى آخر الآية ...

وفي الآية دلالة على أن خبر الواحد لا يوجب العلم ولا العمل، لأن المعنى إن جاءكم فاسق بالخبر الذي لا تأمنون أن يكون كذباً فتوقفوا فيه^(١).

وهذا التعليل موجود في خبر العدل، لأن العدل على الظاهر يجوز أن يكون كاذباً في خبره، فالأمان غير حاصل في العمل بخبره^(٢).

وفي الناس من استدلّ به على وجوب العمل بخبر الواحد إذا كان راويه عدلاً، من حيث أنه أوجب تعالى التوقف في خبر الفاسق، فدلّ على أن خبر العدل لا يجب التوقف فيه^(٣).

وهذا الذي ذكره غير صحيح، لأنه استدلال بدليل الخطاب، ودليل الخطاب ليس بدليل عند جمهور العلماء. ولو كان صحيحاً، فليست الآية بأن يستدلّ بدليلها على وجوب العمل بخبر الواحد إذا كان عدلاً، بأولى من أن يستدلّ بتعليقها في رفع الأمان من أن يصاب بجهالة إذا عمل بها، على أن خبر العدل مثله، على أنه لا يجب العمل بخبر الواحد وإن كان راويه عدلاً^(٤).

فإن قيل: هذا يؤدي إلى أن لا فائدة في إيجاب التوقف في خبر الفاسق إذا كان خبر العدل مثله في الفائدة^(٥).

قلنا: والقول بوجوب العمل بخبر العدل يوجب أن لا فائدة في تعليل

→ ثم قال ابن كثير في ص ٢١٠: وكذا ذكر غير واحد من السلف منهم أبي ليلى ويزيد بن رومان والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم في هذه الآية أنها نزلت في الوليد بن عقبة، والله أعلم.

١. قارن ٩: ٣٤٣.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٣٤٤.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

الآية في خبر الفاسق الذي يشاركه العدل فيه، فإذا تقابلا سقط الاستدلال على كل حال وبقي الأصل في أنه لا يجوز العمل بخبر الواحد إلا بدليل^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاتِّمَامُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَّعْضُكُم بَعْضًا] [الْحَبِيبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ] يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْلَكُمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الآيات: ١١ - ١٥].

قوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فاللمز: هو الرمي بالعيب لمن لا يجوز أن يؤذى بذكره، وهو المنهي عنه، فأما ذكر عيبه فليس بلمز، وروي أنه عليه السلام قال: «قولوا في الفاسق ما فيه كي يحذره الناس»^(١).

وقال ابن عباس وقتادة: معناه لا يطعن بعضهم على بعض، كما قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ لأن المؤمنين كنفس واحدة، فكأنه بقتله أخاه قاتل نفسه^(٢).

وقوله: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ قال أبو عبيدة: الأنباز والألقاب واحد، فالنبز القذف باللقب، نهاهم الله أن يلقب بعضهم بعضاً^(٣).
وقال الضحاك: معناه كل اسم أو صفة يكره الإنسان أن يدعى به فلا يدعى به، وإنما يدعى بأحب أسمائه إليه^(٤).

وقوله: ﴿يَسْأَلُ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ لا يدل على أن المؤمن لا يكون فاسقاً، ولا أن الإيمان والفسوق بعد الإيمان لا يجتمعان، لأن ذلك يجري مجرى أن يقال: يسأل الحال الفسوق بعد الشيب^(٥).

((والمعنى يسأل الاسم الفسوق مع الإيمان، كما أن المعنى يسأل الحال الفسوق مع الشيب)) على أن الظاهر يقتضي أن الفسق الذي يتعقب الإيمان بسؤال الاسم، وذلك لا يكون إلا كفراً وهو بسؤال الاسم^(٦).

١. قارن ٩: ٣٤٩.

٢. قارن ٩: ٣٤٩، والآية في سورة النساء: ٢٩.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. ما بين القوسين من كلام ابن إدريس رحمه الله.

ثم خاطبهم أيضاً فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾^(١) وإنما قال: ﴿كَثِيرًا﴾ لأن في جملة ما يجب العمل عليه ولا يجوز مخالفته^(٢).

وقوله: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ فالظن الذي يكون إثماً هو ما يفعله صاحبه^(٣)، وله طريق إلى العلم بدلاً منه مما يعمل عليه، فهذا ظن محرم لا يجوز فعله، فأما ما لا سبيل إلى دفعه بالعلم بدلاً منه فليس بإثم، فلذلك كان بعض الظن إثماً دون جميعه^(٤).

والظن المحمود قد بينه الله ودلّ عليه في قوله: ﴿لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ وقيل: يلزم للمؤمن أن يحسن الظن به، ولا يسيئ الظن في شيء يجد له تأويلاً جميلاً، وإن كان ظاهره القبيح، ومتى فعل ذلك كان ظنه قبيحاً^(٥).

وقوله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ أي لا تتبعوا عثرات المؤمن، في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة. وقيل: يجب على المؤمن أن يتجنب ذكر المستور عند الناس بقبيح، لأن عليهم أن يكذبوه ويردوا عليه، وإن كان صادقاً عند الله، إلا أن الله ستره عند الناس^(٦).

وإنما دعا الله تعالى المؤمنين إلى حسن الظن في بعضهم ببعض، للإلفة والتناصر على الحق، ونهوا عن سوء الظن لما في ذلك من التقاطع والتدابير^(٧).

١. قارن ٩: ٣٤٩.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٣٥٠.

٤. نفس المصدر، والآية في سورة النور: ١٢.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

وقوله: ﴿أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ معناه: إن من دعي إلى أكل لحم أخيه فعافته نفسه، فكرهه من جهة طبعه، فإنه ينبغي إذا دعي إلى غيبة أخيه، فعافته نفسه من جهة عقله، فإنه ينبغي أن يكرهه، لأن داعي العقل أحق أن يتبع من داعي الطبع، لأن داعي الطبع أعمى وداعي العقل بصير، وكلاهما في صفة الناصح، وهذا من أحسن ما يدل به على ما ينبغي أن يتجنب^(١).

ومعنى قوله: ﴿لَا يَلْتَكُمُ﴾ لا ينقصكم من حقكم شيئاً، ومنه قوله: ﴿وَمَا أَلْتَأَهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي ما نقصناهم^(٢).

فصل

قوله: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ الآية: ١٧.

المن القطع بإيصال النفع الموجب للحق، ومنه قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي غير مقطوع، ومنه قولهم: المنّة تكدر الصنيعة^(٣).
وقيل: إذا كفرت النعمة حسنت المنّة، ومن لا أحد إلا وهو محتاج إليه فليس في منّة تكدير النعمة، لأن الحاجة إليه لازمة، لامتناع أن يستغنى عنه بغيره^(٤).



١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٣٥١، والآية في سورة الطور: ٢١.

٣. قارن ٩: ٣٥٥، والآية في سورة التين: ٦.

٤. قارن ٩: ٣٥٥.

سورة ق

فصل

قوله: ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ الآية: ٥.

أي: مختلط ملتبس، وأصله ارسال الشيء مع غيره في المرج، من قولهم: مرج الخيل المذكور مع الإناث، وهو مرج الخيل أي المسرح الذي يمرج فيه، ومرج البحرين أرسلهما في مسرح يلتقيان ولا يختلطان^(١).

وقوله: ﴿مَآرِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ أي مرسل الشعاع بانتشاره^(٢)، قال الشاعر:

فجالت فالتمست به حشاها فخر كأنه غصن مريج^(٣)
أي: قد التبس بكثرة شعبه.

فصل

قوله: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا

وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ [وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا

مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ * تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنْ

١. قارن ٩: ٣٥٨.

٢. نفس المصدر.

٣. البيت لعمر بن الداحل كما في ديوان الهذليين ٣: ٩٨، ونسب في شرح أشعار الهذليين للسكري

٢: ٦١٨ للداحل بن عمرو.

السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ
بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا
كَذَلِكَ الْخُرُوجُ] الآيات: ٦-١١.

أي: ليس فيها فتوق يمكن السلوك فيها، وإنما يسلكها الملائكة بأن
يفتح لها أبواب السماء إذا عرجت إليها^(١).

وقوله: ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾ الرزق هو ما للحی الانتفاع به على وجه ليس لغيره
منعه منه، والحرام ليس برزق، لأن الله تعالى منع منه بالنهي والحظر، وكل رزق
فهو من الله تعالى، أما بأن يفعل أو يفعل سببه، لأنه مما قد يريده، وقد يرزق
الواحد من غيره، كما يقال: رزق السلطان الجند^(٢).

فصل

قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ [وَتَمُودُ] وَعَادٌ
وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ
حَقًّا وَعِيدٍ * أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ]﴾
الآيات: ١٢-١٥.

أصحاب الرس هم أصحاب البثر الذين قتلوا نبيهم ورسوه فيها - في قول
عكرمة - وقال الضحاك: الرس بثر قتل فيها صاحب ياسين^(٣).

١. قارن ٩: ٣٥٩.

٢. قارن ٩: ٣٦٠.

٣. قارن ٩: ٣٦١.

وقوله: ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ هم قوم شعيب، والأيكه الغيظة^(١).

وقوله: ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ يقال: عييت بالأمر إذا لم يعرف وجهه، وأعييت إذا تعبت، وكل ذلك من التعب في الطلب^(٢).

فصل

قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ
عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ [مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ
عَتِيدٌ] * وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ *
وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ لَوْعِيدٍ] الآيات: ١٦ - ٢٠.

قال ابن عباس ومجاهد: الوريد عرق في الحلق، وهما وريدان في العنق
عن يمين وشمال^(٣).

وقال الحسن: الوريد الوتين، وهو عرق معلق به القلب، فאלله أقرب إلى
المرء من قلبه^(٤).

وقوله: ﴿يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ يعني الملكين الموكلين بالإنسان، عن يمينه
وشماله ﴿قَعِيدٌ﴾ وإنما وُحِدَ ﴿قَعِيدٌ﴾ لأحد أمرين:

١. قارن ٩: ٣٦٢.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٣٦٣.

٤. نفس المصدر.

أحدهما: أنه حذف من الأول لدلالة الثاني عليه، كما قال الشاعر:
نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف^(١)
الثاني: أن يكون القعيد على لفظ الواحد، ويصلح للثنين والجمع
كالرسول لأنه من صفات المبالغة وفيه معنى المصدر^(٢).

فصل

قوله: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [وَقَالَ قَرِينُهُ
هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ * أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ
مُعْتَدٍ مَّرِيئٍ] الآيات: ٢٢ - ٢٥.

أي: أزلنا الغطاء عنك حتى ظهر لك الأمر، وإنما تظهر الأمور في الآخرة
بما يخلق الله فيهم من العلوم الضرورية، فيصير بمنزلة كشف الغطاء عما يرى،
والمراد به جميع المكلفين برهم وفاجرهم، لأن معارف الجميع ضرورية^(٣).
وقوله: ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ معناه أن عينيك حادة النظر، لا يدخل
عليها شك ولا شبهة^(٤).

وقيل: المعنى فعلمك بما كنت فيه من أحوال الدنيا نافذ، ليس يراد به
بصر العين، كما يقال: فلان بصير بالنحو أو بالفقه^(٥).

١. البيت من الشواهد النحوية في باب الحذف والإضمار، وقد أورده ابن عقيل وغيره، كما هو من
شواهد التفسير في مجاز القرآن ١: ٤٣٤، وتفسير القرطبي ٨: ١٢٨.

٢. قارن ٩: ٣٦٤.

٣. قارن ٩: ٣٦٦.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

وقوله: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ إنما قيل ﴿أَلْقِيَا﴾ لأن المأمور بالقاء كل كافر في النار اثنان من الملائكة، وقيل: يجوز أن يكون على لفظ الاثنين والمأمور واحد، لأنه بمنزلة القاء اثنين في شدته^(١).

وحكى الزجاج عن بعض النحويين أن العرب تأمر الواحد بلفظ الاثنين، فتقول: قوما واقعدا، قال الحجاج: يا حرسى اضربا عنقه، وإنما قالوا ذلك لأن أكثر ما يتكلم به العرب ممن يأمره بلفظ الاثنين، نحو:

خليلي مرأبي على أم جندب^(٢)

وقوله: (فقا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)^(٣).

وقال المبرد: هذا فعل مثني للتأكيد كأنه قال: ألق ألق.

فصل

قوله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾

الآية: ٣٠.

قال قوم وهو أظهر الأقوال: إن الكلام خرج مخرج المثل، أي إن جهنم من سعتها وعظمتها، فيما يظهر من حالها، بمنزلة الناطقة التي إذا قيل لها هل امتلأت فتقول هل من مزيد، أي لم أمتلئ وبقي في سعة كثيرة^(٤).

ومثله قول الشاعر:

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٣٦٦ والشر من بيت لامرئ القيس وتمته: لنقضي حاجات الفؤاد المعذب، وهو مطلع

قصيدة في ديوانه جمع السندوبي.

٣. ما بين القوسين إكمال للنقص وهو شطر من أول معلقة امرئ القيس الشهيرة.

٤. قارن ٩: ٣٦٩.

امتلاً الحوض وقال قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني^(١)

والحوض لم يقل شيئاً، وإنما أخبر عن امتلائها وأنها لو كانت ممن ينطق لقلت: قطني مهلاً قد ملأت بطني، فكذا القول في الآية.

وقال الحسن وعمر بن عبيد وواصل: معنى ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ ما من مزيد، وأنه بمعنى لا مزيد، وأنكروا أن يكون طلباً للزيادة، لقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(٢).

وقال بعضهم: هذا ليس بمنكر من وجهين:

أحدهما: أن يكون ذلك حكاية عن الحال التي هي قبل دخول جميع أهل النار فيها، وهي لم تمتلء بعد، وإن امتلأت فيما بعد. والآخر: أن يكون طلب الزيادة بشرط أن يزداد في سعتها^(٣).

وقال قوم: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ بمنزلة قول النبي ﷺ يوم فتح مكة وقد قيل له: ألا تنزل دارك، فقال: «وهل ترك لنا عقيل من ربيع» لأنه كان باع دور بني هاشم لما خرجوا إلى المدينة، وإنما أراد: لم يترك لنا داراً^(٤).

فصل

قوله: ﴿وَأَزَلَفْتُ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ الآية: ٣١.

١. نفس المصدر، والرجز في العين والصاح والتهديب واللسان غير منسوب.

٢. قارن ٩: ٣٦٩، والآية في سورة هود: ١١٩.

٣. قارن ٩: ٣٦٩.

٤. قارن ٩: ٣٦٩، والحديث في المبسوط للسرخسي ١٠: ٥٢، ولسان العرب وتاج العروس ونهاية ابن الأثير (ربيع).

الإزلاف التقريب إلى الخير، ومنه الزلقة والزلفى، ويقولون: ازدلف إليه أي اقترب، والمزدلفة منزلة قريبة من الموقف وهو المشعر وجمع، ومنه قول الراجز:
 ناج طواه الأين ممّا وجفا طبي الليالي زلفاً فرلفاً^(١)

فصل

قوله: ﴿ فَتَقَبُّوا فِي الْبَلَدِ هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ * فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُودِ ﴾ [الآيات: ٣٦ - ٤٠].

أي فتحوا المسالك في البلاد لشدة بطشهم، فالتنقيب التفتيح لما يصلح للسلوك من نقص البنية، فالتنقب نقض موضع بما يصلح للسلوك^(٢).

وقال مجاهد: نقبوا في البلاد ضربوا في الأرض^(٣)، قال امرؤ القيس:

لقد نقبت في الآفاق حتى رضىت من الغنيمة بالاياب^(٤)

وقوله: ﴿ هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴾ أي هل من محيد، وهو الذهاب في ناحية عن الأمر للهرب^(٥).

١. قارن ٩: ٣٧٠، والرجز للعجاج وقد تكرر في الكتاب ذكره.

٢. قارن ٩: ٣٧٢.

٣. قارن ٩: ٣٧٣.

٤. البيت لامرؤ القيس كما في ديوانه: ٤٨ ط الاستقامة جمع حسن السندوبي.

٥. قارن ٩: ٣٧٣.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ أي من نصب وتعب في قول ابن عباس ومجاهد، واللغوب الإعياء، قال قتادة: أكذب الله بذلك اليهود قالوا: استراح الله يوم السبت، فهو عندهم يوم الراحة^(١).

وقيل: إنما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام مع قدرته على أن يخلقهما في وقت واحد، لأن في ذلك لطفاً للملائكة حين شاهدوه يظهر حالاً بعد حال^(٢).

وقيل: لأن في الخبر بذلك لطفاً للمكلفين فيما بعد، إذا تصوّروا أن ذلك يوجد شيئاً بعد شيء مع أدب النفس به في ترك الاستعجال، إذ جرى في فعل الله لضرب من التدبير^(٣).



١. قارن ٩: ٣٧٤.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

سورة الذاريات

فصل

قوله: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾ * فَالْحَمَلَاتِ وِقْرًا * فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا *
فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا [إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ * وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْ قَعُ * وَالسَّمَاءِ
ذَاتِ الْحُبُوكِ * إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ * يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أُنْفَكُ * قُتِلَ
الْخَرَّاصُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ * يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الَّذِينَ *
يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ * ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِء
تَسْتَعْجِلُونَ] ﴿الآيات: ١ - ١٤.

روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وابن عباس رحمة الله
عليه ومجاهد: أنَّ الذاريات الرياح ^(١).

وسأل ابن الكواء أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخطب على المنبر ((ما
﴿الذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾ قال: الرياح، قال:)) ما ﴿الْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾؟ فقال: السحاب،
فقال: ما ﴿الْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾؟ قال: السفن، والمعنى: أنَّها تجري سهلاً، فقال: ما

﴿الْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا﴾ ؟ فقال: الملائكة^(١).

وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن، وهذا قسم من الله تعالى بهذه الأشياء^(٢).

وقال قوم: التقدير القسم برب هذه الأشياء، لأنه لا يجوز القسم إلا بالله، ((وقد روي عن أبي جعفر وأبي عبد الله أنه لا يجوز لأحد أن يقسم إلا بالله))، والله تعالى يقسم بما شاء من خلقه^(٣).

وقوله: ﴿ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ ذات الزينة بالنجوم والصنعة والطرائق الحسنة، وقيل: الحبك النسج الحسن، يقال ثوب محبوبك^(٤).

وقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ معناه: إنكم في الحق لفي قول مختلف لا يصح إلا واحد منه، وهو أمر النبي ﷺ وما دعا إليه، وهو تكذيب فريق به وتصديق فريق، ودليل الحق ظاهر، وفائدته أن أحد الفريقين في هذا الاختلاف مبطل، لأنه اختلاف يناقض، فاطلبوا الحق منه بدليله وإلا هلكتم^(٥).

وقوله: ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ﴾ معناه: يصرف عنه من صرف، ومنه قوله:

١. قارن ٩: ٣٧٨، وما بين القوسين إكمال للنقص، والخبر في كتاب فتح الباري لابن حجر ٨: ٤٥٩ ط دار المعرفة بيروت الطبعة الثانية، وجامع بيان العلم لابن عبد البر ١: ١١٤ ط دار الكتب العلمية بيروت، وكنز العمال ٢: ٥٦٥ ط مؤسسة الرسالة بيروت وغيرها.

٢. قارن ٩: ٣٧٩.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ٣٨٠.

٥. نفس المصدر.

﴿أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ أي: لتصرفنا وتصدنا^(١).

وقوله: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ معناه لعن الكذابون، ومثله ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ والخرَّاص الكذاب، وأصله الخرص وهو القطع، من قولهم خرص فلان كلاماً واخترصه إذا افتراه، لأنه اقتطعه من غير أصل يصح^(٢).

والخرص الحزر في العدد والكيل، ومنه خارص النخل وهو حازره، وجمعه خراص^(٣).

تم التعليق من الجزء الثامن من كتاب التبيان في تفسير القرآن^(٤)
ولله المنة والحمد، وكتب محمد بن إدريس مصلياً حامداً^(٥).



١. قارن ٩: ٣٨٠، والآية في سورة الأحقاف: ٢٢.

٢. قارن ٩: ٣٨١، والآية في سورة عبس: ١٧.

٣. قارن ٩: ٣٨١.

٤. جاء في النسخة الرضوية: وكان الفراغ منه في أواخر صفر من سنة أربعين وستمئة، كتبه لنفسه مهنا بن علي بن عطف حامداً مصلياً على محمد ﷺ.

٥. جاء في نسخة دانشگاه تهران اهدائي مشكوة: تم التعليق من الجزء الثامن من كتاب التبيان في تفسير القرآن لله المنة والحمد، وكتبه الفقير إلى الله علي بن كرم الله الجزائري حامداً مصلياً.

٥. جاء في نسخة مكتبة ملك بطهران: تم التعليق من الجزء الثامن من كتاب التبيان في تفسير القرآن لله المنة والحمد، وكتب كرم الله ابن المرحوم السيد عطا الله الحسيني حامداً مصلياً.

٥. كذا جاء في آخر النسخة المطبوعة راجع ٢: ٢٨٠.

التعليق من الجزء التاسع من التبيان

يشتمل على بقية الذاريات والطور والنجم والقمر والرحمن
والواقعة الحديد المجادلة الحشر المتحنة الصف الجمعة المنافقين
التغابن الطلاق التحريم تبارك نون الحاقة سأل سائل نوح الجن المزمّل المدثر
القيامة هل أتى المفصل^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل

قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ
إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ] الآية: ١٥ - ١٧.

قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر عن عاصم ﴿لَحَقُّ مِثْلٍ﴾ بالرفع
على أنه صفة للحق، الباقون بالنصب^(٢).

ويحتمل نصبه وجهين:

أحدهما: قول الجرمي أن يكون نصباً على الحال، كأنه قيل: حقّ مشبهاً
لنطقكم في الثبوت^(٣).

١. قارن ٩: ٣٨٣.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

الثاني: قال المازني: أنْ مِثْلَ مَبْنِي لَأَنَّهُ مَبْهُمٌ أَضْيَفُ إِلَى مَبْنِي، كما قال الشاعر:

لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات أو قال^(١)

فجعل مِثْلَ مع ما كالأمر الواحد، كما قال: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ وقوله: ﴿خَمْسَةَ عَشْرَ﴾ فيكون على هذا ما زائدة، وأضاف مِثْلَ إلى ﴿أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ﴾ فبناه على الفتح حين أضافه إلى المبني، ولو كان مضافاً إلى معرب لم يجز البناء، نحو مثل زيد، ﴿مِثْلَ﴾ يجوز أن يكون نصباً على المصدر، كأنه قال: أنه لحق حقاً كنطقكم^(٢).

قوله: ﴿كَأُنُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ أي كان هجوعهم قليلاً، في قول الزهري وإبراهيم^(٣).

وقال الحسن: ((ما)) صلة وتقديره كانوا قليلاً من الليل يهجعون^(٤).

وقال قتادة: لا ينامون عن العتمة ينتظرونها لوقتها، كأنه قال: هجوعهم قليلاً في جنب يقظتهم للصلاة والعبادة^(٥).

وقال الضحاك: تقديره كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلاً ثم ابتداء فقال:

١- البيت نسب في شرح شواهد الكشاف : ٤٩٠ ط البايي الحلبي لأبي قيس بن رفاعه يصف الإبل .

٢. قارن ٩ : ٣٨٣ .

٣. قارن ٩ : ٣٨٤ .

٤. نفس المصدر .

٥. نفس المصدر .

«مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ» وتكون «ما» بمعنى النفي، والمعنى أنهم كانوا يحيون الليل بالقيام في الصلاة وقراءة القرآن وغير ذلك^(١).

فصل

قوله: «وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ» [وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ] الآيات: ١٩ - ٢٣.

فالسائل هو الذي يسأل الناس، والمحروم هو المحارف، في قول ابن عباس ومجاهد والضحاك^(٢).

وقال قتادة والزهري: المحروم هو المتعفف الذي لا يسأل^(٣).

وقال إبراهيم: المحروم الذي لا يسهم له في الغنيمة^(٤).

وقيل: المحروم الممنوع الرزق بترك السؤال، أو ذهاب مال، أو سقوط سهم في الغنيمة، أو خراب ضيعة إذا صار فقيراً من هذه الجهة^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

وقوله: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ معناه: في أنفسكم أفلا تفكرون، بأن تجدوها مُصَرَّفةً من حال إلى حال، ومتنقلة من صفة إلى أخرى، فكنتم نطفاً فصرتم أحياء، ثم كنتم أطفالاً فصرتم شباناً، ثم صرتم كهولاً، وكنتم ضعفاء فصرتم أقوياء، فهلا دلكم ذلك على أنَّ لها صانعاً صنعها، ومدبراً يصرفها، على ما تقتضيه الحكمة، ويدبرها بحسب ما توجه المصلحة^(١).

وقيل: المعنى أفلا تبصرون بقلوبكم نظر من كأنه يرى الحق بعينه^(٢).

وقوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ ينزله الله إليكم، بأن يرسل عليكم الغيث والمطر، فيخرج به من الأرض أنواع ما تقتاتونه وتلبسونه وتتفعمون به ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ به من العذاب، ينزله الله عليكم إذا استحققتموه^(٣).

وقال الضحاك: وفي السماء رزقكم يعني المطر الذي هو سبب كل خير، وهو من الرزق الذي قسمه الله وكتبه للعبد في السماء^(٤).

فصل

قوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ * إِذْ

دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ

١. قارن ٩: ٣٨٥.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ [فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا كَذَّالِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ] الآيات: ٢٤ - ٣٠.

قوله: ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أي أنتم قوم منكرون، والإنكار نفي صحة الأمر، ونقيضه الإقرار، ومثله الاعتراف، وإنما قال: ﴿مُنْكَرُونَ﴾ لأنه لم يكن يعرف مثلهم في أضيفه، ومعنى ﴿سَلَامًا﴾ أي أسلم سلاماً^(١).

وقوله: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ أي ذهب إليهم خفياً، فالروغ الذهاب في خفى، والعجل مأخوذ من تعجيل أمره لقرب ميلاده، وهو واحد البقر الصغير، والايجاس الاحساس بالشيء خفياً^(٢).

وقوله: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ أي يكون عالماً إذا كبر وبلغ^(٣)، وقال مجاهد: المبشر به إسماعيل^(٤) وقال غيره: هو إسحاق^(٥).

وقوله: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَقٍ﴾ يعني في صيحة، في قول ابن عباس

١. قارن ٩: ٣٨٧.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٣٨٨.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

ومجاهد ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ قال ابن عباس: لطمت وجهها^(١).

وقال السدي: ضربت وجهها تعجباً، وهو قول مجاهد وسفيان. والصك
الضرب باعتماد شديد^(٢).

والعقيم الممتنعة من الولادة لكبر أو آفة، وقال الحسن: العقيم العافر،
والمُلك عقيم يقطع الولاء، لأن الابن يقتل أباه على الملك^(٣).

والخطب هو الأمر الجليل، فكأنه قال: قد جئتم لأمر جليل ومنه الخطبة،
لأنها كلام بليغ، لعقد أمر جليل، يستفتح بالتحميد والتمجيد^(٤).

والمسومة المعلمة بعلامات ظاهرة للحاسة، لأن السوم كالسيما في أنه
يرجع إلى العلامة الظاهرة، والمجرم القاطع للواجب بالباطل^(٥).

وقوله: ﴿حِجَارَةٌ مِنْ طِينٍ﴾ أي أصلها الطين، لا حجارة البرد التي أصلها
الماء، والمسومة المعلمة بعلامة يعرفها بها الملائكة أنها مما ينبغي أن يرمى بها
الكفرة عند أمر الله تعالى بذلك^(٦).

قوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾ فالترك في الأصل ضد الفعل، ينافي الأخذ في محل
القدرة عليه، والقدرة عليه قدرة على الأخذ، والمعنى في الآية أبقينا فيها آية^(٧).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر. وفي نسخة دانسگاه مشكوة: الأولاد بدل الولاء.

٤. قارن ٩: ٣٨٩.

٥. قارن ٩: ٣٩٠.

٦. نفس المصدر.

٧. قارن ٩: ٣٩١.

فصل

قوله: ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَتَوَلَّىٰ
بِرُكْنَيْهِ ۖ [وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ
وَهُوَ مُلِيمٌ * وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ الآيات: ٣٨ - ٤١.

معنى ﴿بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي بحجة ظاهرة^(١).

وقوله: ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنَيْهِ﴾ قال ابن عباس وقتادة ومجاهد: معناه بقوته،
والركن الجانب الذي يعتمد عليه، والمعنى إن فرعون أعرض عن حجة موسى
ولم ينظر فيها بقوته في نفسه^(٢).

وقوله: ﴿الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ هي التي عقمت عن أن تأتي بخير من تشيئة
سحاب أو تلقيح شجر، أو تذرية طعام، أو نفع حيوان^(٣).

فصل

قوله: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ فَمَا أُنْتَبِهُمْ﴾ الآية: ٥٤.

أي: أعرض عنهم يا محمد في قول مجاهد ﴿فَمَا أُنْتَبِهُمْ﴾ في
كفرهم وجحودهم، بل اللائمة والذم عليهم، من حيث لا يقبلون ما تدعوهم

١. قارن ٩: ٣٩٢.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

إليه، وليس المراد أعرض عن تذكيرهم ووعظهم، وإنما المراد أعرض عن مكافأتهم ومقابلتهم ومباراتهم ((ومناداتهم)) وما أنت في ذلك بملوم^(١).

فصل

قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ [إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ * فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ * قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ] الآيات: ٥٦ - ٦٠.

من خفض ﴿الْمَتِينُ﴾ وهو يحيى بن وثاب^(٢) جعله صفة للقوة، وذكره

١. قارن ٩: ٣٩٧.

٢. يحيى بن وثاب قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٥: ٣٢٧ - ٣٢٩ ط دار الفكر: هو الإمام القدوة المقرئ الفقيه، شيخ القراء الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي أحد الأئمة الأعلام، قد ذكرته في طبقات القراء.

قال أبو نعيم الحافظ: اسم أبيه وثاب بزدويه بن ماهويه، سباه مجاشع بن مسعود السلمي من قاشان إذ افتتحها، وكان وثاب من أبناء أشرافها ثم وقع في سهم ابن عباس، فسمّاه وثاباً، وتزوج فولد له يحيى، ثم استأذن ابن عباس في الرجوع إلى قاشان، فأذن له، فدخل هو وابنه يحيى الكوفة، فقال يحيى: يا أبة إني آثرت العلم على المال، فأذن له في المقام، فأقبل على القرآن، وتلا على أصحاب علي وابن مسعود، حتى صار أقرأ أهل زمانه، فأورث وثاب عقبه، فحازوا رئاسة الدارين، لأن يحيى فاق نظراءه في القرآن والآثار، وفاق خالد بن وثاب وولده: أزهو ومخلد في رئاسة الدنيا والولايات...

حدث يحيى عن ابن عباس وابن عمر... قرأ عليه الأعمش وطلحة بن مصرف... مات يحيى سنة ثلاث ومائة.

لأنه ذهب إلى الحبل، أو الشيء المفتول يريد القوة، قال الشاعر:

لكلّ دهر قد لبست أثوباً من ربطة واليمنة المعصبا^(١)

فذكر لأن اليمنة ضرب من الثياب وصنف منها.

والذَنُوب النصيب، وأصله الدلو الممتلئ ماءً، كما قال الراجز:

لنا ذَنُوب ولكم ذَنُوب فإن أبيستم فلنا القلييب^(٢)

وإنما قيل للدلو ذَنُوب، لأنها في طرف الحبل كأنها في الذنب^(٣).



١. البيت لم ينسب في تفسير الطبري ٢٧: ١٨، والقرطبي ١٧: ٥٧، واللسان (ثوب).

٢. قارن ٩: ٣٩٩، والرجز لم ينسب في التفاسير التي ورد فيها كتفسير القرطبي وزاد المسير لابن الجوزي والبحر المحيط وغيرها.

٣. قارن ٩: ٣٩٩.

سورة الطور

فصل

قوله: ﴿وَالطُّورِ* وَكَتَبَ مُسْطُورٍ* فِي رَقٍ مَّنْشُورٍ* وَالْبَيْتِ

الْمَعْمُورِ* وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ* وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ الآيات: ١-٦.

قوله: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ قيل: هو بيت في السماء الرابعة بحيال الكعبة
تعمره الملائكة، بما يكون منها فيه من العبادة، روي ذلك عن علي بن أبي طالب وابن
عباس ومجاهد^(١)، وقال الحسن: البيت المعمور البيت الحرام^(٢).

قوله: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ المسجور المملوء، ومنه سجرت التنور إذا
ملأته ناراً وعين سجاء ممثلة فيها حمرة، كأنها احمرت مما هو لها كسجار
التنور^(٣)، قال لبيد:

فتوسطا عرض السري وصدعا مسجورة متجاوز قُلامها^(٤)

١. قارن ٩: ٤٠٢.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ٤٠٣، والبيت في ديوان لبيد: ٣٠٧ ط الكويت. وله رواية مختلفة في فتح الباري ٦: ٣٤٤
ط دار المعرفة بيروت.

فصل

قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ * فَيَكْهِنُونَ بِمَاءٍ أَتَتْهُمْ رِيَّتُهُمْ وَوَقَفَتْهُمْ رِيَّتُهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ الآيات: ١٧ - ١٨.

معنى ﴿فَاكْهِنُونَ﴾ أي متعمين بما أعطاهم ربهم من أنواع النعيم، وقال الزجاج: معنى ﴿فَاكْهِنُونَ﴾ معجبين، وقال الفراء مثل ذلك ^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ الآية: ٢١.

قال ابن عباس والضحاك وابن زيد: ألحقوا الأولاد بالآباء إذا آمنوا من أجل إيمان الآباء ^(٢).

وفي رواية أخرى عن ابن عباس أن البالغين ألحقوا بدرجة آبائهم وإن قصرت أعمالهم تكرمة لآبائهم، والأول هو الوجه ^(٣).

وإنما وجب بالإيمان إلحاق الذرية بهم، مع أنه قد يكون ليس له ذرية، لأنه إنما يستحق ذلك السرور على ما يصح ويجوز، مع أنه إذا انتهى الذرية على ما أمر الله به استحق الجزاء فيه، فإن أبطلته الذرية عند البلوغ بسوء عمل وفي

١. قارن ٩: ٤٠٦.

٢. قارن ٩: ٤٠٨.

٣. نفس المصدر.

سروره في أمر آخر، كما أنَّ أهل الجنة من سرورهم ما ينزل بأعدائهم في النار، فلو عفي عنهم لوفوا سرورهم بأمر آخر^(١).

وقوله: ﴿وَمَا أَلْتَنَاهُمْ﴾ معناه ما نقصناهم، قال الشاعر:

أبلغ بني ثعل عني مغفلة جهد الرسالة لا ألتأ ولا كذباً^(٢)

فصل

قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ الآية: ٢٦.

الأهل هو المختص بغيره من جهة ما هو أولى به، وكل ما كان أولى به فهو أحق بأنه أهله^(٣)، فمن ذلك أهل الجنة وأهل النار، ومن ذلك أهل الجود والكرم، وفلان من أهل القرآن، ومن أهل العلم، ومن أهل الكوفة، ومن هذا قيل لزوجة الرجل أهله، لأنها مختصة به من جهة هي أولى به من غيره^(٤).

فصل

قوله: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [أَمْ خَلَقُوا

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ * أَمْ هُمُ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٤١٠.

٤. نفس المصدر.

مُسِينَ * أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٣٥﴾ الآيات: ٣٥ - ٤٠.

معناه: أخلقوا من غير خالق ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ لنفوسهم، فلا يأترون لأمر الله، ولا ينتهون عما نهاهم عنه، وقيل: المعنى (أخلقوا من غير شيء) معناه أخلقوا لغير شيء، أي أخلقوا باطلاً لا لغرض^(١).
وقوله: ﴿فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ فالمغرم إلزام الغرم في المال على غير طريق الابدال، والمغرم الملزم إنفاق المال من غير إبدال، وأصله المطالبة بالاحاح، فمنه الغريم لأنه الطالب بالدين بالاحاح، ومنه ﴿إِنْ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي ملحاً دائماً^(٢).

فصل

قوله: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ الآية: ٤٦.

الفرق بين الغنى بالشيء والغنى عنه: أن ما أغنى عنه يوجب أن وجوده وعدمه سواء في أن الموصوف غني، وليس كذلك الغنى به، لأنه يطل أن يكون الموصوف غنياً، والغني هو الحي الذي ليس بمحتاج، وليس بهذه الصفة إلا الله تعالى^(٣).
قوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي بمرأى منا ندركك، ولا يخفى علينا شيء من أمرك، نحفظك لئلا يصلوا إلى شيء من مكروهك^(٤).



١. قارن ٩: ٤١٤.

٢. قارن ٩: ٤١٦، والآية في سورة الفرقان: ٦٥.

٣. قارن ٩: ٤١٨.

٤. نفس المصدر.

سورة النجم

فصل

قوله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ [عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ] الآيات: ١ - ١٠.

والنجم قسم من الله تعالى، وقد بينا أن الله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه، وليس للعباد أن يحلفوا إلا به^(١).

وقال قوم: معناه ورب النجم، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه^(٢).

وقيل في معنى النجم ها هنا ثلاثة أقوال:

أحدها: قال مجاهد: المراد به الثريا إذا سقطت مع الفجر^(٣).

الثاني: قال الحسن: معناه جماعة النجوم ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ إذا سقط يوم

١. قارن ٩: ٤٢٠.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

القيامة، كقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾^(١) وقيل: النجم الجمع على طريق الجنس، كما قال الراعي:

وباتت تعدّ النجم في مستحيرة سريع بأيدي الأكلين جمودها^(٢)

وقوله: ﴿فَاسْتَوَى﴾ معناه استولى بعظم القوة، فكأنه استوت له الأمور بالقوة على التدبير، ومنه قوله: ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي استولى عليه بالسلطان والفهر^(٣).

قال الزجاج: معنى ﴿دَنَا﴾ وتدلى واحد، لأنّ المعنى أنّه قرب، وتدلى زاد في القرب، كما يقال: دنا فلان وقرب، والمعنى ثم دنا جبرئيل إلى محمد ﷺ فتدلى إليه من السماء^(٤).

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ معناه كان بينه وبين جبرئيل مقدار قوسين من القسي العربية، أو أقرب أي بل أقرب منه، وقيل: معنى ﴿أَوْ﴾ في الآية معنى الواو، كقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ ومعناه ويزيدون^(٥).

وقال الحسن: عرج بروح محمد ﷺ إلى السماء وجسده في الأرض^(٦).

وقال أكثر المفسرين وهو الظاهر من مذهب أصحابنا والمشهور في أخبارهم: إنّ الله تعالى صعد بجسمه حياً سليماً حتى رأى ملكوت السماوات،

١. الانفطار: ٢.

٢. قارن ٩: ٤٢١، والبيت للراعي وهو من شواهد التفسير في القرطبي ١٧: ٨٢ والمحزر الوجيز لابن عطية ٥: ١٩٥، والتعليبي ٩: ١٣٤ وغيرها.

٣. قارن ٩: ٤٢٢، والآية في سورة الأعراف: ٥٤.

٤. قارن ٩: ٤٢٣.

٥. قارن ٩: ٤٢٣، والآية في سورة الصافات: ١٤٧.

٦. قارن ٩: ٤٢٤.

وما ذكره الله بعيني رأسه، ولم يكن ذلك في المنام، بل كان في اليقظة، وقد بيناه في سورة بني إسرائيل^(١).

فصل

قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ [مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ * أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ]﴾ الآيات ١٣ - ٢٠.

قيل: إن سدره المنتهى في السماء السادسة إليها ينتهي ما يعرج إلى السماء، وقيل: لأنه ينتهي إليها أرواح الشهداء^(٢).

وقوله: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ معناه: يغشى السدرة من النور والبهاء والحسن والصفاء الذي يروق الأبصار ما ليس لوصفه منتهى^(٣).

وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ أسماء أصنام كانت العرب تعبد^(٤).

والعزى كانت تعبد غطفان، وهي شجرة سمرة عظيمة^(٥)، واللات صنم كانت ثقيف تعبد^(٦)، ومناة كانت صخرة عظيمة لهذيل وخزاعة كانوا يعبدونها^(٧).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٤٢٦.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ٤٢٧.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

فصل

﴿الْكُفُّ الذِّكْرُ وَلَهُ الْآثْنَى * تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ الآيات: ٢١-٢٢.

هذا الكلام على جهة الإنكار، فقد أخطأتم في ذلك من وجهين:
أحدهما: أنكم أضفتم إليه ما يستحيل عليه ولا يليق به، فهو قسم فاسد
غير جائز^(١).

الثاني: أنكم أضفتم إليه ما لا ترضونه لأنفسكم وكيف ترضونه لله تعالى^(٢)، وقيل: إنما فضل الذكر على الأنثى، لأن الذكر يصلح لما لا تصلح له الأنثى، وينتفع به فيما لا ينتفع به الأنثى، ولهذا لم يبعث الله نبياً من الإناث^(٣).
وقوله: ﴿تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ أي تلك قسمة فاسدة غير جائزة، بأن تجعلوا لأنفسكم الأفضل ولربكم الأدون، ولو كان ممن يجوز عليه الولد لما اختار الأدون على الأفضل، كما قال: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ فهذا على تقدير الجواز لا على صحة الجواز، والضيـزى الجائرة الفاسدة^(٤).

فصل

قوله: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْآثْنَى * وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا

١. قارن ٩: ٤٢٨.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٤٢٨.

٤. قارن ٩: ٤٢٨، والآية في سورة الزمر: ٤.

الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا * فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَلِكَ مَبْلُغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْتَدَى [الآيات: ٢٦ - ٣٠]

لا ينافي ذلك ما نذهب إليه من أن النبي ﷺ والأئمة والمؤمنين يشفعون في كثير من أصحاب المعاصي، فيسقط عقابهم لمكان شفاعتهم، لأن هؤلاء عندنا لا يشفعون إلا بإذن من الله ورضاه، ومع ذلك يجوز أن يشفعوا فيه، فالزجر واقع موقعه^(١).

ثم أخبر تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي لا يصدقون بالبعث ولا بالثواب ولا بالعقاب ﴿يُتَسَمَّوْنَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْإِنثَى﴾ قال الحسن: كانوا يسمون الملائكة بنات الله^(٢).

ثم قال: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي ما لهم بما يقولونه ويسمونه من علم، أي ليسوا عالمين بذلك ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ أي ليس يتبعون في قولهم ذلك إلا الظن الذي يجوز أن يخطئ ويصيب، وليس معهم شيء من العلم^(٣).

وقوله: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ معناه إن الظن لا يغني من العلم، لأنه لا بد من علم بحسن الفعل حتى يجوز أن يفعل^(٤)، وإن كان الظن في بعض الأشياء علامة للحسن، فما أغنى عن العلم^(٥).

١. قارن ٩: ٤٣٠.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ٤٣١.

٥. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنٰى﴾ * الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ۖ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ۖ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ۖ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ﴾ [الآيات ٣١ - ٣٥].

﴿كَبَائِرُ الْإِثْمِ﴾ أي عظام الذنوب ﴿وَالْفَوَاحِشُ﴾ والمعاصي عندنا كلها كبائر، غير أن بعضها أكبر من بعض، فقد تكون المعصية كبيرة بالإضافة إلى ما دونها وتكون صغيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منها^(١).

والفواحش جمع فاحشة، وهي أقبح الذنوب وأفحشها، والإساءة مضرّة يستحق بها الذم، ولا يستحق الذم إلا مسيء، وذم من ليس بمسيئ في القبح كذم المحسن في القبح، والإحسان فعل ما هو نفع في نفسه، أو هو سبب النفع يستحق به الحمد، ولا يستحق الحمد إلا محسن^(٢).

والكبير من الذنوب هو الذي يعظم به الزجر إلى حد لا يكفره إلا التوبة منه عند من لم يجز إسقاط العقاب تفضلاً، والصغير هو الذي يجب فيه الزجر إلى حد يصح تكفيره من غير توبة عند من قال بالصغائر^(٣).

١. قارن ٩: ٤٣٢.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

وقوله: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ قال قوم: هو الهمّ بالمعصية من جهة مقاربتها وحديث النفس بها من غير موافقتها ولا عزم عليها، لأنّ العزم على الكبيرة كبير، ولكن يقرب من مكانها لشهوته لها من غير عزم عليها^(١).

وقيل: اللمم مقاربة الشيء من غير دخول فيه، يقال: ألمّ بالشيء يلمّ الإمام إذا قاربه، وقيل: اللمم الصغير من الذنوب، كما قال: ﴿إِنْ تَجَنَّبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ ذهب إليه ابن عباس وابن مسعود. وقيل: اللمم إتيان الشيء من غير إقامة عليه^(٢).

وقوله: ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ قال مجاهد: نزلت في الوليد بن المغيرة^(٣)، وقيل: أعطى قليلاً وأكدى، هو المنافق الذي يعطي قليلاً في المعونة على الجهاد ثم يمنع^(٤).

وقال ابن عباس ومجاهد: معنى ﴿وَأَكْدَى﴾ قطع العطاء^(٥)، كما يقطع البشر الماء، واشتقاق أكدى من كدية الركية، وهي صلابة تمنع الماء إذا بلغ

١. قارن ٩: ٤٣٢.

٢. قارن ٩: ٤٣٣، والآية في سورة النساء: ٣١.

٣. قارن ٩: ٤٣٣. والوليد بن المغيرة هو والد خالد بن الوليد، كان من قضاة العرب في الجاهلية ومن زعماء قريش ومن زنادقتها، قال ابن الأثير في الكامل ٢: ٢٦: وهو الذي جمع قريشاً وقال: أيها الناس يأتونكم أيام الحج فيسألونكم عن محمد فتختلف أقوالكم فيه، فيقول هذا: كاهن، ويقول هذا: شاعر، ويقول هذا: مجنون، وليس يشبه واحداً ممّا يقولون، ولكن أصلح ما قيل فيه ساحر لأنّه يفرّق بين المرء وأخيه والزوج وزوجته، وهلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر. الأعلام ٩:

١٤٤ ط / ٣.

٤. قارن ٩: ٤٣٤.

٥. نفس المصدر.

الحافر إليها يشس من الماء فيقول: بلغنا كديتها أي صلابتها التي تويش من الماء، يقال: أكدى يكدي اكداء إذا منع الخير^(١).

وقيل: الكدية صخرة يبلغ إليها حافر البشر فلا يمكنه الحفر^(٢).

فصل

قوله: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ * أَلَّا تَرَىٰ ذُرِّيَّتَهُ وَزُرَّ آخِرَىٰ * وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ * وَأَن إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا * وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ الآيات ٣٦ - ٤٦.

قوله: ﴿إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ أي وفى بما يجب عليه الله ﷻ واستحق أن يمدح بهذا المدح^(٣).

وقوله: ﴿أَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ معناه ليس له من الجزاء إلا جزاء ما عمل دون ما عمله غيره، ومتى دعا إلى الإيمان من أجاب إليه، فهو محمود عليه على طريق التبعية، وكأنه من أجل عمله صار له الحمد على هذا، ولو لم يعمل شيئاً ما استحق جزاءً ولا ثواباً ولا عقاباً^(٤).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٤٣٥.

٤. نفس المصدر.

وقوله: ﴿وَأَنْ سَعْيَهُ سَوْفَ يَرَى﴾ معناه: أن ما يفعله الإنسان ويسعى فيه لا بد أن يرى فيما بعد، بمعنى أنه يجازى عليه إما من ثواب، أو عقاب^(١).
وقوله: ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ معناه: وأن إلى ثواب ربك وعقابه آخر الأمور^(٢).

وقوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ قيل: أضحك بأن فعل سبب ذلك من السرور والحزن، كما يقال: أضحكني فلان وأبكاني، إذا سبب ذلك بما يقع عنده ضحكي وبكائي، فعلى هذا الضحك والبكاء من فعل الإنسان^(٣).
وقد قال الله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾^(٤) لو لم يكن من فعلنا لما حسن ذلك، وقال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ﴾^(٥) وقال: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ فنسب الضحك إليهم^(٦).

فصل

قوله: ﴿وَأَنْ عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْآخِرَى﴾ * وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى * وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعَرَى [وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى * وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى * وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى * وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى * فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى * فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكَ تَتَمَارَى] الآيات: ٤٧ - ٥٥.

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٤٣٦.

٣. نفس المصدر.

٤. التوبة: ٨٢.

٥. النجم: ٥٩ - ٦٠.

٦. قارن ٩: ٤٣٦، والآية في سورة المطففين: ٣٤.

معناه: أنه أغنى بالمال وأقنى بأصول الأموال، وقال مجاهد: أقنى أي أخدم.

وقال الزجاج: معناه أغنى بعد الفقر، وأقنى بالمال الذي يقتنى^(١).
وقيل: معنى أقنى أنه جعل له أصل مال، وهو القنية التي جعلها الله للعبد، وأصل أقنى الإقتناء، وهو جعل الشيء للنفس على اللزوم^(٢).
وقوله: «وَالْمُؤْتَفِكَةَ» يعني: المنقلبة، وهي التي صار أعلاها أسفلها، وأسفلها أعلاها، انتفكت بهم يأتفك انتفاكاً، ومنه الإفك الكذب، لأنه قلب المعنى عن وجهه^(٣).

ومعنى «أَهْوَى» أنزل بها الهواء^(٤).
والسامد اللاهي، يقال: دع عنك سمودك أي أمرك، فكأنه المستمر في اللهو، يقال: سمد يسمد سموداً فهو سامد، قال الشاعر:
قيل قم فانظر إليهم ثم دع عنك السمودا^(٥)



١. قارن ٩: ٤٣٨.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٤٣٩.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٩: ٤٤١، والبيت لهزيلة بنت بكر وهي تبكي قوم عاد كما في أجوبة مسائل نافع بن الأزرق عن ابن عباس ؓ.

سورة القمر

فصل

قوله: ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ [وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ] وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْذُّرُ﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكُرٍ ﴿خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿الآيات: ١-٨﴾.

معنى ﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ يشبه بعضه بعضاً، وقيل: سحر مستمر من الأرض إلى السماء^(١)، وقال مجاهد وقتادة: معناه ذاهب مضمحل^(٢)، وقال قوم: معناه شديد من إمرار الحبل وهو شدة قتله^(٣).

١. قارن ٩: ٤٤٣.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

وقوله: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي﴾ قال الفراء: مهطعين إلى الداعي ناظرين قبل الداعي^(١).

وقال أبو عبيدة: مسرعين^(٢)، وقال قتادة: معناه عامدين ((بالاهطاع))^(٣) والاهطاع الاسراع في المشي، يقال: أھطع يھطع اھطاعاً فهو مهطع^(٤).

فصل

قوله: ﴿فَفَتْحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ الآيات: ١١ - ١٤.

إنما قال: ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ والمراد به ماء السماء وماء الأرض، ولم يثن لأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ فيه هلاك القوم في اللوح المحفوظ^(٥).

وقيل: معناه أنه كان قدر ماء السماء مثل قدر ماء الأرض^(٦).

وقوله: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ وهي المسامير التي تشد بها السفينة، في قول ابن عباس وقتادة وابن زيد، واحدها دسار^(٧).

١. قارن ٩: ٤٤٦.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ٤٤٦، وما بين القوسين إكمال للنقص من المصدر.

٥. قارن ٩: ٤٤٨.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَأَصْطَبِرْ* وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾ الآيات: ٢٧ - ٢٨.

يَبْنِ تعالى أَنَّهُ أَرْسَلَ النَّاقَةَ وَبَعَثَهَا، بِأَنْ أُنْشَأَهَا مَعْجِزَةً لِّصَالِحٍ، لِأَنَّهُ أَخْرَجَهَا مِنَ الْجَبَلِ الْأَصَمِّ يَتَّبِعُهَا وَلَدَهَا^(١).

وَمَعْنَى ﴿فِتْنَةً﴾ ابْتِلَاءٌ لَهُمْ وَمِحْنَةٌ، لِأَنَّهُ تَعَالَى نَهَاهُمْ أَنْ يَنَالُوهَا بِسُوءٍ، مَعَ تَضْيِيقِ الشَّرْبِ عَلَيْهِمْ، بِأَنْ لَهَا شَرْبٌ يَوْمٌ وَلَهُمْ شَرْبٌ يَوْمٍ آخِرٌ^(٢).

وَالشَّرْبُ بِكَسْرِ الشَّيْنِ الْحِظُّ مِنَ الْمَاءِ، وَبِضْمِ الشَّيْنِ فَعْلُ الشَّارِبِ^(٣).

ثُمَّ حَكَى تَعَالَى مَا قَالَ لِّصَالِحٍ، فَإِنَّهُ تَعَالَى قَالَ لَهُ: ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ أَيِ اصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ^(٤).

وَقَوْلُهُ: ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾ أَيِ كُلِّ قِسْمٍ يَحْضُرُهُ مَنْ هُوَ لَهُ^(٥).

قَالَ الضَّحَّاكُ: هَشِيمُ الْمُحْتَظَرِ هُوَ الْحَظِيرَةُ تَتَّخِذُ لِلْغَنَمِ تَيْبَسَ فَتَصِيرُ رَمِيمًا^(٦).

١. قارن ٩: ٤٥٣.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٤٥٤.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٩: ٤٥٥.

وقيل: الهشيم حشيش يابس متفتت يجمعه المحتظر لمواشيهِ^(١).

فصل

قوله: ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ الآية: ٤٣.

يعني: كفار قريش وأهل مكة خير من أولئكم الكفار، والمعنى أنهم ليسوا بخير من كفار قوم نوح وعاد وثمود^(٢).

وقوله: ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ معناه ألكم براءة في الكتب المنزلة من عذاب الله^(٣).



١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٤٥٩.

٣. نفس المصدر.

سورة الرحمن فصل

قوله: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ *
الْشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ [وَالسَّمَاءُ
رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ
بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ * وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ * فِيهَا فَاكِهَةٌ
وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ * وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ * فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ]﴾ الآيات: ١- ١٣.

معنى حسان مصدر حسبه أحسبه حساناً، وقيل: هو جمع حساب كشهاب
وشهبان^(١).

وقوله: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ فالنجم من النبات ما طلع^(٢).

يقال: نجم ينجم إذا طلع، ونجم القرن الناب إذا طلع، وبه سمّي نجم
السماء، وهو الكوكب لطلوعه^(٣).

١. قارن ٩: ٤٦٤.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

والنجم هاهنا النبت الطالع من الأرض، وهو النبات الذي ليس له ساق،
في قول ابن عباس وقتادة وسعيد وسفيان^(١).

والشجر عند أهل اللغة النبات الذي له ساق وورق وأغصان يبقى ساقه
على دور الحول من الزمان، وأكثره ممّا له ثمار يجتنى^(٢).

قوله: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ قال ابن عباس: الأنام كل شيء
فيه روح^(٣)، وقال الحسن: الأنام الإنس والجن^(٤)، وقال قتادة: الأنام
الخلق^(٥).

وقوله: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ قال ابن عباس وقتادة وابن زيد:
العصف التبن، لأن الرياح تعصفه أي تطيره بشدة هبوبها، والحب حب الحنطة
والشعير ونحوهما^(٦).

والريحان الرزق في قول ابن عباس والضحاك ومجاهد^(٧).

وقال الحسن وابن زيد: الريحان هو الذي يشم، والعرب تقول: خرجنا
نطلب ريحان الله أي رزقه^(٨).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٤٦٦.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. قارن ٩: ٤٦٧.

٨. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ] الآيات: ١٤ - ٢١.

الصلصال: الطين اليابس الذي يسمع له صلصلة، في قول قتادة ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ أي مثل الطين الذي طبخ بالنار حتى صار خزفاً^(١).

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ فالمارج هو المختلط الأجزاء، قال الحسن: إبليس أبو الجن، وهو مخلوق من لهب النار، كما أن آدم أبو البشر مخلوق من طين^(٢).

إنما كررت هذه الآية في هذه السورة يعني قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ لأنه تقدم تقرير بالنعمة عند ذكرها على التفصيل نعمة نعمة، كأنه قال: بأي هذه الآلاء تكذبان^(٣).

قوله: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ البرزخ الحاجز بين الشيئين، ومنه البرزخ الحاجز بين الدنيا والآخرة^(٤).

١. قارن ٩: ٤٦٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ٤٦٩.

وقال قتادة: البرزخ الحاجز أن يبغي الملح على العذب أو العذب على الملح، وقال مجاهد: معنى «لَا يَبْغِيَانِ» لا يختلطان^(١).

وقوله: «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ» فاللؤلؤ معروف، ويقع على الصغار والكبار، والمرجان ضرب من الجواهر، كالقضباني يخرج من البحر^(٢).

وقال ابن عباس: اللؤلؤ كبار الدر، والمرجان صغاره، وبه قال الحسن وقاتادة والضحاك^(٣).

وسمّي المرجان بذلك لأنه حب من الجواهر، كبير مختلط من مرجت أي خلطت^(٤).

وإنما جاز أن يقول: «يَخْرُجُ مِنْهُمَا» وهو يخرج من الملح دون العذب، لأنّ العذب والملح يلتقيان، فيكون العذب كاللقاح للملح، كما قال: يخرج الولد من الذكر والأنثى، وإنما تلده الأنثى^(٥).

وقال قوم: لا يخرج اللؤلؤ إلا من الموضع الذي يلتقي فيه العذب والملح، وذلك معروف عند الغواصين^(٦).

وقوله: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا قَانٍ» إخبار من الله تعالى أن جميع من على وجه

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٤٧٠.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ٤٧١.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

الأرض من العقلاء يفنون، ويخرجون من الوجود إلى العدم^(١).

وإذا ثبت ذلك، وكانت الجواهر لا تفنى إلا بفناء يضادها على الوجود، فإذا وجد الفناء انتفت الجواهر كلها، لأنه لا اختصاص لها بجوهر دون جوهر، فالآية دالة على عدم جميع الأجسام على ما قلناه، ولأنه إذا ثبت عدم العقلاء بالآية ثبت عدم غيرهم^(٢)، لأن أحداً من الأمة لا يفرق بين الموضوعين^(٣).

وقوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ معناه: ويبقى ربك الظاهر بأدله، كظهور الإنسان بوجهه، فالوجه يذكر على وجهين؛ أحدهما: بعض الشيء كوجه الإنسان.

الثاني: بمعنى الشيء المعظم في الذكر، كقولهم: هذا وجه الرأي، وهذا وجه التدبير، أي هو التدبير وهو الرأي^(٤).

ومعنى قوله: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ أن كل يوم الله تعالى في شأن، ويقال: لا يشغله شأن عن شأن، والمعنى أن كل يوم الله تعالى في شأن، من إحياء قوم وإماتة آخرين، وعافية قوم ومرض غيرهم، ونجاة وإهلاك ورزق وحرمان، وغير ذلك من الأمور والنعم^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٤٧٢.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ [فَيَأِيءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 * يَمَعَشِرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّ آسَاطِعُكُمُ أَنْ تَفْعُدُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ فَأَنْفَعُوا لَا تَفْعُدُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ * فَيَأِيءُ الْآءِ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ * يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَخُتَّاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ * فَيَأِيءُ
 الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ]﴾ الآيات: ٣١ - ٣٦.

معنى قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ من أبلغ الوعيد وأعظم التهديد،

وقيل في معناه قولان:

أحدهما: سنفرغ لكم من الوعيد وينقضي، ويأتيكم المتوعد به، فشبّه ذلك بمن فرغ من شيء وأخذ في غيره ^(١).

الثاني: أنا سنعمل عمل من يتفرغ للعمل، لتجويده من غير تضجيع فيه، كما يقول القائل: سأتفرغ لك، والله تعالى لا يشغله شيء عن شيء، لأنه من صفات الأجسام، وهو من أبلغ الوعيد، لأنه يقتضي أنه يجازي بصغير ذنبه وكبيره إذا كان مستحقاً لسخط الله ^(٢).

وقوله: ﴿أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ خطاب للجن والإنس، وإنما سميا ثقلين لعظم شأنهما بالإضافة إلى ما في الأرض من غيرهما، فهما أثقل وزناً لعظم الشأن

١. قارن: ٩: ٤٧٣.

٢. نفس المصدر.

بالعقل والتمكين بالتكليف لأداء الواجب في الحقوق^(١).

ومنه قول النبي ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي»^(٢)
يريد عظيمي المقدار، فلذلك وصفهما بأنهما ثقلان.

وقوله: «يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ» فالشواظ لهب النار، في قول ابن عباس
ومجاهد وقتادة^(٣)، ومنه قول رؤبة:

ان لهم من وقعنا إيقاظاً ونار حرب تسعر الشواظا^(٤)

والنحاس: الصفر المذاب للعذاب، في قول ابن عباس ومجاهد، وفي
رواية أخرى عن ابن عباس وسعيد: النحاس الدخان. قال النابغة الجعدي:

يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا^(٥)

أي: دخانا.

١. قارن ٩: ٤٧٣.

٢. حديث تواتر نقله عند الفريقين وقد رواه عن النبي ﷺ جمع من الصحابة وأنه قال في
مواطن عديدة أتينا على ذكره وذكرهم وذكرها في كتابنا عليّ إمام البررة ١: ٢٩٢ - ٣١٨
فراجع.

٣. قارن ٩: ٤٧٤.

٤. قارن ٩: ٤٧٤ والبيت لا يوجد في ديوان رؤبة بتحقيق وليم بن الورد البروسي غير أنه ورد في
ص ١٧٧ في الأبيات المفردة برقم ٥٥ قوله:

لما رأينا منهم مغناظا تعرف منه اللؤم والفظاظا

يجد به طعنا لم يكن إلماظا

وهذا يناسب البيت المذكور في معناه فلعله منه.

٥. البيت في ديوان النابغة الجعدي: ٧٥.

فصل

قوله: ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ * فَبِأَيِّ
ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ
[فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ
بِالنُّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ] الآيات: ٣٧ - ٤١.

قال الفراء: الدهان الأديم الأحمر، وقال الزجاج: يتلون كما يتلون الدهان
المختلفة، أي فكان كلون فرس ورده، وهو الكميت، فيتلون في الشتاء لونه
بخلاف لونه في الصيف، وكذلك في الفصول سبحانه خالقها^(١).

والوردة واحدة الورد، وإنما تصوير السماء كالوردة في الاحمرار ثم
تجري كالدهان، وهو جمع دهن^(٢).

وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ معناه: لا يسأل في
ذلك الموطن لما يلحقه من الدهش والذهول الذي تحار له العقول، وإن وقعت
المسألة في وقت غيره، بدلالة قوله: ﴿وَقَفَّوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْتُوْلُونَ﴾^(٣).

وقال قتادة: تكون المسألة قبل، ثم يختم على الأفواه عند الجحد فتنتطق
الجوارح^(٤).

١. قارن ٩: ٤٧٦.

٢. نفس المصدر.

٣. الصافات: ٢٤.

٤. قارن ٩: ٤٧٦.

وقيل: إن معناه أن يومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان، ليعرف المذنب من المؤمن المخلص، لأن الله تعالى جعل عليهم علامة بسواد الوجوه وقبح الخلق، ولم يدخل في ذلك سؤال المحاسبة للتوبيخ والتقريع، لأنه تعالى قال: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْنُوكُونَ﴾^(١).

وقيل: يجوز أن يكون المراد لا يسأل أحد من إنس ولا جان عن ذنب غيره، وإنما قيل هو سؤال توبيخ عن فعل نفسه^(٢).

وقوله: ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ معناه: إن الله تعالى يجعل للكفار والعصاة علامات تعرفهم بها الملائكة، فالسيماء العلامة، ومنه قوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ وهو مشتق من السوم، وهو رفع الثمن عن مقداره^(٣).

وقوله: ﴿فَيُتَوَخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأُقْدَامِ﴾ فالناصية شعر مقدم الرأس، ومنه ناصية الفرس وأصله الاتصال، من قول الشاعر:

قي يناصيها بلاد قي^(٤)

فصل

قوله: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * ذَوَاتَا أَفْنَانٍ [فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهَا عَيْنَانِ مُجَبَّيْنِ

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٤٧٧.

٣. قارن ٩: ٤٧٧، والآية في سورة الفتح: ٢٩.

٤. قارن ٩: ٤٧٧، والرجز ورد في اللسان (قوا) غير منسوب.

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رَوْحَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَكَبِّرِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَاطِيئُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَىٰ الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الآيات: ٤٦ - ٥٥].

المعنى: لمن خاف المقام الذي يفغه فيه ربه للمسألة عما عمل فيما يجب عليه، المقام: الموضع الذي يصلح للقيام فيه ^(١)، وبضم الميم الموضع الذي يصلح للإقامة فيه ^(٢).

والإستبرق الغليظ من الديباج في قول عكرمة، وقيل: ثمارها دانية لا يرد يده عنها بُعداً، ولا شوك في قول قتادة، وقيل: الظواهر من سندس وهو الديباج الرقيق. ((والبطاين من استبرق وهو الديباج الغليظ)) ^(٣).

فصل

قوله: ﴿فِيهِنَّ قَنَصِرُتٌ آلَطْرَفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الآيات: ٥٦ - ٥٨].

القاصر المانع من ذهاب الشيء إلى جهة من الجهات، والخور قاصرات الطرف عن غير أزواجهن ^(٤).

١. قارن ٩: ٤٧٩.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٤٨٠، وما بين القوسين من المصدر.

٤. قارن ٩: ٤٨١.

وقوله: ﴿لَمْ يَطْمِئْنُوْا﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: قال مجاهد وابن زيد وعكرمة: لم يمسسهنّ بجماع، من قولهم: ((ما طمّث هذا البعير جبل)) أي ما مسّه جبل.

الثاني: قال ابن عباس: لم يدمهنّ نكاح من قولهم: ((امرأة طامث)) أي حائض كأنه قال: هنّ أبكار^(١).

فصل

قوله: ﴿فِيْهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَاَنِ * فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيْهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيْهِمَا خَيْرٌ حَسَنٌ * فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ * فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * لَمْ يَطْمِئْنُوْا إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَكَبِّرِينَ عَلَى زُرْفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ] الآيات: ٦٦ - ٧٦.

وصفهما بأنهما نضّاختان فوّارتان بالماء، وقيل: نضّاختان بكلّ خير.

والنضخ - بالخاء - أكثر من النضح - بالحاء - لأنّ النضح بالحاء غير المعجمة الرش، وبالخاء كالبرك والفوّارة التي ترمى بالماء صعوداً^(٢).

وإنّما أفرد النخل والرمّان من الفاكهة وإن كانا من جملةتها، تنبيهاً على

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٤٨٣.

فضلهما وجلالة النعمة بهما، كما أفرد ذكر جبرئيل وميكائيل في قوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾^(١).

وقوله: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ﴾ الحور البيض الحسان، وقوله: ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾ أي قصرن على أزواجهن فلا يردن بدلاً منهم، وقال أبو عبيدة: مقصورات أي مخدرات^(٢).

وقوله: ﴿مُتَكَيِّنَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ الرفارف جمع رفرف وهي المجالس، في قول ابن عباس وقتادة والضحاك، وقيل: الرفرف هو فصول المجالس للفرش، وقال الحسن: هي المرافق^(٣).

والعبقري الزرابي، في قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة، وهي الطنافس^(٤) وقال مجاهد: هو الديباج، وقيل: عبقر اسم بلد ينسج به ضرب من الوشي^(٥).



١. قارن ٩: ٤٨٤، والآية في سورة البقرة: ٩٨.

٢. قارن ٩: ٤٨٥.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ٤٨٦.

٥. نفس المصدر.

سورة الواقعة

فصل

قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ
[إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا *
وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً * فَأَصْحَبُ الْمِئْمَنَةِ مَا أَصْحَبُ الْمِئْمَنَةِ * وَأَصْحَبُ
الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَبُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّيْقُوتُ السَّيْقُوتُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ
* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ الآيات: ١-١٣.

قوله: ﴿لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ معناه ليس لها مردودة ولا رد قاله الفراء،
وقيل: ليس لوقعتها قضية كاذبة فيها، لإخبار الله تعالى بها ودلالة العقل عليها^(١).
ومعنى ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ قيل: تخفض قوماً بالمعصية، وترفع قوماً
بالطاعة^(٢)، وقوله: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ معناه فتت فتناً، في قول ابن عباس
ومجاهد، وهو كما يُبس السويق، أي: يلت، قال لص من غطفان:
لا تخبزن خبزاً وبساً بساً ملساً بذود الحلسي ملساً^(٣)

١. قارن ٩: ٤٨٨.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٤٨٩، والبيت في تفسير الطبري وجاء فيه: عن لص من غطفان أراد أن يخبز، فخاف أن
يُعجل عن الخبز، فبل الدقيق وأكله عجبنا وقال: البيت، وفي تفسير الثعلبي ٩: ٢٠٠ نحو ذلك وفيه
عجز البيت ولا تطيلاً بمناخ حبساً، وهو كذلك في معجم مقاييس اللغة (خبز)، وفي لسان العرب
(خبز) اختلاف في رواية البيت.

والهباء غبار كالشعاع في الرقة، كثيراً ما يخرج مع شعاع الشمس من الكوة النافذة^(١).

وقوله: ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ يعني: أصحاب اليمن والبركة ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ معناه الشوم والنكد^(٢).

وقيل: أصحاب اليمين الذين يعطون كتبهم بأيمانهم، وأصحاب الشمال هم الذين يأخذون كتبهم بشمالهم^(٣).

وقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ معناه الذين سبقوا إلى اتباع الأنبياء فصاروا أئمة في الهدى^(٤).

وقيل: السابقون إلى طاعة الله، والسابق إلى الخير إنما كان أفضل، لأنه يقتدى به في الخير، ويسبق إلى أعلى المراتب قبل من يجيء بعد، فلهذا تميزوا من التابعين^(٥).

وقوله: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ فالثلة الجماعة وأصله القطعة من قولهم نلّ عرشه إذا قطع ملكه^(٦).

فصل

قوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخْلِذُونَ * بَاكُوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ

مِّن مَّعِينٍ [لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ]﴾ الآيات: ١٧ - ١٩.

١. قارن ٩: ٤٨٩.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٤٩٠.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

﴿مُخَلَّدُونَ﴾ قال مجاهد: معناه باقون لا يموتون^(١)، وقال الحسن: معناه أنهم على حالة واحدة لا يهرمون^(٢)، يقال: رجل مخلد أي باق زماناً أسود اللحية لا يشيب^(٣)، وقال الفراء: معناه مقرطون والخلد القرط^(٤).

والأكواب جمع كوب وهي أباريق واسعة الرؤوس بلا خراطيم^(٥).

﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أي لا يلحقهم الصداق من شربها ﴿وَلَا يُنْزَفُونَ﴾ أي لا تنزف عقولهم، بمعنى لا تذهب بالسكر، في قول مجاهد وقتادة والضحاك، ومن قرأ ﴿يُنْزَفُونَ﴾ بالكسر وهو حمزة، والكسائي، وخلف، حمله على أنه لا تفنى خمرهم^(٦)، قال الشاعر:

لعمري لئن أنزفتم أو صحتم لبس الندامي كنتم آل أبجرا^(٧)

فصل

قوله: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ [وَفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا

١. قارن ٩: ٤٩٣.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. قارن ٩: ٤٩٣ والبيت للأبيد الربوعي كما في تفسير الآلوسي ٢٣: ٨٨ وفي المحرر الوجيز لابن عطية: ٢٤٢ ط العلمية بيروت سنة ١٤١٣ هـ من دون نسبة الربوعي، وكذا في الصحاح واللسان (نزف) لكن القرطبي في تفسيره ١٥: ٧٩ نسبه إلى الحطينة، وفي البحر المحيط لأبي حيان ٧: ٢٣٦ نسبه إلى الأسود.

مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ * وَفُرْشٍ مَرْفُوعَةٍ * إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنْشَاءً * جَعَلْنَهُنَّ
أَبْكَارًا * غُرُبًا أَتْرَابًا ﴿الآيات: ٢٧ - ٣٧﴾

وقوله: ﴿وَوُطِّلِحَ مَنْضُودٌ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وابن
زيد: الطلح شجر الموز^(١)، وقال أبو عبيدة: كل شجر عظيم كثير الشوك^(٢)، وقال
الزجاج: شجر أم غيلان، فقد يكون على أحسن حال^(٣).

والمنضود هو الذي تضد بعضه على بعض من الموز، ذكره ابن عباس^(٤).

وقوله: ﴿غُرُبًا أَتْرَابًا﴾ فالعرب العواشق لأزواجهن، المتحبيات إليهم، في
قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة^(٥)، قال ليبد:

وفي الحدوج غروب غير فاحشة ربا الرواد فيعشى دونها البصر^(٦)

والأتراب جمع ترب، وهو الذي ينشأ مع مثله في حال الصبا، وهو
مأخوذ من لعب الصبيان بالتراب، أي هم كالصبيان الذين على سن واحد^(٧).

قال عمر ابن أبي ربيعة:

أبرزوها مثل المهاة تهادي بين عشر كواعب أتراب^(٨)

١. قارن ٩: ٤٩٥.

٢. قارن ٩: ٤٩٦.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٩: ٤٩٧.

٦. قارن ٩: ٤٩٧، والبيت في ديوان ليبد: ٦١ ط الكويت.

٧. قارن ٩: ٤٩٧.

٨. قارن ٩: ٤٩٧، والبيت في ديوان عمر بن أبي ربيعة، وروايته ((بين خمس كواعب)) وبعده البيت من الشواهد:

ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد القطر والحصى والتراب

فصل

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَا كُؤُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ * فَمَا لُئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ الآيات: ٥١ - ٥٣.

الزقوم ما يتلع بتصعب، يقال: ترقم هذا الطعام ترقماً إذا ابتلعه بتصعب، وقيل: هو طعام خشن مرّ كربه يعسر نزوله في الحلق^(١).

فصل

قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ * أَفَرَأَيْتُمْ مَا كَحَرْتُونَ [ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمَغْرُمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * أَفَرَأَيْتُمْ أَلْمَاءَ الَّتِي تَشْرَبُونَ * ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَجَا جًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ الآيات: ٦٢ - ٧١.

قوله: ﴿إِنَّا لَمَغْرُمُونَ﴾ المغرم الذي ذهب ماله بغير عوض منه، وأصله ذهاب المال بغير عوض، فمنه الغريم لذهاب ماله بالاحتباس على المدين من غير عوض في الاحتباس^(٢).

١. قارن: ٩: ٥٠١.

٢. قارن: ٩: ٥٠٥.

والغارم الذي عليه الدين الذي يطالبه به الغريم، ومنه قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي ملحقاً دائماً كالإحاح الغريم، وقال الحسن: هو من الغرم، وقال قتادة: معنى ﴿لَمُعْرَمُونَ﴾ لمُعَذَّبُونَ^(١)، قال الأعشى:

ان يعاقب يكن غراماً وان يعط ((جزيلاً)) فإنه لا ييالي^(٢)

قوله: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا﴾ قال الفراء: الأجاج المرّ الشديد المرارة من الماء^(٣).

وقال قوم: الأجاج الذي اشتدت ملوحته^(٤).

فصل

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ خُنُ الْمُنْشِئُونَ [خُنْ جَعَلْنَهَا تَذِكْرَةً وَمَتَعًا لِلْمُقْوِينَ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ * فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الآيات: ٧١ - ٨٠.

١. قارن ٩: ٥٠٥، والآية في سورة الفرقان: ٦٥.

٢. قارن ٩: ٥٠٥، والبيت في ديوان الأعشى من قصيدة أولها:

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي وما يرده سؤالي

يمدح بها الأسود بن المنذر أخا النعمان بن المنذر اللخمي وقد سبي من رهطه فأنشده القصيدة ليهب له الأسرى.

٣. قارن ٩: ٥٠٦.

٤. نفس المصدر.

العرب تقدح بالزند والزنده، وهو خشب معروف يحك بعضه ببعض فيخرج منه النار، ذكره الزجاج وغيره، وفي المثل كل شجر فيه نار واستمجد المرخ والعفار^(١).

فإن قيل: لم لا يكون نار الشجر بطبع الشجر لا من قادر عليه؟^(٢)

قيل: الطبع غير معقول، فلا يجوز أن يسند إليه الأفعال، ولو جاز ذلك للزم في جميع أفعال الله تعالى، وذلك باطل، ولو كان معقولاً لكان ذلك الطبع لابد أن يكون في الشجر والله تعالى الذي أنشأ الشجرة وما فيها، فقد رجع إلى قادر عليه وإن كان بواسطة^(٣).

ولو جاز أن تكون النار من غير قادر عليها، لجاز أن تكون من غير عاجز، لأنه إذا امتنع الفعل ممن ليس بقادر عليه منا، لأنه فعل، وكل فعل ممتنع ممن ليس بقادر عليه^(٤).

وقوله: ﴿مَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ يعني ينتفع بها المسافرون الذين نزلوا الأرض القبي وهي القفر^(٥)، قال الراجز:

قبي يناصيها بلاد قبي^(٦)

وقيل: هو من أقوت الدار إذا خلت من أهلها، قال الشاعر:

١. قارن ٩: ٥٠٧، والمثل تجده عنه في خزانة الأدب ٩: ٢٤٣ ط العلمية بيروت سنة ١٩٩٨ م ما يوضحه فراجع.

٢. قارن ٩: ٥٠٧.

٣. قارن ٩: ٥٠٨.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٩: ٥٠٨، وقد تقدم الرجز قرياً.

أقوى وأقفر من نعم وغيرها هوج الرياح بها في التربة موار^(١)
قال أبو علي الجاني: القسم في كل ما ذكر في القرآن من المخلوقات
إنما هو قسم بربه^(٢).

وهذا ترك الظاهر من غير دليل، لأنه قد يجوز ذلك على جهة التنبيه على
ما في الأشياء من العبرة والمنفعة، وقد روي أنه لا ينبغي لأحد أن يقسم إلا بالله،
ولله أن يقسم بما شاء من خلقه، فعلى هذا كل من أقسم بغير الله، أو بشيء من
صفاته من جميع المخلوقات أو الطلاق أو العتاق لا يكون ذلك يميناً منعقدة، بل
يكون كلاماً لغواً^(٣).

قوله: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ قيل: هو اللوح المحفوظ أثبت الله فيه
القرآن، والمكنون المصون^(٤).

وقوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: لا
يمس الكتاب الذي في السماء إلا المطهرون من الذنوب وهم الملائكة، في قول
ابن عباس والحسن وسعيد بن جبيرة وجابر بن زيد وأبي نهيك ومجاهد، وقيل: لا
يمسه إلا المطهرون في حكم الله^(٥).

وقد استدلل بهذه الآية على أنه لا يجوز للجنب والحائض والمحدث أن
يمسوا القرآن، ولا المكتوب في الكتاب أو اللوح^(٦).

١. قارن ٩: ٥٠٨، والبيت في تفسير الطبري وتفسير الثعلبي وفيهما: بها بي التربة موار.

٢. قارن ٩: ٥٠٩.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ٥١٠.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

وقال قوم: أنه لا يجوز أن يمَسُوا الكتاب الذي فيه ولا أطراف أوراقه^(١)، وحملوا الضمير على أنه راجع إلى الكتاب، وهو كل كتاب فيه القرآن.

وعندنا أن الضمير راجع إلى القرآن، وإن قلنا أن الكتاب هو اللوح المحفوظ فلذلك وصفه بأنه مصون وبين ما قلناه قوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يعني هذا القرآن تنزيل من رب العالمين أنزله الله الذي خلق الخلائق ودبرهم على ما أراد^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿أَفَيْهِذَا أَحَدِيثٌ أَنْتُمْ مُذْهَبُونَ * وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [فلولا إذا بلغت الحلقوم * وأنتم حينئذ تنظرون * ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون * فلولا إن كنتم غير مدينين * ترجعونها إن كنتم صديقين * فأمّا إن كان من الْمُقَرَّبِينَ * فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّاتُ نَعِيمٍ﴾
الآيات ٨١ - ٨٢.

قال ابن عباس: معنى ﴿مُذْهَبُونَ﴾ مكذبون^(٣).

وقال مجاهد: معناه تريدون أن تماثلوهم فيه، وتركوا إليهم، لأنه جريان معهم في باطلهم^(٤).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٥١١.

٤. نفس المصدر.

وقيل: معناه منافقون في التصديق بهذا الحديث، وسمّاه الله تعالى حديثاً، كما قال: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾ ومعناه معنى الحدوث شيئاً بعد شيء، ونقيض ((حديث)) قديم^(١).

والمُدَّهَن الذي يجري في الباطن على خلاف الظاهر، كالدَّهْن في سهولة ذلك عليه^(٢).

وقوله: ﴿قُلُوبًا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ معناه: هلا إن كنتم غير مجزيين بثواب أو عقاب على ما تدعونونه من إنكار البعث والنشور^(٣).

وقوله: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ إخبار من الله تعالى بما يستحقه المكلفون من كان منهم سابقاً إلى الخيرات وإلى أفعال الطاعات فله روح وريحان وهو الهواء الذي يلذ النفس ويزيل عنها الهم^(٤).

وقيل: الروح الراحة والريحان المشموم^(٥).



١. قارن ٩: ٥١١، والآية في سورة الزمر: ٢٣.

٢. قارن ٩: ٥.

٣. قارن ٩: ٥١٢.

٤. قارن ٩: ٥١٤.

٥. نفس المصدر.

سورة الحديد

فصل

قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
* لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ [هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * هُوَ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ
يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ
فِيهَا * وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ * وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ * وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ الآيات: ١ - ٥.

قد بينا في غير موضع معنى التسييح، وأنه التنزيه له عن الصفات التي لا
تليق به، فمن كان من العقلاء عارفاً به، فإنه يُسَبِّحُه لفظاً ومعنى، وما ليس بعاقل
من سائر الحيوانات والجمادات، فتسييحها ما فيها من الأدلة الدالة على وحدانيته
وعلى الصفات التي باين بها جميع خلقه، وما فيها من الحجج على أنه لا يشبه
خلقه، وأن خلقه لا يشبهه، فعبر عن ذلك بالتسييح^(١).

وقوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: قال البلخي: أنه كقول القائل: فلان أول هذا الأمر وآخره وظاهره وباطنه، أي عليه يدور الأمر وبه يتم^(١).

الثاني: قال قوم: هو أول الموجودات، لأنه قديم سابق لجميع الموجودات وما عداه محدث، والقديم يسبق المحدث بما لا يتناهى من تقدير الأوقات، والآخر بعد فناء كل شيء، لأنه تعالى يفني الأجسام كلها وما فيها من الأعراض ويبقى وحده، ففي الآية دلالة على فناء الأجسام^(٢).

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ لما في ذلك من اعتبار الملائكة لظهور شيء بعد شيء من جهته، ولما في الإخبار به من المصلحة للمكلفين، ولولا ذلك لكان يخلقهما في لحظة واحدة، لأنه قادر على ذلك من حيث هو قادر لنفسه^(٣).

وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي استولى عليه بالتدبير، قال البغيت:

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق^(٤)

وهو بشر بن مروان لما ولّاه أخوه عبد الملك بن مروان^(٥).

وقيل: معناه ثم عمد وقصد إلى خلق العرش، وقد بينّا ذلك فيما تقدّم.

١. قارن ٩: ٥١٨.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٥١٩.

٤. قارن ٩: ٥١٩، والبيت من الشواهد وقد مرّ مكرراً.

٥. قارن ٩: ٥١٩.

فصل

قوله: ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ] وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ ؕ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ؕ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠-٦﴾

الآيات: ٦ - ١٠.

قوله: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ معناه: أنه لما ذكر تعالى دعاء الرسول إلى الإيمان بين أنه قد أخذ ميثاقكم أيضاً به ^(١).

ومعنى ﴿أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ نصب لكم الأدلة الموصلة إلى الإيمان بالله ورسوله ورغبكم فيه وحثكم عليه وزهدكم في خلافه ^(٢).

وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلْ﴾ بَيْنَ تَعَالَى أَنْ
الإنفاق قبل الفتح في سبيل الله إذا انضم إليه الجهاد في سبيله كان أكثر ثواباً عند
الله، والمراد بالفتح فتح مكة ^(١).

وليس في الآية دلالة على فضل إنسان بعينه ممن يدعى له الفضل، لأنه
يحتاج إلى أن يثبت أن له الإنفاق قبل الفتح، وذلك غير ثابت، ويثبت أن له
القتال بعده ولما يثبت ذلك أيضاً، فكيف يستدل به على فضله ^(٢).

١. نفس المصدر.

٢. إشارة إلى رواية الكلبي قال: نزلت الآية في أبي بكر، والكلبي هذا أحد الكذابين والآخر السدي
عندهم.

وقال أبو حاتم: الناس مجمعون على ترك حديثه هو ذاهب الحديث لا يشتغل به، إلى آخر ما
ورد فيه كما في تهذيب التهذيب ٩: ١٧٨ ط حيدر آباد، فكيف قبلوا روايته في المقام وذكروها
في تفاسيرهم. ولعل أحوطهم كان الزمخشري وأبو حيان حين نسبا الرواية إلى القيل ولم
ينسباها إلى الكلبي. الكشاف: ٢٠١، البحر المحيط ٧: ٢١٩ ط دار الفكر، لكن القرطبي ١٧:
٢٤٠، والخازن ٤: ٢٢٨، والواحدي في البسيط، والرازي في تفسيره ٨: ١٢٤ ط العامرة، وغيرهم
نسبوها إليه، أما البيضاوي وأبو السعود فأرسلا ذلك إرسال المسلمات، وزاد ابن الجوزي على
ذلك فقال: قال المفسرون: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق، وتصادعت حمى المزایدات
عند ابن كثير فقال: ولا شك عند أهل الإيمان أن الصديق أبا بكر له الحظ الأوفر من هذه الآية،
فإنه سيد من عمل بها من سائر أئمة الأنبياء، فإنه أنفق ماله كله ابتغاء وجه الله ﷻ، ولم يكن
لأحد عنده نعمة يجزيه بها. وجرى الآلوسي نفس المنوال في تحبير المقال وقال في تفسيره ٢٧:
١٥٠: والآية على ما ذكره الواحدي عن الكلبي نزلت في أبي بكر الصديق أي بسببه، وأنت تعلم
أن خصوص السب لا يدل على تخصيص الحكم، فلذلك قال أولئك ليشمل غيره ﷺ ممن
اتصف بذلك، نعم هو أكمل الأفراد، فإنه أنفق قبل الفتح وقبل الهجرة جميع ماله، وبذل نفسه
معه عليه الصلاة والسلام.

وهلم الخطب في الرازي المفسر الشهير القدير حيث تنازعه الموروث والحقاتي، فحاول جاهداً
بحجة الجمع بينهما ولو دفعاً بالصدر، اخضاع الحقاتي للموروث، فجاء بما لم يستطعه الأوائل، ←

→ فذكر الآية في تفسيره ٨: ١٢٤ ط العامرة فقال: المسألة الثانية قال الكلبي: نزلت هذه الآية في فضل أبي بكر الصديق لأنه كان أول من أنفق المال على رسول الله في سبيل الله، قال عمر: كنت قاعداً عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال، فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال: ما لي أرى أبو بكر وعليه عباءة خللها في صدره؟ فقال: أنفق ماله عليّ قبل الفتح. واعلم أن الآية دلت على أن من صدر عنه الإنفاق في سبيل الله والقتال مع أعداء الله قبل الفتح يكون أعظم حالاً ممن صدر عند هذان الأمران بعد الفتح، ومعلوم أن صاحب الإنفاق هو أبو بكر وصاحب القتال هو علي، ثم أنه تعالى قدّم صاحب الإنفاق في الذكر على صاحب القتال، وفيه إيحاء إلى تقديم أبي بكر، ولأن الإنفاق من باب الرحمة والقتال من باب الغضب، وقال تعالى: سبقت رحمتي غضبي، فكان السبق لصاحب الإنفاق، فإن قيل: بل صاحب الإنفاق هو علي لقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ﴾ قلنا: إطلاق القول بأنه أنفق لا يتحقق إلا إذا أنفق في الوقائع العظيمة أمواً عظيمة.

وذكر الواحد في البسيط أن أبا بكر كان أول من قاتل على الإسلام، وذلك لأن علياً في أول ظهور الإسلام كان صيماً صغيراً ولم يكن صاحب القتال، وأما أبو بكر فإنه كان شيخاً مقدماً وكان يذب عن الإسلام، حتى ضرب بسببه ضرباً أشرف به على الموت.

أقول: ومن يخلق ما يقول فحيتي فيه قليلة.

وأنا لا أريد أن أخوض في هذا المقام بالنقض والإبرام، ولكن كان على هؤلاء الأعلام أن يأتوا بشاهد واحد في الإنفاق من أبي بكر، وشاهد واحد منه في بذل النفس في موقف من المواقف، ولو كان لبان، ففي مكة كان أبوه أجيراً لابن جدعان ينادي على دارته بدرهم معدودة، ولو كانت لابنه أموال لصانته بها عن ذلك العمل المشين المهين، وفي المدينة كان يخرج الجوع وقت الهاجرة - ومثله عمر - وقد رآهما رسول الله ﷺ في المسجد فقال: يا أبا بكر ما أخرجك هذه الساعة؟ قال: ما أخرجني إلا ما أجد من حاق الجوع (موارد الظمان بزوائد ابن حبان ١: ٦٢٧) وستأتي في سورة المجادلة آية التصديق قبل مناجاة الرسول ﷺ وقد بخل أن يقدم شيئاً.

وأما عن بذل النفس الذي ذكر القرطبي فيه خبراً عن ابن مسعود: أول من أظهر الإسلام بسيفه النبي وأبو بكر... وهذا ما يكذبه واقع الوقائع، ففي بدر قالوا كان في العريش، وفي أحد فرّ منهزماً، وفي خيبر رجع منهزماً، ولقد مرّت الإشارة إلى ذلك قريباً. ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ٤٦: الحج.

فصل

قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ [بُشِّرْكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجَرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَسِبْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ * فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَانَكُمْ وَيُنْسِ الْأَمِصِيرُ ﴿الآيات: ١١-١٥﴾

قوله: ﴿نَقْتَسِبْ﴾ أي: نأخذ قسماً من نوركم وهو جذوة منه ^(١).

وقوله: ﴿لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ لأن فيه الجنة ﴿وَوَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ يعني من قبل المنافقين العذاب لكون جهنم هناك.

قوله: ﴿وَعَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ يعني الشيطان، وسمي بذلك لكثرة ما يغر الناس، وقرئ بالضم وهو كل ما غر من متاع الدنيا، ذكره الزجاج^(١).
والغرور بضم الغين المصدر^(٢).

ومعنى قوله: ﴿النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي هي أولى بكم. قال ليبد:
فغدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافة خلفها وأمامها^(٣)
أي تحسب أن كليهما أولى بالمخافة.

فصل

قوله: ﴿أَلَمْ يَأْنٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ [وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ * أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ

١. قارن ٩: ٥٢٧.

٢. قارن ٩: ٥٢٧.

٣. قارن ٩: ٥٢٧، والبيت في ديوان ليبد: ٣١١ ط الكويت.

وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ *
 أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي
 الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ
 مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَبًا ۚ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ
 وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ * سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن
 رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ
 وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝
 الآيات: ١٦ - ٢١.

قوله: ﴿جَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ في السعة، وقال الحسن:
 إن الله تعالى يفني الجنة ويعيدها على ما وصفه في طولها وعرضها، فبذلك صح
 وصفها بأن عرضها كعرض السماء والأرض^(١).

وقال غيره: إن الله تعالى قال: ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ﴾ الدنيا
 ﴿وَالْأَرْضِ﴾ والجنة المخلوقة في السماء السابعة، فلا تنافي بين ذلك، وإذا كان
 العرض بهذه السعة، فالطول أكثر منه أو مثله^(٢).

١. قارن ٩: ٥٣٢.

٢. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ الآية: ٢٣.

أي كل متبختر متجبر ﴿فَخُورٍ﴾ على غيره على وجه التكبر عليه، فإن من هذه صفته لا يحبه الله، وفرح البطر مذموم، وفرح الاغباط بنعم الله محمود، كما قال تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ والبخل هو منع الواجب^(١).

فصل

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم [وآتيناهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ * يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَجَعَلَ لَكُم نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * لَعَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ

أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ^١ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ^٢ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿الآيَات: ٢٦ - ٢٩﴾

التقوية جعل شيء في أثر شيء على الاستمرار فيه، ولهذا قيل لمقاطع الشعر قوافي، إذ كانت تتبع البيت على أثره مستمرة في غيره على منهاجه، فكأنه قال: وأنفذنا بعدهم بالرسول رسولا بعد رسول^(١).

قوله: ﴿يُؤْتِيَكُمْ كِفْلَيْنِ مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ قال ابن عباس: معناه يعطكم أجرين أجراً لإيمانكم بمحمد ﷺ، وأجراً لإيمانكم بمن تقدم من الرسل^(٢). وأصل الكفل الحظ في قول الفراء، ومنه الكفل الذي يكتفل به الراكب وهو كساء ونحوه^(٣).



١. قارن ٩: ٥٣٦.

٢. قارن ٩: ٥٣٧.

٣. نفس المصدر.

سورة المجادلة

فصل

قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِّن نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا [وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ * وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَا ذَٰلِكُمْ تُوَعُّظُونَ بِهِ ^١ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَا ^٢ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِعِتْقَانِكَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ^٣ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ^٤ وَقَدْ أُنزِلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ]

الظهار قول الرجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي، وكان أهل الجاهلية إذا قال الرجل منهم لامرأته هذا بانت منه وطلّقت، وفي الشرع لا تبين المرأة إلاّ أنّه لا يجوز له وطؤها إلاّ بعد أن يكفّر^(١).

وعندنا أنّ شروط الظهار هي شروط الطلاق، سواء من كون المرأة طاهراً طهراً لم يقربها فيه بجماع، ويحضره شاهدين ويقصد التحريم، فإن اختلّ شيء من ذلك لم يقع به ظهار^(٢).

قيل: إنّ هذه الآية نزلت في خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت، في قول قتادة، ولا خلاف أنّ الحكم عام في جميع من يظاهر، وإن نزلت الآية على سبب خاص^(٣).

والجدال والمجادلة هي المخاصمة، وقد يقال للمراجعة والمقابلة للمعنى ما يخالفه مجادلة، ومن قابل المعنى بخلافه طلباً للفائدة فليس بمجادل^(٤).

فمجادلة المرأة لرسول الله ﷺ كان مراجعتها إياه في أمر زوجها^(٥).

والتحاور التراجع وهو المحاوره، تقول: تحاورا تحاوراً وحاوره محاوره أي راجعه في الكلام^(٦)، قال عنتره:

١. قارن ٩: ٥٤٠.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٥٤١.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٩: ٥٤٢.

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمي^(١)
 قوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ اختلفوا في معنى العود، فقال قتادة: العود
 هو العزم على وطئها^(٢)، وقال قوم: العود الإمساك عزم أو لم يعزم^(٣)، وقال
 الشافعي: هو أن يمسكها بالعقد ولا يتبع الظهار بطلاق^(٤).
 وقال قوم: معناه: ثم يعودون لنقض ما قالوا وارتفاع حكمه^(٥)، وقال
 قوم: لا تجب عليه الكفارة حتى يعاود القول ثانية^(٦)، وهو خلاف أكثر أهل
 العلم^(٧).

والذي هو مذهبنا: أن العود المراد به إرادة الوطء، ونقض القول الذي قاله،
 فإنه لا يجوز له الوطء إلا بعد الكفارة، ولا يطل حكم قول الأول إلا بعد أن يكفر^(٨).
 وقال الفراء: يحتمل أن يكون المراد ثم يعودون إلى ما قالوا وفيما قالوا
 وفي نقض ما قالوا، أي: يرجعون عما قالوا، ويجوز في العربية أن تقول: إن عاد
 لما فعل تريد أن يفعله مرة أخرى، ويجوز إن عاد لما فعل، أي نقض ما فعل،
 كما تقول: حلف أن يضربك، بمعنى حلف لا يضربك^(٩).

١. البيت في ديوان عنترة: ٢١٨ ط المكتب الإسلامي من قصيدته المعلقة، ورواية عجز البيت فيه: أو
 كان يدري ما صواب تكلمي .

٢. قارن ٩: ٥٤٢ .

٣. نفس المصدر .

٤. نفس المصدر .

٥. نفس المصدر .

٦. قارن ٩: ٥٤٣ .

٧. نفس المصدر .

٨. نفس المصدر .

٩. نفس المصدر .

وقوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا﴾ بيان لكيفية الكفارة، فإن أول ما يلزمه من الكفارة عتق رقبة، والتحرير هو أن يجعل الرقبة المملوكة حرة بالعتق، بأن يقول: أنه حر^(١).

والرقبة ينبغي أن تكون مؤمنة، سواء كانت ذكراً أو أنثى، صغيرة أو كبيرة إذا كانت صحيحة الأعضاء، فإن الإجماع واقع على أنه يقع الإجزاء بها^(٢).

وقال الحسن وكثير من الفقهاء: إن كانت كافرة أجزأت، وفيه خلاف وتفصيل ذكرناه في كتب الفقه^(٣).

وتحرير الرقبة واجب قبل المجامعة، لظاهر قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا﴾ أي من قبل أن يجامعها فيتماسا، وهو قول ابن عباس^(٤).

وكان الحسن لا يرى بأساً أن يغشى المظاهر دون الفرج، وفي رواية أخرى عنه أنه يكره للمظاهر أن يقبل، والذي يقتضيه الظاهر أن لا يقربها بجماع على حال ولا مماسة شهوة^(٥).

والإطعام لا يجوز إلا للمسلمين دون أهل الذمة، وفيه خلاف، ومسائل الظهار وفروعها ذكرناها في كتب الفقه^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٩: ٥٤٥.

ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ والمحادة المخالفة في الحدود أي من خالف الله ورسوله فيما ذكرناه من الحدود ﴿كُتِبُوا﴾ أي أخذوا في قول قتادة، وقال غيره: أذلوا^(١).

فصل

قوله : ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَهَوُّوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا يَهَوُّوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ * يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ

لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ الآيات: ٦ - ١٠.

قوله: ﴿نَهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ قال مجاهد: كان النبي ﷺ نهى اليهود عن النجوى بينهم، لأنهم كانوا لا يتناجون إلا بما يسوء المؤمنين^(١).

وقال الفراء: نزلت في المنافقين واليهود، ونهوا أن يتناجوا إذا اجتمعوا مع المسلمين في موضع واحد، والنجوى هو السرار^(٢).

والنجوة الارتفاع من الأرض، وهو الأصل، ومنه النجاة الارتفاع في السير، والنجاة الارتفاع من البلاء^(٣).

قوله: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ قال قتادة ومجاهد وهو المروي عن عائشة: أنه كانت تحييتهم السام عليك يا أبا القاسم^(٤)، وقال ابن عباس: كان المنافقون يقولون ذلك^(٥)، وقيل: كان النبي ﷺ يرد على من قال ذلك فيقول: وعليك^(٦).

وقال ابن زيد: السام الموت، وقال الحسن: كانت اليهود تقول: السام عليكم أي أنكم ستسأمون دينكم هذا، أي تملونه وتدعونه، فهذا من سئمت الأمر أسأمه سأمًا وسأمًا^(٧).

١. قارن ٩: ٥٤٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٩: ٥٤٩.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ^١ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ^٢ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ^٣ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ^٤ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقْتُمْ^٥ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ^٦

وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ^٧ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ^٨ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا^٩ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^{١٠}] الآيات: ١١ - ١٥.

ورفع الذين أوتوا العلم درجات، لأنهم أحق بالرفعة، وفي ذلك دلالة على أن فعل العالم أكثر ثواباً من فعل من ليس بعالم^(١).

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ﴾ أي ساررتموه ﴿فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ^(٢)﴾.

قال الزجاج: كان سبب نزول هذه الآية أن الأغنياء كانوا يستخلون النبي ﷺ فيسارونه بما يريدون، والفقراء لا يتمكنون من النبي ﷺ تمكنهم.

ففرض الله عليهم الصدقة قبل النجوى ليمتنعوا من ذلك، وتبدهم بأن لا يناجي أحد رسول الله إلا بعد أن يتصدق بشيء ما قل أم كثر، فلم يفعل أحد ذلك على ما روي، فاستقرض أمير المؤمنين علي ﷺ ديناراً وتصدق به ثم ناجى النبي ﷺ، فنسخ الله تعالى ذلك الحكم بالآية التي بعدها^(١).

١. لقد أنفق المفسرون من العامة فضلاً عن الخاصة على أنه لم يعمل أحد بآية النجوى غير الإمام أمير المؤمنين ﷺ وعمله كان أحد مختصاته التي تمنى ابن عمر واحدة من ثلاث منها فقال: كان لعلي ثلاث لو كانت لي واحدة منه: كانت أحب إلي من حمر النعم: تزويجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى. (الكشاف ٣: ٢١٠، القرطبي ١: ٣٠٢) وذكرنا في سبب نزولها: أن الناس أكثر ما يناجى رسول الله ﷺ بما يريدون حتى أملوه وأبرموه، فأريد أن يكفوا عن ذلك فأمرنا بأن من أراد أن يناجيه قدم قبل مناجاته صدقة. ورووا عن علي ﷺ أنه قال: «لما نزل دعاني رسول الله ﷺ فقال: ما تقول في دينار؟ قلت: لا يطيقونه، قال: فالنصف؟ قلت: لا يطيقونه، قال: كم؟ قلت: حبة أو شعيرة، قال: أتلك لزهيد» (ومعنى شعيرة وزن شعيرة من ذهب) فلما رأوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفوا، أما الفقير فلعسرت، وأما الغني فلشحته وبخله، وقالوا: كان ذلك عشر ليال ثم نسخ، وقيل ما كان إلا ساعة من نهار. وهذا ليس بشيء إذا قرأنا ما روه عن علي ﷺ أنه قال: «إن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد من قبلي ولا يعمل بها أحد من بعدي، كان لي دينار فصرفته، فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم وسألت رسول الله ﷺ عشر مسائل فأجابني عنها.

قلت: يا رسول الله ما الوفاء؟ قال: التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.

قلت: وما الفساد؟ قال: الكفر والشرك بالله.

قلت: وما الحق؟ قال: الإسلام والقرآن والولاية إذا انتهت إليك.

قلت: وما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة.

قلت: وما علي؟ قال: طاعة الله وطاعة رسوله.

قلت: وكيف أدعو الله؟ قال: بالصدق واليقين.

فصل

قوله: ﴿أَسْتَحْذَرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَأَنْسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ [أُولَئِكَ

حِزْبُ الشَّيْطَانِ إِلَّا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ

→ قلت: وماذا أسأل الله؟ قال: العافية.

قلت: وما أصنع لنجاة نفسي؟ قال: كل حلالاً وقل صدقاً.

قلت: وما السرور؟ قال: الجنة.

قلت: وما الراحة؟ قال: لقاء الله، فلما فرغت منها نزل نسخها.

وجاء في روح المعاني ٢٨: ٢٨. ولم يعمل بها على المشهور غيره كرم الله وجهه، أخرج الحاكم وصححه وابن المنذر وعبد بن حميد وغيرهم عنه كرم الله تعالى وجهه أنه قال: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، كان لي دينار فصرفته، فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم اهـ.

قال الرازي: وروى ابن جريج والكلبي وعطاء عن ابن عباس أنهم نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجيه أحد إلا علياً تصدق بدينار ثم نزلت الرخصة.

وقال الكلبي: تصدق به في عشر كلمات سألهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال مجاهد: لم يناجيه إلا علياً قدّم ديناراً فتصدق به فسأله عن عشرة خصال ثم نزلت الرخصة.

وقال مقاتل بن سليمان: ناجاه علياً بدينار باعه بعشرة دراهم في عشر كلمات كل كلمة بدرهم.

وقال الرازي: قال القاضي والأكثر في الروايات أنه عليه السلام نفرّد بالتصدق قبل مناجاته ثم ورد النسخ، وإن كان قد روي أيضاً إن أفاضل الصحابة وجدوا الوقت وما فعلوا ذلك.

راجع بشأن ما تقدم التفاسير التالية في تفسير الآية ١٢ من سورة المجادلة.

تفسير الطبري والزمخشري والماوردي وابن الجوزي والقرطبي وابن كثير والرازي وابي حيان والبيضاوي والخازن والشريني والنسفي وفيه خاصة ذكر المسائل التي سأل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

من النبي ﷺ بعد أن قدّم صدقة لكل سؤال راجع ٤: ٢٣٥ ط دار احياء الكتب العربية بمصر، وعنها ط

دار الفكر بيروت. وكذا ط بهامش تفسير الخازن ٤: ٢٤٢ ط الميمنية بمصر سنة ١٣١٧ هـ وأخرجها

الحموي في فرائد السمطين ١: ٣٥٨ - ٣٥٩ نقلاً عن تفسير مطلع المعاني للإمام حسام الدين محمد

بن عثمان بن محمد العلي آبادي.

مُحَادُّونَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ * كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَ أَنَا
وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ * لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ
أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ
وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ
اللَّهِ هُمُ الْفَالِحُونَ ﴿١٩﴾ الآيات: ١٩ - ٢٢.

معناه: استولى عليهم، فالاستحواذ الاستيلاء على الشيء بالاقطاع،
وأصله من حاذه يحوزه حوذاً، مثل جازه يجوزه جوزاً^(١).

وقوله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ﴾ معناه: أن المؤمن لا يكون مؤمناً كاملاً بالإيمان والثواب يواد من خالف
حدود الله ويشاقه ويشاق رسوله^(٢).

معنى ﴿يُوَادُّهُ﴾ يواليه، وإن كان الذي يواده أباه أو أمه أو أخاه أو
عشيرته، فمن خالف ذلك ووالى من ذكرناه كان فاسقاً ولا يكون كافراً، وكل
كافر فهو محاد لله ورسوله^(٣).



١. قارن ٩: ٥٥٥.

٢. قارن ٩: ٥٥٦.

٣. نفس المصدر.

سورة الحشر

فصل

قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ [مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ تَخْرُجُوا] وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ] الآيات: ١ - ٥.

قوله: ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ قال قوم: أول الحشر هو حشر اليهود من بني النضير إلى أرض الشام، وثاني الحشر حشر الناس يوم القيامة إلى أرض الشام أيضاً^(١).

وقال البلخي: يريد أول الجلاء، لأن بني النضير أول من أجلي من أرض العرب، والحشر جمع الناس من كل ناحية، ومنه الحشر الذي يجمع الناس إلى ديوان الخراج^(١).

قوله ﴿يُخْرَبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ معناه: أنهم كانوا يهدمون بيوتهم بأيديهم من داخل ليهربوا، ويخرب المؤمنون من خارج، على ما ذكره الحسن^(٢).

ثم قال: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ معناه: اتعظوا وفكروا فلا تغفلوا كما فعل هؤلاء، فيحل بكم ما حل بهم^(٣).

والحصون جمع حصن، وهو البناء العالي المنيع^(٤).

ومن استدلل بهذه الآية على صحة القياس في الشريعة فقد أبعد، لأن الاعتبار ليس من القياس في شيء، وإنما معناه الاعتاض على ما بيناه، ولا يليق بهذا الموضع قياس الشرع، لأنه لو قال بعد قوله: ﴿يُخْرَبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ فقيسوا الأرز على الحنطة، لما كان كلاماً صحيحاً ولا لائقاً بما تقدم، وإنما يليق بما تقدم الاعتاض والانزجار عن مثل أفعال القوم من الكفر بالله^(٥).

وقوله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾ فاللينة كل نخلة لينة سوى العجوة، في قول ابن عباس وقتادة، وهي لغة أهل المدينة^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٥٦٠.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ٩: ٥٦١.

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ
رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا
غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦-١٠﴾

الفيء رد ما كان للمشركين على المسلمين، بتملك الله إياهم ذلك على
ما شرطه فيه، يقال: فاء يفيئ فيئاً إذا رجع^(١).

وقال عمر بن الخطاب ومعمار: مال الفيء هو مال الجزية والخراج^(٢).
والفيء كل ما رجع من أموال الكافرين إلى المؤمنين، فمنه غنيمة وغير
غنيمة، فالغنيمة ما أُخِذَ بالسيف، فأربعة أخماسه للمقاتلة، وخُمسه للذين ذكرهم
الله في قوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ الآية^(٣).

وقال كثير من العلماء أن الفيء المذكور في هذه الآية هو الغنيمة^(٤).
وقال قوم: مال الفيء خلاف مال الصدقات، لأن مال الفيء أوسع، فإنه
يجوز أن يصرف في مصالح المسلمين، ومال الصدقات إنما هو ((في))
الأصناف الثمانية^(٥).

وقال قوم: مال الفيء يأخذ منه الفقراء من قرابة رسول الله بإجماع الصحابة
في زمن عمر، ولم يخالف فيه أحد إلا الشافعي، فإنه قال: يأخذ منه الفقراء والأغنياء
وإنماذكروا في الآية لأنهم منعوا الصدقة، فبين الله أن لهم في مال الفيء حقاً^(٦).

١. قارن ٩: ٥٦٢.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٥٦٣، والآية في سورة الأنفال: ٤١.

٤. قارن ٩: ٥٦٣.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

والَّذِي نَذِبَ إِلَيْهِ أَنَّ مَالَ الْفِيءِ غَيْرُ مَالِ الْغَنِيْمَةِ، فَالْغَنِيْمَةُ كُلُّ مَا أُخِذَ مِنْ دَارِ الْحَرْبِ بِالسَّيْفِ عَنُودَةً مِمَّا يُمْكِنُ نَقْلُهُ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ، وَمَا لَا يُمْكِنُ نَقْلُهُ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ، فَهُوَ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ يَنْظَرُ فِيهِ الْإِمَامُ، وَيَصْرَفُ ارْتِفَاعُهُ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ لِمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ^(١).

وَالْفِيءُ كُلُّ مَا أُخِذَ مِنَ الْكُفَّارِ بِغَيْرِ قِتَالٍ أَوْ انْجِلَاءِ أَهْلِهَا، وَكَانَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ خَاصَّةً، يَضَعُهُ فِي الْمَذْكُورِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَهُوَ لِمَنْ قَامَ مَقَامُهُ مِنَ الْأُئِمَّةِ الرَّاشِدِينَ، وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ^(٢).

وَمَالُ بَنِي النَّضِيرِ كَانَ لِلنَّبِيِّ خَاصَّةً وَقَدْ بَيَّنَّهُ اللَّهُ ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ﴾ يَعْنِي: مَا رَجَعَهُ اللَّهُ وَرَدَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ^(٣) يَعْنِي مِنْ بَنِي النَّضِيرِ.

ثُمَّ بَيَّنَّ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ أَي لَمْ تَوْجِفُوا عَلَى ذَلِكَ بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ، وَالْإِيْجَافُ الْإِيْقَاعُ، وَهُوَ تَسْيِيرُ الْخَيْلِ أَوْ الرِّكَابِ، وَالرِّكَابُ الْإِبِلُ^(٤).

ثُمَّ قَالَ مَبِينًا مِنْ اسْتِحْقَاقِ ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ يَعْنِي قُرَى بَنِي النَّضِيرِ ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ يَعْنِي أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ لِأَنَّ تَقْدِيرَهُ: وَلِذِي قُرْبَاءٍ وَيَتَامَى أَهْلَ بَيْتِهِ وَابْنَ سَبِيلِهِمْ، لِأَنَّ الْأَلْفَ وَاللَّامَ يَعَاقِبُ الضَّمِيرَ، وَظَاهِرُهُ يَقْتَضِي أَنَّهُ لَهُؤُلَاءِ سَوَاءٌ كَانُوا أَغْنِيَاءَ أَوْ فَقَرَاءَ^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٥٦٤.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

ثم بَيَّن لم فعل ذلك، فقال: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةُ بَيْنِ الْأَعْيَاءِ مِنْكُمْ﴾^(١)
فالدولة بضم الدال نقلة النعمة من قوم إلى قوم. وافتتح الدال المرة من الاستيلاء
والغلبة^(٢).

وقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، أو
هاجروا من دار الحرب إلى دار الإسلام ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾
الَّذِي كان لهم بمكة فأخرجوا منها^(٣).

قسمة الغنيمة عندنا للفراس سهمان، وللراجل سهم^(٤).
وقال قوم: للفراس ثلاثة أسهم، وللراجل سهم، إلا ما كان من الأرض
والأشجار فإنه للإمام أن يقسمها إن شاء، وله أن يجعلها أرض الخراج ويردها
إلى من كانت في أيديهم قبل، على هذا الوصف بحسب ما يرى، كما فعل عمر
بأرض السواد^(٥).

وقيل: إن النبي ﷺ فتح مكة عنوة ولم يقسم أرضها بين المقاتلة^(٦).
وقال قوم: فتحها سلماً وقسم كثيراً من غنائم حنين في المؤلفة قلوبهم^(٧).

فصل

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٥٦٦.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا] وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ *
لَيْنَ أَخْرَجُوا لَا تَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَيْنَ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَيْنَ نَصَرُوهُمْ
لَيُؤْتِلَنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصَرُّوهُ * لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ
اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى
مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ
شَتَّى ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ * كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا
ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿الآيات: ١١ - ١٥﴾

قوله تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي أنتم أشد خوفًا
في قلوب هؤلاء المنافقين، يخافونكم ما لا يخافون الله، لأنهم قوم لا يفقهون
الحق ولا يعرفونه، ولا يعرفون معاني صفات الله، فالفقه العلم بمفهوم الكلام في
ظاهره ومتضمنه عند إدراكه وبتفاصيل أحوال الناس فيه ^(١).

وقوله: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ أي من وراء الحيطان، فالجدار الحائط، فمن
قرأ على التوحيد، فلائنه اسم جنس يقع على القليل والكثير، ومن قرأ على الجمع
فلاختلاف الجدران ^(٢).

فصل

قوله: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ * هُوَ اللَّهُ

الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ﴿الآيَات: ٢٢ - ٢٤﴾

قال الحسن: الغيب ما أخفاه العباد، والشهادة ما أعلنوه، ففي الوصف بها
بين كونه عالمًا بجميع المعلومات، لأنها لا تعدو هذين القسمين ^(١).

﴿هُوَ الرَّحْمَنُ﴾ يعني المنعم على جميع خلقه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين، ولا
يوصف بالرحمن سوى الله تعالى، فأما الرحيم فإنه يوصف به غيره تعالى ^(٢).

﴿الْقُدُّوسُ﴾ معناه المطهر فتظهر صفاته عن أن يدخل فيها صفة نقص ^(٣).
﴿السَّلَامُ﴾ وهو الذي يسلم عباده من ظلمه ^(٤).

﴿الْمُؤْمِنُ﴾ الذي أمن العباد من ظلمه لهم، إذ قال: ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ
ذَرَّةٍ﴾ ^(٥).

﴿الْمُهَيْمِنُ﴾ قال ابن عباس: معناه الأمين، وقال قوم: معناه المؤمن، إلا أنه
أشدُّ مبالغة في الصفة، لأنه جاء على الأصل في المؤمنين، فقلبت الهمزة هاءاً
وفخم اللفظ به لتفخيم المعنى، وقال قتادة: معناه الشهيد ^(٦).



١. قارن ٩: ٥٧٣.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٩: ٥٧٣، والآية في سورة النساء: ٤٠.

٦. قارن ٩: ٥٧٣.

سورة الممتحنة

سميت هذه السورة بالممتحنة باسم المرأة التي جاءت تشكو إلى رسول الله ﷺ أمرها، وهي ثلاث عشرة آية.

فصل

قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ۚ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ [وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ] رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الآيات: ٤ - ٥.

قوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ استثناء لقول إبراهيم لأبيه ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ﴾ أي فلا تقتدوا به فيه، فإن إبراهيم عليه السلام إنما استغفر لأبيه لموعدة وعدها إياه لأن أباه كان وعده بالإيمان، فوعده إبراهيم بالاستغفار، فلما أظهر له الإيمان استغفر له إبراهيم في الظاهر^(١).

﴿فلما تبين له أنه عدو لله﴾ وعرف ذلك من جهته ﴿تبرأ منه﴾ وقال الحسن: إنما تبين ذلك عند موت أبيه، ولو لم يستثن ذلك لظن أنه يجوز

الاستغفار للكفار مطلقاً، من غير موعدة بالإيمان منهم، وقد قيل: إن الاستثناء راجع إلى قوله: ﴿وَبَدَأَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾^(١).

فصل

قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَ كُمُ الْمُؤْمِنَتُ مَهْجِرَاتٍ فَاَمْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ اَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۚ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمُ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ الآية: ١٠.

قيل في كيفية الامتحان أربعة أقوال:

قال ابن عباس: كان امتحان رسول الله إياهن أن يحلفن بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض، وبالله ما خرجت في التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلّا حباً لله ولرسوله^(٢).

وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال: كان امتحانه أن يشهدن أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله^(٣).

وروي عن عائشة أنه كان امتحانهن بما في الآية التي بعدها ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ﴾ الآية^(٤).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٥٨٤.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

ثم قال تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ يعني في الظاهر ﴿فَإِنْ تَرَجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ أي لا تردوهن إليهم ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ قال ابن زيد: وفرق بينهما النبي ﷺ وإن لم يطلق المشرك^(١).

وقيل: إن النبي ﷺ كان شرط لهم رد الرجال دون النساء، فعلى هذا لا نسخ في الآية^(٢).

ومن قال: كان شرط رد النساء والرجال قال: نسخ الله حكم رد النساء^(٣).
وقوله تعالى: ﴿وَأَتَوْهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد: أعطوا رجالهن ما أنفقوا من الصداق^(٤).

وقال الزهري: لولا الهدنة لم يرد إلى المشركين صدقاً كما كان يفعل قبل نسخ رد المهور على الأزواج من المشركين^(٥).

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ معاشر المؤمنين ﴿أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ يعني: المهاجرات، لأنهن بالإسلام قد بن من أزواجهن ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ يعني: مهورهن التي يستحل به فروجهن^(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾ فالكوافر جمع كافرة، والعصمة سبب تمنع من المكروه، وجمعه عصم^(٧).

وفي ذلك دلالة على أنه لا يجوز العقد على الكافرة، سواء كانت ذمية

١. قارن ٩: ٥٨٥.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

أو حرية أو عبادة وثن، وعلى كل حال، لأنه عام لجميع ذلك، وليس لأحد أن يخص الآية بعبادة الوثن لنزولها بسببهم، لأنّ المعبر بعموم اللفظ لا بالسبب^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ يعني: إذا صارت المرأة المسلمة إلى دار الحرب، فسألوهم أن يردوا عليكم مهرهن، كما سألوكم مهر نساكنهم إذا هاجرن إليكم^(٢). والمفسرون على أن حكم هذه الآية منسوخ، وعندنا أن الآية غير منسوخة وفيها دلالة على المنع من تزوج المسلم اليهودية والنصرانية، لأنهما كافرتان، والآية على عمومها في المنع من التمسك بعصم الكوافر، ولا نخصها إلا بدليل^(٣).

فصل

قوله: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾
 * يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَتُ يُبَايِعُكَ [عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَ بِإِلَهِهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَ وَلَا يَزْنِيَ وَلَا يَقْتُلَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبَهْتَنٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ] * يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَپْسُوْا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِيسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿

الآيات: ١١ - ١٣.

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ٩: ٥٨٦.

ووجه بيعة النساء مع آتِهْنِ ليس من أهل النصرة في المحاربة، هو أخذ العهد عليهن بما يصلح شأنهن في الدين والأنفس والأزواج، وكان ذلك في صدر الإسلام لئلا يفتق بهن فتق لما صيغ من الأحكام، فبايعهن النبي ﷺ حسماً لذلك، وقيل أنه كان يبايعهن من وراء الثوب.

وروي أنه استدعى ماءً فوضع يده فيه، ثم أمر النساء أن يضعن أيديهن فيه، فكان ذلك جاريًا مجرى المصافحة بأخذ العهد^(١) ﴿عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ من الأصنام والأوثان ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾ لا من أزواجهن ولا من غيرهم ﴿وَلَا يَأْتِينَ بَهْتَانٍ﴾ يعني بكذب ﴿يَفْتَرِيَنَّهُ بَيْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾^(٢).

وقال ابن عباس: لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن^(٣).

وقال الفراء: كانت المرأة تلتقط فتقول لزوجها: هذا ولدي منك، فذلك البهتان المفترى^(٤).

١. قارن ٩: ٥٨٧ وهذا ما ورد في كثير من التفاسير كتفسير الطبري والزمخشري والرازي والقرطبي وابن كثير وغيرها.

٢. قارن ٩: ٥٨٨.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ٩: ٥٨٨، وذكر أصحاب التفاسير المذكورة أنفأ ومثلهم البيضاوي والخازن والنسفي والشريني وإبوحيان في تفسيره، والبحر والنهر، والجمل والآلوسي رواية بيعة النساء وفيها طرافة تعمّدوا التعقيم عليها والرواية باختصار (أن رسول الله ﷺ لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا، وعمر بن الخطاب أسفل منه يبايعهن بأمره ... وهند بنت عتبة متفجرة متكبرة خوفاً من رسول الله ﷺ أن يعرفها فقال ﷺ: أبايهكن على أن لا تشركن بالله شيئاً ... ولا يسرقن ... فقال: ولا يزني قالت هند: وهل تزني الحرة؟ وفي رواية ما زنت منهن امرأة قط ... فقال ﷺ: ولا يقتلن أولادهن، فقالت: ربّناهم صغاراً وقتلتهن كباراً فأثمت وهم أعلم ... وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قتل يوم بدر - فضحك عمر حتى استلقى - وتبسم رسول الله ﷺ ... واللافت للنظر هنا ضحك عمر حتى استلقى عند قول هند ربّناهم صغاراً وقتلتهن كباراً، وليس في هذا ممّا يستدعي إلى غلبة الضحك حتى الاستلقاء ثم تبسم النبي ﷺ ولكن -

قوله: ﴿كَمَا يَتَّبِعُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ قال الحسن: الذين يشؤوا من الآخرة اليهود، أي مع الإقامة على ما يغضب الله، كما يتتبع كفار العرب أن يحيى أهل القبور أبداً^(١).

وقيل: هم أعداء المؤمنين من قريش قد يشؤوا من خير الآخرة، كما يتتبع الكفار من العرب من النشأة الثانية^(٢).



→ ما من دخان إلا من وراء نار، فإن ابن الطقطقي ذكر في كتاب الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: ١٠٤ وقد ذكر بيعة النساء وأقوال النبي ﷺ حتى قال: وعلى أن لا تزني، قالت: وهل تزني الحرة؟ قالوا: فالتفت رسول الله ﷺ إلى العباس ؓ وتبسم. وهذا ما كشف عنه الزمخشري أيضاً في ربيع الأبرار ٣: ٥٥١ باب القربات والأنساب ط أوقاف بغداد من طرف خفي فقد قال:

وكان معاوية يعزى إلى أربعة: إلى مسافر بن أبي عمرو، وإلى عمارة بن الوليد، وإلى العباس بن عبد المطلب وإلى الصباح مغني أسود كان لعمارة، قالوا كان أبو سفيان دميماً قصيراً، وكان الصباح عسيفاً لأبي سفيان شاباً وسيماً فدعته هند إلى نفسها.

وهذا - فيما يبدو - كان يعرفه بعض الناس حتى في أيام معاوية، فقد روى الكلبي أنه جرى كلام بين يزيد بن معاوية وإسحاق بن طابة بن عبيد، بين يدي معاوية وهو خليفة، فقال يزيد لإسحاق: إن خيراً لك أن تدخل بنو حرب كلهم الجنة - إشارة إلى أن أم إسحاق كانت تتهم ببعض بني حرب - فقال له إسحاق وقال: إن خيراً لك أن يدخل بنو العباس كلهم الجنة، فلم يفهم يزيد وفهمها معاوية، فأئب بعدها يزيد وقال: كيف تشاتم الرجال قبل أن تعلم ما يقال فيك؟ قال: قصدت شين إسحاق قال: وهو كذلك أيضاً، قال: وكيف؟ قال: أما علمت أن بعض فريش في الجاهلية يزعمون أنني للعباس، فسقط في يدي يزيد. المثالب للكلبي: ٢٠ مخطوطة السماوي.

وجاء فيه أيضاً عن أبي صالح عن ابن عباس قال: لما أتى النساء النبي ﷺ يابعنه أنه هند فقال لها النبي ﷺ: في كلام البيعة: ولا تزني، فقالت: يا رسول الله وهل تزني الحرة، فنظر النبي ﷺ إلى عمر بن الخطاب فتبسم. إذن تبين بوضوح وجه ضحك عمر حتى استلقى حين سمع من هند قولها: (وهل تزني الحرة؟) أو ما زنت منهن امرأة قط، فإنه من زائريها في الجاهلية كما كان العباس كذلك.

١. قارن ٩: ٥٨٩.

٢. نفس المصدر.

سورة الصف

فصل

قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٍ * وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ * وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الآيات: ١ - ٥.

قيل في معنى «مَرْصُوصٍ» قولان:

أحدهما كأنه بني بالرصاص لتلازمه وشدة اتصاله^(١).

والثاني: كأنه حائط ممدود على رص البناء، أي إحكامه واتصاله واستقامته، والمرصوص المتلائم الذي لا خلل فيه^(٢).

وقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ فالزيع الذهاب عن الشيء بإسراع فيه، والأظهر فيه الذهاب عن الحق، والمعنى: أنهم لما ذهبوا عن طريق الحق

١. قارن ٩: ٥٩٢.

٢. نفس المصدر.

ومالوا إلى طريق الباطل أزاغ الله قلوبهم، بمعنى أنه حكم عليهم بالزيغ والميل عن الحق ولذلك قال: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ومعناه: لا يحكم لهم بالهداية^(١).

وقيل: معناه فلما زاغوا عن الإيمان أزاغ الله قلوبهم عن الثواب^(٢).

ولا يجوز أن يكون المراد أزاغ الله قلوبهم عن الإيمان، لأن الله لا يزيغ أحداً ولا يضله عن الإيمان^(٣).

وأيضاً فإنه لا فائدة في الكلام على ما قالوه، لأنهم إذا زاغوا عن الإيمان فقد حصلوا كفاراً، فلا معنى لقوله: ﴿أَزَاغَ اللَّهُ﴾^(٤).

فصل

قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ يُرِيدُونَ لِيطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ [هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ]

الآيات: ٧ - ٩.

معناه: لا يحكم بهداية القوم الظالمين الذين هم الكفار^(٥).

وقيل: معناه لا يهدي الكفار إلى الثواب، لأنهم كفار ظالمون لنفوسهم بفعل الكفر والمعاصي التي يستحق بها العقاب، فكل كافر ظالم لأنه أضّر

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ٩: ٥٩٤.

بنفسه بفعل معصية استحق بها العقاب من الله تعالى، وكفره ضرر قبيح^(١).

فصل

قوله: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَجَرُّقِ تَنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْمَلُونَ [يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِئِ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَقَامَتِ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ الآيات: ١٠ - ١٤.

إنما قال: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مع أن تركه قبيح ومعصية لله، لأن المعنى ذلكم خير لكم من رفعه عنكم، لأن ما أدى إلى الثواب خير من رفعه إلى نعيم ليس بثواب من الله تعالى، والتكليف خير من رفعه إلى الابتداء بالنعيم لكل من عمل بموجبه^(٢).



١. نفس المصدر.

٢. قارن ٩: ٥٩٦.

سورة الجمعة

فصل

قوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ
الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ
وَيُزَكِّيهِمْ [وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
* وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ * وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ
يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ
لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِعَايَةِ اللَّهِ * وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] الآيات: ١ - ٥.

القدوس المستحق للتعظيم بتطهير صفاته عن كل صفة نقص ^(١).

قال قتادة ومجاهد: الأميون العرب ^(٢).

وقال قوم: هم أهل مكة، لأنها تسمى أم القرى ^(٣).

١. قارن ١٠: ٣.

٢. قارن ١٠: ٤.

٣. نفس المصدر.

والأُمِّي منسوب إلى أَنَّهُ ولد في أمة لا يحسنون الكتابة، ووجه النعمة في جعل النبوة في أُمِّي موافقة لما تقدّمت البشارة به في كتب الأنبياء السالفة، ولما فيه من أَنَّهُ أبعد مَنْ توهم الاستعانة على ما أتى به من الحكمة^(١).

﴿رَسُولًا﴾ مفعول أرسله ﴿مِنْهُمْ﴾ يعني من نسب الأُمِّيِّين ومن جملتهم^(٢).

قوله: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ قال ابن عباس: الأسفار الكتب واحداً سفر، لأنّها تكشف عن المعنى بإظهاره له^(٣).

يقال: سفر الرجل عن عمامته إذا كشف، لأنّ الحمار الذي يحمل كتب الحكمة على ظهره لا يدري ما فيها، ولا يحس بها، كمثّل من يحفظ الكتاب ولم يعمل به، مثل من لا يعلم ما فيما يحمله^(٤).

وعلى هذا من تلا القرآن ولم يفهم معناه، وأعرض عن ذلك إعراض من لا يحتاج إليه، كان هذا المثل لاحقاً به، وإن حفظ وهو طالب لمعناه، وقد قدّم حفظه، فليس من أهل هذا المثل^(٥).

فصل

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ

فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ [ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] *

١. نفس المصدر .

٢. نفس المصدر .

٣. لقارن ١٠ : ٥ .

٤. نفس المصدر .

٥. نفس المصدر .

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا
اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَمًّا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ
قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٩-١١﴾

معناه: إذا سمعتم أذان يوم الجمعة فامضوا إلى الصلاة^(١).

قال قتادة: معناه امضوا إلى الصلاة مسرعين غير متثاقلين، وبه قال ابن
زيد والضحاك^(٢).

وقال الزجاج: المعنى فامضوا إلى السعي الذي هو الإسراع، قال: وقرأ
ابن مسعود فامضوا إلى ذكر الله، ثم قال: لو علمت الإسراع لأسرعت حتى يقع
ردائي من كتفي^(٣).

وفرض الجمعة لازم على جميع المكلفين، إلا صاحب العذر من سفر،
أو مرض، أو عمي، أو عرج، أو آفة وغير ذلك^(٤).

وعند اجتماع شروطه يكون سلطان عادل أو من نصبه السلطان للصلاة،
وبتكمال العدد عندنا سبعة، وعند قوم أربعين، وعند آخرين أربعة وثلاثة، وقد
بينا الخلاف في ذلك في اختلاف الفقهاء^(٥).

١. قارن ١٠: ٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٨، وراجع الخلاف ١: ٥٩٨.

وظاهر الآية متوجّه إلى المؤمنين، وإنما يدخل فيه الفاسق على التغليب، كما يغلب المذكر على المؤنث، هذا على قول من يقول: إن الفاسق ليس بمؤمن، فأما من قال: أنه مؤمن مع كونه فاسقاً، فالآية متوجّهة إليهم كلهم^(١).

وقال مجاهد وسعيد بن المسيّب: المراد بالذكر موعظة الإمام في خطبه^(٢).

وقال غيرهما: يعني الصلاة التي فيها ذكر الله^(٣).

وقوله: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ معناه: إذا دخل وقت الصلاة أتركوا البيع والشراء^(٤).

قال الضحاك: إذا زالت الشمس حرّم البيع والشراء^(٥).

وقال الحسن: كلّ بيع تفوت فيه الصلاة يوم الجمعة، فإنه بيع حرام لا يجوز، وهو الذي يقتضيه ظاهر مذهبننا، لأنّ النهي يدلّ على فساد المنهي عنه^(٦).

قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ قال جابر بن عبد الله والحسن: قدم غير لدحية الكلبي فيها طعام المدينة بعد ما أصابتهم مجاعة، فاستقبلوه باللّهو والمزامير والطبول في قول جابر بن عبد الله ومجاهد، فكانوا مع النبي ﷺ في الصلاة، فلما سمعوا صوت الطبول والمزامير ﴿انْفَضُّوا﴾ أي تفرقوا

١. قارن ١٠: ٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٩.

٦. نفس المصدر.

إلى العير يبصرونه، وتركوا النبي ﷺ قائماً وحده^(١).

فقال الله لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا مُحَمَّد ﴿مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب على سماع الخطبة وحضور الموعظة ﴿خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾ وأنفع وأحمد عاقبة ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أي ليس يفوتهم بترك البيع شيء من رزق الله^(٢).

والتقدير: وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها، أي إليه، وإنما قال: ﴿إِلَيْهَا﴾ لأنها كانت أهم إليهم، ذكره الفراء^(٣).

وقيل: تقديره وإذا رأوا لهواً أو تجارة انفضوا إليها، فرد الضمير إلى أقرب المذكورين، لأنه كان أهم إليهم، وكذلك قرأ ابن مسعود في مصحفه^(٤).



١. قارن ١٠: ٩ وقد ذكر المفسرون وغيرهم أن الصحابة الذين كانوا مع النبي ﷺ وهو يخطب يوم الجمعة فانفضوا عنه لما سمعوا رغاء العير التي قدم بها دحية الكلبي من الشام، ولم يبق منهم معه إلا اثنا عشر، وقيل: ثمانية، وقيل: أربعون، فقال ﷺ: والذي نفسي بيده لو انصرفوا جميعاً لأضرم الله عليهم الوادي نارا، ونزلت الآية ... راجع بشأنها كتب التفسير والحديث ومن كتب الفروع فتح العزيز للرافعي ٤: ٥٢٩، وإعانة الطالبين ٢: ٧٥، والمبسوط للسرخسي ٢: ٢٥، والمغني لابن قدامة ٢: ١٧٣، والشرح الكبير ٢: ١٧٦، وفي تلخيص الحبير لابن حجر ٤: ٥٢٩ قال: حديث أن الصحابة انفضوا عن النبي ﷺ فلم يبق منهم إلا اثنا عشر رجلاً وفيهم نزلت ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ الآية، متفق عليه من حديث جابر إهـ.

وقد عقد الشوكاني في نيل الأوطار ٢: ٣٤٢ باب انفضاض العدد في أثناء الصلاة أو الخطبة، وذكر حديث جابر وقال: رواه أحمد ومسلم والترمذي وصححه، ثم قال: وفي رواية: أقبلت عير ونحن نصلي مع النبي ﷺ الجمعة فانفض الناس إلا اثني عشر رجلاً، فنزلت الآية ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ رواه أحمد والبخاري ...

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ١٠: ١٠.

سورة المنافقين

قوله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَكُونُوا يَوْمَ كُفَرُوا بِآيَاتِهِ هُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأَ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ] الآيات ١ - ٥.

قال زيد بن أرقم: نزلت الآية في عبد الله بن أبي بن سلول، لما قال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، وقال: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ فلما وقف على ذلك جحدته وحلف أنه ما قاله حتى نزلت السورة^(١). وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ بالسنتهم عند الإقرار بـ ((لا إله إلا الله محمد رسول الله)) ثم كفروا بقلوبهم لما كذبوا بهذا، وهو قول قتادة^(٢).

١. قارن ١٠: ١٢.

٢. نفس المصدر.

﴿فَطِيعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي ختم عليها بسمه تميّز الملائكة بينهم وبين المؤمنين على الحقيقة ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ذلك بجحدهم توحيد الله ^(١).
 قوله: ﴿كَانَهُمْ خُشْبٌ مِّنْ سِنْدَةٍ﴾ فشبهم الله بالخشب المسندة، قيل: أنهم شبهوا بخشب نخرة متاكلة لا خير فيها إلا أنها مسندة يحسب من رآها أنها صحيحة سليمة ^(٢).

فصل

قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ * هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا ﴿الآيَات: ٦-٧﴾.
 بين أنه تعالى ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ إلى طريق الجنة، فهذا يجب أن يأسوا من العفو بالاستغفار ^(٣).

وقال الحسن: أخبر الله تعالى أنهم يموتون على النفاق فلم يستغفر لهم بعد ^(٤).
 وقيل: المعنى لا يحكم الله بهدايتهم، وقد كان النبي ﷺ يستغفر لهم على ظاهر الحال، بشرط حصول التوبة، وأن يكون باطنهم مثل ظاهرهم، فبين بها أن ذلك لا ينفع مع إبطانهم الكفر والنفاق ^(٥).

ومعنى ﴿يَنْفَضُوا﴾ حتى ينفروا عنه، لفقرهم وحاجتهم، فالانفصاض التفرق وفض الكتاب إذا فرقه ونشره، وسميت الفضة فضة لتفرقها في أثمان الأشياء المشتراة ^(٦).



١. نفس المصدر.

٢. قارن ١٠: ١٤.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

سورة التغابن

قوله: ﴿تُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ
الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ
وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ* خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ
وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ* يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَيَعْلَمُ مَا تُسَبِّحُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ* وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ* أَلَمْ يَأْتِكُمْ
نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] ﴿٥١﴾

الآيات: ٥١.

قد فسرنا معنى قوله: ﴿تُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وأن
المراد بها ما في خلق السماوات والأرض، وما فيهما من الأدلة الدالة على
توحيده وصفاته التي باين بها خلقه، وأنه لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، وأنه منزّه
عن القبايح وصفات النقص، فعبر عن ذلك بالتسبيح من حيث كان معنى التسبيح
التنزيه لله عما لا يليق به ^(١).

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يعني: مما يصح أن يكون مقدوراً له، فلا يدخل في ذلك مقدورات العباد، لأنه يستحيل أن يكون مقدوراً لله^(١).

فصل

قوله: ﴿رَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبُّونَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ* يَوْمَ نَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾
الآيات: ٧ - ٩.

قال المؤرج: ﴿رَعِمَ﴾ معناه كذب ﴿الَّذِينَ﴾ جحدوا لغة حمير^(٢).

وقال شريح: ﴿رَعِمَ﴾ كنية الكذب، والحدة كنية الجهل ﴿أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾ أي لا يحشرهم الله في المستقبل للحساب^(٣).

والتغابن هو التفاوت في أخذ الشيء بدون القيمة، فالذين اشتروا الدنيا بالآخرة بهذه الصفة في أنهم أخذوا الشيء بدون القيمة فقد غبنوا أنفسهم^(٤).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ١٠: ٢١.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الآيات: ١١ - ١٥].

يقول الله تعالى مخاطباً لخلقه: أنه ليس يصيبكم مصيبة إلا بإذن الله، والمصيبة المضرة التي تلحق صاحبها، كالرمة التي تصيبه^(١).

قوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ففي المصائب ما هو ظلم، والله لا يأذن في الظلم، لأنه لا يحسن في الحكمة، ألا ترى أنه ليس منها إلا ما أذن الله في وقوعه أو التمكين منه، وذلك أذن للملك الموكل به، كأنه قيل له: لا تمنع من وقوع هذه المصيبة، وقد يكون ذلك بفعل التمكين من الله، كأنه يأذن له أن يكون^(٢).

١. قارن ١٠: ٢٢.

٢. قارن ١٠: ٢٣.

وقال البلخي: معناه إلا بتخلى الله بينكم وبين من يريد فعلها^(١).

وقال قوم: هو خاص فيما يفعله الله أو يأمر به^(٢).

ويجوز أن يكون المراد بالإذن ها هنا العلم، وكأنه قال: لا يصيبكم مصيبة إلا والله تعالى عالم بها^(٣).

وقوله: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ قال ابن عباس: نزلت الآية في قوم أسلموا بمكة وأرادوا الهجرة فمنعهم من ذلك^(٤).

وقال عطاء بن يسار: نزلت الآية في قوم أرادوا الغزو فمنعهم هؤلاء^(٥).

وقال مجاهد: هي في قوم إذا أرادوا طاعة الله منعهم أزواجهم وأولادهم^(٦)، فبين الله تعالى أن في هؤلاء من هو عدو لكم في الدين فاحذروهم فيه^(٧).

فصل

قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ١٠: ٢٤.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

لَأَنْفُسِكُمْ^١ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [إِنْ تُقْرِضُوا
اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ^٢ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ^٣ عَلِيمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] الآيات: ١٦ - ١٨.

كلّ ما يأمر الله به فلا بدّ أن يكون مشروطاً بالاستطاعة، فإن كانت
الاستطاعة غير باقية على مذهب من يقول بذلك، فالأمر بما يفعل في الثالث، وما
بعده مشروط بأن يفعل له استطاعة قبل الفعل بوقت، وإلا لا يكون مأموراً
بالفعل^(١).

وإن كانت باقية فالأمر على صفة الاستطاعة، لأنّه لا يصحّ الشرط
بالموجود، لأنّ الشرط يحدث، فليس يخلو من أن يكون على شريطة وقوع
القدرة، أو على صفة وجود القدرة^(٢).

وقال قتادة: قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ناسخ لقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ
تَقَاتِهِ﴾ كأنه يذهب إلى أنّ فيه رخصة، كحال التقيّة وما جرى مجراها، ممّا يعظم
فيه المشقة وإن كانت معه القدرة على الحقيقة^(٣).

وقال غيره: ليس بناسخ، وإنّما هو مبين لإمكان العمل بها، وهو الصحيح
لأنّ تقديره: اتقوا الله حقّ تقاته فيما استطعتم^(٤).

١. قارن ١٠: ٢٥.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٢٥، والآية في سورة آل عمران: ١٠٢.

٤. قارن ١٠: ٢٦.

قوله: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ فالقرض أخذ قطعة من المال بتمليك الآخذ له على رد مثله، وأصله القطع، من قرض الشيء يقرضه قرضاً، إذا قطع منه قطعة، وذكر القرض في صفة الله تليفاً في الاستدعاء إلى الإنفاق في سبيل، فهو كالقرض في مثله مع أضعافه^(١).



سورة الطلاق

فصل

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا تَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُنْ يُوَعِّظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ * إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ * قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا * وَالَّتِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ * وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا * ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ * وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ * وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾

يقول الله تعالى مخاطباً لنبيه والمراد به أمته: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ ومعناه: إذا أردتم طلاق النساء كما قال: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾^(١) وروى عن ابن عباس أنه قال: نزل القرآن بإياك أعني واسمعي يا جارة، فيكون الخطاب للنبي والمراد به الأمة من ذلك^(٢).

وقال قوم: تقديره يا أيُّها النبي قل لأمتك إذا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ، فعلى قول هذا القول النبي يكون خارجاً من الحكم^(٣).

وقال آخرون: هو على خطاب الرئيس الذي يدخل فيه الأنباع، فعلى هذا حكم النبي حكم أمته في هذا الحكم، وأجمعت الأمة على أنَّ حكم النبي ﷺ حكم أمته في الطلاق^(٤).

والطلاق في الشرع: عبارة عن تخلية المرأة بحل عقدة من عقد النكاح، بأن يقول: أنت طالق يخاطبها، أو يقول: هذه طالق ويشير إليها، أو فلاته طالق بنت فلان^(٥).

وعندنا لا يقع الطلاق إلا بهذا اللفظ المخصوص، ولا يقع بشيء من الكنايات طلاق، أراد به الطلاق أو لم يرد، وفيه خلاف ذكرناه في الخلاف^(٦).

وأما الفراق، فقد يحصل بغير طلاق، كالارتداد، واللعان، والخلع عند كثير من أصحابنا، وإن لم يسم ذلك طلاقاً^(٧).

وأما فسخ النكاح والرد بالعيب فقد يحصل بأشياء لا يسمّى طلاقاً^(٨).

١. المائدة: ٦.

٢. قارن ١٠: ٢٨.

٣. قارن ١٠: ٢٨.

٤. قارن ١٠: ٢٩.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ١٠: ٢٩، وراجع الخلاف ٤: ٤٦٢.

٧. قارن ١٠: ٢٩.

٨. نفس المصدر.

ومن شرط وقوع الطلاق - عندنا - أن تكون المرأة طاهراً طهراً لم يقربها فيه بجماع بمحضر من شاهدين، ويقصد به إيقاع الطلاق ويتلفظ بما قدمناه، فحينئذ يقع تطليقة واحدة، وهو أملك برجعها ما لم تخرج من العدة، فإن خرجت قبل أن يراجعها كان كواحد من الخطأب^(١).

ومتى تلفظ بثلاث تطليقات، فإن كانت المرأة طاهراً مع باقي الشروط وقعت واحدة، وخالف جميع الفقهاء في ذلك وقالوا: يقع الثلاث^(٢).

ثم اختلفوا فقال الشافعي ومن وافقه: يكون ذلك مسنوناً^(٣).

وقال أهل العراق: المسنون أن يطلقها واحدة بلفظ واحد، ومتى أوقع ثنتين أو ثلاثاً وقع، وأما غير المدخول بها، فعند جميعهم يقع الثلاث ولا عدة عليها^(٤).

وعندنا لا يقع إلا واحدة، وفي أصحابنا من يقول: متى تلفظ بالثلاث لا يقع شيء والاعتماد على ما قلناه أولاً^(٥).

ومتى طلقها ثلاثاً أو واحدة وهي حائض وكان دخل بها، ولا يكون غائباً عنها شهراً فصاعداً، لا يقع عندنا شيء أصلاً^(٦).

وقال جميع الفقهاء: هو بدعة وتبين المرأة بذلك^(٧).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

وقوله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ معناه: أن يطلقها وهي طاهر من غير جماع، ويستوفي باقي الشروط^(١).

وقال ابن عباس: هو أن يطلقها طاهراً من غير جماع، وبه قال مجاهد والحسن وابن سيرين وقتادة والضحاك والسدي^(٢).

فعلى هذا متى طلقها في الحيض فلا يقع طلاقها، لأنه خلاف المأمور به، وهو منهى عنه، والنهي يدل على فساد المنهي عنه، وعند الفقهاء أنه يقع الطلاق وإن كان بدعة^(٣).

ثم قال: ﴿وَأَخْصُوا الْعِدَّةَ﴾ فالعدة قعود المرأة عن الزوج حتى تنقضي المدة المرتبة في الشريعة، وعدة المرأة على ضروب: ^(٤)

أحدها: عدة التي لم تبلغ المحيض، ومثلها لا تحيض وهي التي لم تبلغ تسع سنين، فهذه لا عدة عليها عند أكثر أصحابنا، وفيهم من قال: عدتها بالشهور، وبه قال باقي الفقهاء^(٥).

وعدة التي ((لا)) تحيض ومثلها ((تحيض)) ثلاثة أشهر بلا خلاف^(٦)، وعدة التي تحيض ثلاثة أقراء، وهي الأطهار عندنا وعند كثير من الفقهاء، وعند قوم أنها الحيض^(٧).

١. قارن ١٠: ٣٠.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

وعدة التي ارتفع حيضها ومثلها تحيض ثلاثة أشهر بلا خلاف، وقد حدّ ذلك أصحابنا بأن يكون سنّها أقلّ من خمسين سنة^(١).

وعدة الآيسة من المحيض ومثلها لا تحيض فلا عدة عليها عند أكثر أصحابنا، وقال بعضهم: عدتها بالأشهر، وهو مذهب جميع الفقهاء، وحدّ ذلك أصحابنا بأن يزيد سنّها على خمسين سنة، والقرشية حدّوها بستين سنة فصاعداً^(٢).
وعدة الحامل وضع ما في بطنها إذا كانت عدة الطلاق، فإن كانت عدة الوفاة فأبعد الأجلين من وضع الحمل أو مضي أربعة أشهر وعشرة أيام، وهو مذهب عليّ^(٣) وابن عباس^(٣).

وقال الفقهاء: عدة المتوفى وضع ما في بطنها^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَأَخْصُوا الْعِدَّةَ﴾ يعني: مدة زمان العدة^(٥).

ثم قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ بارتكاب المعاصي ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ هنّ يعني زمان العدة، لأنّه لا يجوز إخراجها من بيتها^(٦).

وعندنا وعند جميع الفقهاء يجب عليه السكنى والنفقة والكسوة إذا كانت تطليقة رجعية، فإن كانت بائنة فلا نفقة لها ولا سكنى^(٧).

وقال الشافعي: لا نفقة لها ولا السكنى إذا كانت بائناً^(٨).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

٨. نفس المصدر.

وقال أهل العراق: لها السكنى والنفقة^(١).

وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ مَنْ فُتِحَ الْيَاءُ أَرَادَ فَاحِشَةً أَظْهَرَتْ، وَمَنْ خَفَضَ الْيَاءَ أَرَادَ بِفَاحِشَةٍ ظَاهِرَةٍ^(٢).

وقال عطاء والضحاك وقتادة: لا يجوز أن تخرج من بيتها حتى تنقضي عدتها إلا عند الفاحشة^(٣).

وقال الحسن وعامر الشعبي ومجاهد وابن زيد: الفاحشة ها هنا الزنا تخرج لإقامة الحد^(٤).

وقال ابن عباس: الفاحشة النداء على أهلها، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام^(٥).

وقال قتادة: الفاحشة هو النشوز^(٦).

وقوله: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ يعني: ما تقدّم ذكره من كيفية الطلاق والعدة وترك إخراجها عن بيتها إلا عند الفاحشة حدود الله، فالحدود نهايات تمنع أن يدخل في الشيء ما ليس منه، أو يخرج عنه ما هو منه، فقد بيّن الله بالأمر والنهي الحدود في الطاعة والمعصية بما ليس لأحد أن يدخل في شيء من ذلك ما ليس منه، أو يخرج عنه ما هو منه^(٧).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ١٠: ٣١.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

وقوله: ﴿لَا تَذَرِي لَعْلَ اللَّهِ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ قال قوم: معناه لا تدري لعلى الله يغير رأي الزوج في محبة الطلاق، فتكون مطلقة على ما أمر الله به، ويملك الرجعة فيما بين الواحدة والثانية، وما بين الثانية والثالثة^(١).

وقال الضحاك والسدي وابن زيد: لعلى الله يحدث بعد ذلك أمر الرجعة في العدة، وقيل: معناه لعلى الله يحدث بعد ذلك شهوة المراجعة^(٢).

وقوله: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ معناه: إذا قاربن أجلهن الذي هو الخروج من عدتهن، لأنه لا يجوز أن يكون المراد فإذا انقضى أجلهن، لأنه عند انقضاء أجلهن لا يملك رجعتها وقد ملكت نفسها وبانت منه بواحدة، ثم تتزوج من شاءت هو أو غيره^(٣).

وإنما المعنى إذا قاربن الخروج من عدتهن فأمسكوهن بأن تراجعوهن بمعروف بما يجب لها من النفقة والكسوة والسكنى وحسن الصحبة ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ بأن تتركوهن حتى يخرجن من العدة^(٤).

وقوله: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ فعند أصحابنا أن الإشهاد شرط في وقوع الطلاق، لأن ظاهر الأمر بذلك يقتضيه، والأمر عندنا على الوجوب^(٥).

وقال قوم: أن ذلك راجع إلى الرجعة، وتقديره: وأشهدوا على الإمساك إن أمسكتكم ذوى عدل منكم وهي الرجعة في قول ابن عباس^(٦).

١. قارن ١٠: ٣٢.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

وقال الشافعي: الإشهاد على الرجعة أولى، ويجوز عند أكثرهم بغير إشهاد^(١)، وإنما ذكر الله الإشهاد كما ذكر في قوله: ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ وهو على التدب وهذا ترك الظاهر، ومتى حملنا الإشهاد على الفراق وهو الطلاق حملناه على ظاهره من الوجوب، وجعلناه شرطاً في وقوع الطلاق^(٢).

ثم قال: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ إذا طولبتم بإقامتها ﴿ذَلِكَمُ﴾ معاشر المكلفين ﴿يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ والوعظ معنى يدعو إلى الحق بالترغيب والترهيب^(٣).

ثم بين كيفية العدد باختلاف أحوال النساء، فقال: ﴿وَاللَّائِي يَرْتَبْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مَنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ يعني: إن الآية من المحيض إذا كانت ترتب بنفسها ولا تدري ارتفع حيضها لكبر أو لعارض ﴿فَعِدَّتُهَا ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ وهي التي قلنا أن مثلها حيض، لأنها لو كانت في سن من لا تحيض لم يكن لريبتها معنى^(٤).

وقال الزهري وعكرمة وقتادة: ﴿إِنْ ارْتَبْتُمْ﴾ فلم تدروا للكبر أم لدم الاستحاضة فالعدة ثلاثة أشهر^(٥).

وقال قوم: إن ارتبتم فلم تدروا الحكم في ذلك فعدتهن ثلاثة أشهر^(٦). وقوله: ﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ تقديره: واللاني لم يحضن إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر، فحذف لدلالة الكلام الأول عليه، والكلام فيه كالكلام في

١. نفس المصدر.

٢. قارن ١٠: ٣٢، والآية في سورة البقرة: ٢٨٢.

٣. قارن ١٠: ٣٣.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

الآيسة^(١)، وقال قتادة: اللاتي يشن الكبار، واللاتي لم يحضن الصغار^(٢).

ثم قال: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ بين أن عدة الحامل من الطلاق وضع الحمل الذي معها، فإن وضعت عقيب الطلاق فقد ملكت نفسها^(٣). ويجوز لها أن تعقد لغيره على نفسها، غير أنه لا يجوز له وطؤها، لأن نفاسها كالحيض سواء، فإذا طهرت من نفاسها حل له ذلك^(٤).

فإن كانت حاملاً بائنين ووضعت واحداً، لم تحل للأزواج حتى تضع جميع الحمل، لقوله: ﴿أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾^(٥).

فأما انقطاع الرجعة، فقد روى أصحابنا: أنها إذا وضعت واحداً انقطعت عصمتها من الأول، ولا يجوز لها العقد لغيره حتى تضع الآخر^(٦).

فأما إذا توفي عنها زوجها، فعدتها - عندنا - أبعد الأجلين، إن وضعت قبل الأربعة الأشهر استوفت أربعة أشهر وعشرة أيام، وإن مضت منها أربعة أشهر وعشر ولم تضع انتظرت وضع الحمل^(٧).

وقال ابن عباس: الآية في المطلقة خاصة كما قلناه^(٨).

وقال ابن مسعود وأبي ابن كعب وقاتدة والسدي وأكثر الفقهاء: إن حكم المطلقة والمتوفى عنها زوجها واحد، في أنها متى وضعت حلت للأزواج،

١. قارن ١٠: ٣٤.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

٨. نفس المصدر.

والذي اخترناه هو مذهب علي عليه السلام^(١).

والوجد ملك ما يجده المالك له، وذلك أنه قد يملك المالك ما يغيب عنه، وقد يملك ما هو حاضر له فذلك وجده^(٢).

فصل

قوله: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنْ أُولَى حِمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ^ط وَأَتَمِّرُوا^ط بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فاستَرْضِعْ لَهُ^ط أُخْرَىٰ [لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ^ط وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا * وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ^ط فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرَهَا حُسرًا * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا^ط فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ الآيات: ٦ - ١٠.

وقد بينا أن السكنى والنفقة يجب للرجعية بلا خلاف. فأما المبتوتة فلا سكنى لها ولا نفقة عندنا^(٣).

١. نفس المصدر، في نسخة دانشگاه الهیات ومعارف اسلامی مشهد (وهي مصورة عن نسخة مكتبة ملك بطهران) وقع سهو من الناسخ في المقام، فذكر بعض ما يتعلق بحكم السكن والنفقة للمطلقة الرجعية قبل أن يذكر الآيات المتعلقة بأحكامها الآتية، فأعادناها إلى مكانها الصحيح، وهذا ما غفل عنه محقق الطبعة الأولى فلم ينبه عليه، وجل من لا يسهو.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٣٦.

وقوله: ﴿مِنْ وَجَدِكُمْ﴾ قال السدي: من ملككم^(١).

وقال ابن زيد: هو إذا قال صاحب المسكن: لا أترك هذه في بيتي فليس من وجده، ويجوز له حينئذ أن ينقلها إلى غيره^(٢).

قوله: ﴿وَإِنْ كُنَّ﴾ يعني النساء المطلقات ﴿أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ أمر من الله تعالى بالإنفاق على الحامل المطلقة، سواء كانت رجعية أو مہتوتة، ولا خلاف في ذلك، وإنما يجب أن ينفق عليها بسبب ما في بطنها، وإنما تسقط نفقتها بالوضع، والحمل - بفتح الحاء - ما يكون في البطن، ويقال للعدل الحمل بالكسر^(٣).

وقوله: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أمر من الله تعالى، بأن الأم المطلقة متى ولدت ورغبت في رضاع ولدها، كان على الأب أجرة الرضاع أجرة المثل، فإن رضيت الأجنبية بشيء معلوم لأجرة الرضاع ورضيت بمثله الأم كانت الأم أولى، وإن لم ترض الأم بذلك القدر كان للأب تسليمه إلى الأجنبية، وإن كان الولد لا يقبل إلا لبن الأم أجبرت عليه، وإلا أدى إلى هلاك الولد^(٤).

والرضاع سقي المرأة من لبنها للولد، ومنه قول النبي ﷺ: «يحرّم من الرضاع ما يحرم من النسب» يعني أن المرضعة تصير بمنزلة الأم، وأما بمنزلة الجدّة، وأختها خالة، وبناتها أختاً، وابنها أخاً، وهكذا سائر المحرمات^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٣٧.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٣٧، والحديث في مسند أحمد ١: ٣٣٣، والكافي ٥: ٤٤٢، ومن لا يحضره الفقيه ٣: ٣٠٥.

وقوله: ﴿وَإِنْ تَعَاَسَرْتُم فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى﴾ خطاب للرجل وزوجته المطلقة، أنهما متى اختلفا في رضاع الصبي أَرْضَعته امرأة أُخرى^(١).

فصل

قوله تعالى: ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ [وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ الآيتان: ١١ - ١٢.

قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ إخبار من الله تعالى، أنه الذي أنشأ سبع سموات ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي وخلق من الأرض مثلهن في العدد، لا في الكيفية، لأن كيفية السماء مخالفة لكيفية الأرض، والمثل ما سُدَّ مسدّ غيره فيما يرجع إلى ذاته^(٢).

وليس في القرآن آية تدلّ على أن الأرضين سبع غير هذه الآية، ذكره الجبائي^(٣).



١. قارن ١٠: ٣٧.

٢. قارن ١٠: ٤١.

٣. قارن ١٠: ٤٢.

سورة التحريم

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَانَا وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ [فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ] إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنِيئَاتٍ تَتَّبِعُنَّ عِبَادَاتٍ سَنِيحَاتٍ ثَبَّاتٍ وَابْتِكَارًا﴾ الآيات: ١ - ٥.

هذا خطاب من الله تعالى للنبي ﷺ وعتاب له على تحريمه على نفسه ما أباحه الله له وأحلّه له، ولا يدل ذلك على أنه وقعت منه معصية، لأن العتاب قد يكون على أمر يكون الأولى خلافه، كما يكون على ترك الواجب^(١).

وقيل في سبب نزول قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ قولان:

أحدهما: قال زيد بن أسلم ومسروق وقتادة والشعبي وابن زيد والضحاك: إن النبي ﷺ حرم على نفسه مارية القبطية يمين، أنه لا يقربها طلباً لمرضاة حفصة زوجته، لأنها غارت عليه من أجلها^(١).

وقال الحسن: حرم رسول الله أم ولده إبراهيم وهي مارية القبطية على نفسه، وأسر بذلك إلى زوجته حفصة فأفضت به إلى عائشة، وكانت حفصة بنت عمر قد زارت عائشة فخلت بيتها، فوجه رسول الله ﷺ إلى مارية، فكانت معه، فجاءت حفصة فأسر إليها التحريم^(٢).

وعندنا أنه لا يلزم بقوله أنت حرام علي شيء ووجوده كعدمه، وهو مذهب مسروق من الفقهاء، وفيه خلاف ذكرناه في الخلاف^(٣)، وإنما أوجب الله الكفارة لأن النبي ﷺ كان حلف أن لا يقرب جاريته^(٤).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ١٠: ٤٤، ولم يذكر ابن إدريس القول الثاني في سبب النزول وهو كما في التبيان ١٠: ٤٥:
القول الثاني: ما رواه عبد الله بن شداد بن الهلال ((الهاد، صح)) أن النبي ﷺ كان شرب عند زينب شراب عسل كانت تصلحه له، فكان يطول مكثه عندها، فكرهت ذلك عائشة وحفصة فقالت له: انا نشم منك ريح المغافير - وهي بقلة متغيرة الرائحة في قول المفسرين - وقال الزجاج: هي بقلة منتنة، فحرم النبي ﷺ شراب العسل الذي كان يشربه عند زوجته بنت جحش

وكلا القولين رواهما العامة، وزاد ابن كثير قولاً ثالثاً في تفسيره ٤: ٣٨٧ رواه ابن أبي حاتم أن الآية نزلت في المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ وقال: هذا قول غريب، والصحيح أن ذلك كان في تحريمه العسل - كما قال البخاري عند هذه الآية وساق الحديث عن عائشة وفيه فتاويات أنا وحفصة على أئتنا دخل عليها فلتقل له أكلت مغافير، أني أجد منك ريح مغافير الخ، - ثم قال ابن كثير هكذا أورد - البخاري - هذا الحديث هاهنا بهذا اللفظ، ثم ساق روايات البخاري في كل من كتاب الأيمان والتذور، وفي كتاب الطلاق، وذكر أن الحديث عن ابن عباس وسؤاله عمر عن المرأتين وجواب عمر: واعجباً لك يا ابن عباس، وقول الزهري: كره الله ما سأل عنه ولم يكنه - قال: هي عائشة وحفصة - وساق الحديث بطوله، وهذا قد رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن الزهري به.

٣. قارن ١٠: ٤٥.

٤. قارن ١٠: ٤٥.

وقوله: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ أي قدر الله تعالى ما تحلون به يمينكم إذا فعلتموه، وذلك يدل على أنه عليه السلام كان حلف دون أن يكون قال هي عليّ حرام، لأن ذلك ليس بيمين عند أكثر الفقهاء^(١).

وتحلّة اليمين هو فعل ما يسقط تبعة اليمين: إمّا بكفارة، أو تناول شيء من المحلوف عليه، فمن حلف أن لا يأكل من هذا الطعام، فمتى أكل حث ولزمته كفارة وينحل اليمين بها، ومن حلف أنه يأكل من هذا الطعام وأكل منه شيئاً قليلاً فقد انحلت يمينه، فلذلك سمّي تحلّة اليمين^(٢).

وقوله: ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ معناه: والله ناصركم وهو أولى بكم منكم بأنفسكم ومن كل أحد، وهو العليم بجميع الأشياء الحكيم في جميع أفعاله^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ﴾ معناه: واذكروا حين أسر النبي ﷺ إلى بعض أزواجه حديثاً فالإسراء إلقاء المعنى إلى نفس المحدث على وجه الإخفاء عن غيره، يقال: أسر إليه كذا وكذا إسراءاً والإسراء نقيض الإعلان^(٤).

وقيل: أنه كان أسر إلى حفصة أن لا تخبر عائشة بكونه مع مارية في يوم عائشة.

وقيل: أنه حرّمها على نفسه فاطلعت عليه عائشة فاستكتمها النبي ﷺ فأخبرت حفصة بذلك، فانتشر الخبر، فعاتبها الله على ذلك^(٥).

١. قارن ١٠: ٤٦.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

وقال الزجاج والفرءاء: أسرَّ إليها بأنه سيلي الأمر بعده أبو بكر وعمر وعثمان، فتباشرا بذلك فانتشر الخبر^(١).

وروى أصحابنا أنه أسرَّ إلى عائشة بما يكون بعده من قيام من يقوم بالأمر، ودفع علي^{عليه السلام} عن مقامه، فبشَّرت بذلك أباها، فعاتبها الله على ذلك^(٢).
وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّاتُ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ معناه: لما أخبرت التي أسرَّ إليها بما خبرها به إلى غيرها، وأعلم الله تعالى نبيّه ذلك فأظهره له: ﴿عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾^(٣).

وقوله: ﴿إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ مع أن لهما قلبين، لأن كل ما ثبت الإضافة فيه معنى التثنية، فلفظ الجمع أحق به، لأنه أمكن وأخف بإعراب الواحد وقلة الزائد، وذلك في كل شيئين من شيئين، ويجوز التثنية لأنها الأصل^(٤)، كما قال الراجز:

ظهراهما مثل ظهور الترسين^(٥)

١- لقد وردت عدة روايات في تفاسير العامة ذكرت ذلك وليس فيها ذكر عثمان، راجع تفسير القرطبي والسيوطي والآلوسي وغيرها، وفي الآلوسي تأسيس بئس لخلافة الشيخين حاول الزام الشيعة بذلك لأن بعض تلك الروايات وردت في بعض كتبهم، وأنا لست في مقام الدفاع ولكنني أردت التنبيه على عدم استقامته، وهذا لو كان موضوعاً مثل ابن جزري في التسهيل ٤: ١٣١ حين قال: اختلف في هذا الحديث (وإذ أسرَّ النبي إلى بعض أزواجه حديثاً) على ثلاثة أقوال: أحدها أنه تحريم الجارية فإنه لما حرّمها قال لحفصة لا تخبري بذلك أحداً، والآخر أنه قال: إن أبا بكر وعمر يليان الأمر من بعده، والثالث أنه قوله شربت عسلاً، والأول أشهر، (وبعض أزواجه) حفصة.

٢- نفس المصدر.

٣- قارن ١٠: ٤٧.

٤- نفس المصدر.

٥- قارن ١٠: ٤٧، والرجز كما في المحلى لابن حزم ٨: ٤٢٧.

ومهمين قذفين مرتين ظهراهما مثل ظهور الترسين

ونسبه في اللسان إلى خطام المجاشعي.

وفي شرح شواهد الكشف: ٥٥٥ ط مصر بعد الشاهد قوله: (جبتهما بالنعث لا بالنعتين).

فجمع المذهبين.

وقوله: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ معناه وإن تعاونا على خلافه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاةُ﴾ يعني الله هو الذي يتولى حفظه وحياطته ونصرته ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ أيضاً معين له وناصره ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال الضحاك: يعني خيار المؤمنين^(١).
وقال قتادة: يعني الأتقياء^(٢).

وقال الزجاج: صالح المؤمنين واحد في موضع الجمع^(٣).

وقال أبو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني: هو صالحوا المؤمنين على الجمع، غير أنه حذف الواو للإضافة، وهذا غلط، لأن النون سقطت للإضافة، فكان يجب أن يثبت الواو في الخط، وفي المصاحف بلا واو^(٤).

وروت الخاصة والعامة أن المراد بـ ﴿صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ علي عليه السلام، وذلك يدل على أنه أفضلهم، لأن القائل إذا قال: فلان فارس قومه، أو شجاع قبيلته أو صالحهم، فإنه يفهم من جميع ذلك أنه أفرسهم وأشجعهم وأصلحهم^(٥).

١. قارن ١٠: ٤٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. روى الحافظ الكنجي في كفاية الطالب: ١٣٨ ط الحيدرية الثانية، وابن عساكر في ترجمة الإمام من تاريخ دمشق ٢: ٤٢٥، والحسكاني في شواهد التنزيل ٢: ٢٥٤ بأسانيد متعددة، والسيوطي في الدر المنثور ٦: ٢٤٤ عن ابن مردويه وابن عساكر، وابن حجر في الصواعق: ١٤٤ ط الميمنية سنة ١٣١٢، والحموي في فرائد السمطين ١: ٣٦٣، وابن المغازلي في المناقب: ٢٦٩، وابن كثير في تفسيره ٤: ٣٨٩ عن مجاهد، وأبو حيان الأندلسي في البحر المحيط ٨: ٢٩١، وابن حجر العسقلاني في فتح الباري ١٣: ٢٧ قال: وأخرج الطبري عن مجاهد أن صالح المؤمنين هو علي بن أبي طالب عليه السلام، ولم أقف عليه في تفسيره عند ذكر الآية، ورواه في كنز العمال ١: ٢٣٧ ط الأولى عن ابن أبي حاتم.

وقوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ معناه: معين له، فالظهير المعين^(١).

ومعنى ﴿خَيْرًا مِنْكُمْ﴾ أي أفضل منكم وأصلح له^(٢).

ثم وصفهن فقال: ﴿مُسْلِمَاتٍ﴾ وهن اللواتي يظهرن الإسلام والشهادتين مستسلمات لما أمر الله به^(٣).

﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ أي مصدقات بتوحيد الله وإخلاص العبادة له، مقررات بنبوته نبيه ﷺ، وقيل: معناه مصدقات في قولهن وفعلهن^(٤).

﴿قَانِتَاتٍ﴾ أي خاضعات متذلات لله تعالى، وقيل: معنى ﴿قَانِتَاتٍ﴾ راجعات إلى الله بفعل ما يجب له ﷻ^(٥).

﴿سَائِحَاتٍ﴾ معناه: ماضيات في طاعة الله، وقال ابن عباس وقتادة والضحاك: معنى ﴿سَائِحَاتٍ﴾ صائمات، وقال زيد بن أسلم: معنى ﴿سَائِحَاتٍ﴾ مهاجرات، وهو اختيار الجبائي، وقيل للصائم سائح، لأنه يستمر به في الإمساك عن الطعام، كما يستمر السائح في الأرض^(٦).

وقوله: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ مروهم بطاعة الله وانهوهم عن معصيته^(٧).

١. قارن ١٠: ٤٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ١٠: ٤٩.

٧. قارن ١٠: ٥٠.

ثم وصف الله تعالى النار التي حذرهم منها، فقال: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ قيل: حطب تلك النار الناس والحجارة، يعني حجارة الكبريت، وهو أشد ما يكون من العذاب^(١).

﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ﴾ ومعناه: غلاظ في الأخلاق وإن كانوا رفاق الأجسام، لأن الظاهر من حال الملك أنه روحاني، فخروجه عن الروحانية كخروجه عن صورة الملائكة، شِدَاد في القوى لا يعصون الله ما أمرهم به^(٢). وفي ذلك دلالة على أن الملائكة الموكلين بالنار وبعقاب العصاة معصومون من فعل القبيح، لا يخالفون الله في أمره، ويمثلون كل ما يأمرهم به، وعمومه يقتضي أنهم لا يعصونه في صغير ولا كبير^(٣).

وقال الرمانى: لا يجوز أن يعصى الملك في صغيرة ولا كبيرة، لتمسكه بما يدعو إليه العقل دون الطبع، وكل من يمسك بما يدعو إليه العقل دون الطبع، فإنه لا يقع منه قبيح، وقد اختارهم الله على ما في المعلوم منهم^(٤).

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ قيل: معناه جاهد الكفار بالقتال والحرب، والمنافقين بالقول الذي يردع عن القبيح لا بالحرب، إلا أن فيه بذل المجهود، فلذلك سمّاه جهاداً، وفي قراءة أهل البيت عليهم السلام: جاهد الكفار بالمنافقين، لأنه عليه السلام يجاهد الكفار وفي عسكره جماعة من المنافقين يقاتلون معه^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ أي أشدد عليهم^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٥٢.

٦. نفس المصدر.

وقوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾ قال ابن عباس: كانت امرأة نوح وامرأة لوط منافقتين فخانتهما.

قال ابن عباس: كانت امرأة نوح كافرة تقول للناس: أنه مجنون، وكانت امرأة لوط تدلّ على أضيافه، وكان ذلك خيانتهم لهما، وما زنت امرأة نبي قط، لما في ذلك من التنفير عن الرسول وإلحاق الوصمة به، فمن نسب أحداً من زوجات النبي إلى الزنا فقد أخطأ خطأ عظيماً، وليس ذلك قولاً لمحصل^(١).

ثم قال: ﴿فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا﴾ أي لم يغن نوح ولوط المرأتين ﴿مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي لم ينجياهما من عقاب الله وعذابه ﴿وَقِيلَ﴾ لهما يوم القيامة ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّائِلِينَ﴾ من الكفار^(٢).

قال الفراء: هذا مثل ضربه الله تعالى لعائشة وحفصة وبَيَّن أنه لا يغنيهما ولا ينفعهما مكانهما من رسول الله ﷺ إن لم يطيعا الله ورسوله ويمثلا أمرهما، كما لم ينفع امرأة نوح وامرأة لوط كونهما تحت نبيين^(٣).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قال الزمخشري في الكشاف ٤: ٢٤٩ في تفسير الآية: وفي طي هذين التمثيلين تعريض بأمر المؤمنين المذكورتين في أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله ﷺ بما كرهه، وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشدّه، لما في التمثيل من ذكر الكفر، ونحوه في التغليظ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾. وإشارة إلى أن من حقهما أن تكونا في الإخلاص والكمال فيه كمثلي هاتين المؤمنتين، وأن لا تتكلا على أنهما زوجا رسول الله، فإن ذلك الفضل لا ينفعهما مع كونهما مخلصتين، والتعريض بحفصة أرجح لأن امرأة لوط أفشت عليه كما أفشت حفصة على رسول الله.

وقال الرازي في تفسيره ٨: ٢٣٧ ط العامة: وفي ضمن هذين التمثيلين تعريض بأمر المؤمنين وهما حفصة وعائشة لما فرط منهما وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشدّه لما في التمثيل من ذكر الكفر.

وفي ذلك زجر لهما عن المعاصي، وأمر لهما أن يكونا كآسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران في طاعتهما لله تعالى وامثال أمره ونهيه^(١).

فصل

قوله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهَا فَتْحٌ مِّنَ الْبَابِ﴾ الآيةان: ١١ - ١٢.

الفائدة في هذه الآية وفي الآية التي قبلها: أن أحداً لا ينفعه إلا عمله، ولا

→ ولم يبعد الخازن في تفسيره ٤: ٢٨٨ عن ذلك حيث قال: وفي هذا المثل تعريض بأمر المؤمنين عائشة وحفصة وما فرط منهما وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشدّه. وذكر الشوكاني في فتح القدير ٥: ٢٤٨ ط الأولى بمصر، والماوردي في النكت والعيون ٦: ٤٧ ط دار الكتب العلمية قول يحيى بن سلام: ضرب الله مثلاً للذين كفروا يحذر به عائشة وحفصة من المخالفة لرسول الله ﷺ حين تظاهرا عليه، ثم قال الشوكاني: وما أحسن ما قال فإن ذكر امرأتي النبيين بعد ذكر قصتهما ومظاهرتهما على رسول الله ﷺ يرشد أتم إرشاد ويلوح أبلغ تلويح إلى أن المراد تخويفهما مع سائر أمهات المؤمنين، وبيان أنهما وإن كانتا تحت عصمة خير خلق الله وخاتم رسله، فإن ذلك لا يغني عنهما من الله شيئاً.

وقال الخطيب الشربيني في تفسيره السراج المنير ٤: ٢٧٤: وفي هذا المثل تعريض بأمر المؤمنين عائشة وحفصة وما فرط منهما وتحذير لهما على أعلى وجه وأشدّه، وفيه تنبيه على أن العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة، وقال ابن الجوزي في زاد المسير ٨: ٨٤ ط دار الكتب العلمية: قال المفسرون منهم مقاتل: هذا المثل يتضمن تخويف عائشة وحفصة أنهما إن عصيتا ربهما لم يغفر رسول الله ﷺ عنهما شيئاً.

يؤخذ بجرم غيره، وإن كان خصيصاً به وملزماً له، ويَبَيَّن أن امرأة نوح وامرأة لوط لم ينفعهما قربهما من نبيين واختصاصهما والتصاقهما بهما، لما كانتا كافرتين عاصيتين لله، بل عاقبهما الله بالنار بكفرهما وسوء أفعالهما، ويَبَيَّن في هذه الآية أن كفر فرعون لم يتعد إلى زوجته لما كانت مؤمنة طائعة لله تعالى^(١).

وقوله: ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ فإحصان الفرج منعه من دنس المعصية، يقال: أحصن يحصن احصاناً، ومنه الحصن الحصين، لأنه بناء منيع، والفرس الحصان الذي يمنع من ركوبه^(٢).

وقوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رَوْحِنَا﴾ قال قتادة: معناه فنفخنا في جيبها من روحنا^(٣). وقال الفراء كل شق فهو فرج، فأحصنت فرجها منعت جيب درعها من جبرئيل عليه السلام، والظاهر أنه أراد الفرج الذي يكنى عنه^(٤).

وقوله: ﴿فِيهِ﴾ يعني: في الفرج، فلذلك ذكر في الأنبياء ﴿فِيهَا﴾ لأنه رد إلى التي أحصنت فرجها^(٥)، وقيل: إن جبرئيل نفخ في فرجها، فخلق الله فيه المسيح^(٦). ﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ يعني: بما تكلم الله به وأوحاه إلى أنبيائه^(٧).



١. نفس المصدر.

٢. قارن ١٠: ٥٤.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ١٠: ٥٥.

٧. نفس المصدر.

سورة الملك

قوله: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الَّذِي
 خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ*
 الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ^ط
 فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ* ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ [يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ
 الْبَصَرُ حَاسِدًا وَهُوَ حَسِيرٌ* وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا
 رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ* وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ
 جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ* إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ* تَكَادُ
 تَمِيزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ*
 قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي
 ضَلَالٍ كَبِيرٍ* وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾
 الآيات: ١ - ٥.

معنى قوله: ﴿مِنْ فُطُورٍ﴾ أي من شقوق وصدوع، يقال: فطره يفطره
 فطوراً فهو فاطر إذا شقه، ومنه قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ أي
 يتصدعن^(١).

وقال ابن عباس: هل ترى من وهن^(١)، وقال قتادة: من خلل^(٢)، وقال سفيان: من شقوق^(٣).

ثم أكد ذلك بقوله: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أي دفعة ثانية، لأن من نظر في الشيء كرة بعد أخرى بان له ما لم يكن بائناً له^(٤).

وقوله: ﴿خَاسِئًا﴾ يعني: ذليلاً صاغراً، في قول ابن عباس. وقال قتادة: معناه كال معي، فالحسير الكليل^(٥).

فصل

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾
وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ^ط إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ* أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ
وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا
وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ^ط وَإِلَيْهِ النُّشُورُ] الآيات: ١٢ - ١٥.

قوله: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ معناه: من خلق الصدور يعلم ما في الصدور، ويجوز أن يكون المراد ألا يعلم من خلق الأشياء ما في الصدور^(٦).

١. قارن ١٠: ٥٩.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ١٠: ٦٤.

وقيل: تقديره ألا يعلم سر العبد من خلقه، يعني من خلق العبد، ويجوز أن يكون المراد ألا يعلم سر من خلق، وحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه^(١). ولا يجوز أن يكون المراد ألا يعلم من خلق أفعال القلوب، لأنه لو أراد ذلك لقال: ألا يعلم ما خلق، لأنه لا يعبر عما لا يعقل به (من)^(٢).

ولا يدل ذلك على أن الواحد منا لا يخلق أفعاله من حيث أنه لا يعلم الضمائر^(٣)، لأننا بينا أن المراد ألا يعلم من خلق الصدور أي خلق الأشياء، والواحد منا لا يخلق ذلك، فلا يجب أن يكون عالماً بالضمائر^(٤).

فصل

قوله: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ۚ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ ۚ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفْتٍ ۚ وَبَقِيضٍ مَّا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ۚ أَمْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ ۚ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ۚ أَمْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنِ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ۚ بَلْ لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ۚ﴾ [الآيات: ١٧ - ٢١].

١. قارن ١٠: ٦٤.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

المعنى: أأمنتم من في السماء سلطانه ونهيه وأمره، كما قال: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ أي وهو الله في السماوات والأرض معلومه، لا يخفى عليه شيء منه ^(١).

وقيل: أيضاً يجوز أن يكون المراد أأمنتم من في السماء، يعني: الملك الكائن في السماء أن يخسف بكم الأرض بأمر الله ^(٢).

فصل

قوله: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ * قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ الآيات: ٢٢ - ٢٦.

يقال: أكب يكب إكباباً فهو مكب فيما لا يتعدى، قال الأعشى:

مكباً على روقيه يحفر عرقه على ظهر عريان الطريقة أهيما ^(٣)



١. قارن ١٠: ٦٦، والآية في سورة الأنعام: ٣.

٢. قارن ١٠: ٦٦.

٣. قارن ١٠: ٦٩، والبيت في ديوان الأعشى الكبير: ١٨٨ ط النموذجية بمصر.

سورة النون

قوله: ﴿رَبِّ الْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ * فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَيِّنِّكُمْ الْمَفْتُونُ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُوا لَوْ تَدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ * وَلَا تُطِعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * سَنَسِفُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ الآيات: ١-١٦.

اختلفوا في معنى ((ن)) في هذا الموضع، فقال قوم: هو اسم من أسماء السورة، مثل ((حم)) و ((المص)) و ((ق)) وما أشبه ذلك، وهو الذي قلنا أنه أقوى الأقوال^(١).

وقال ابن عباس في رواية عنه: أن النون الحوت الذي عليه الأرضون، وفي رواية أخرى عنه: أن النون الدواة، وهو قول الحسن وقتادة^(٢).

قوله: ﴿لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قال الحسن: على دين عظيم وهو الإسلام،

وقيل: أدب القرآن، وقال المؤرج: معناه على دين عظيم بلغة قريش^(١).
والخلق المرور في الفعل على عادة، والخلق الكريم الصبر على الحق
وسعة البذل وتدبير الأمور على مقتضى العقل، وفي ذلك الرفق والأناة والحلم
والمداواة^(٢).

قوله: ﴿بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾ قيل في معناه قولان:
أحدهما: بأي فرقكم المفتون بما يجري مجرى الجنون^(٣).
والثاني: أن يكون معنى ﴿بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾ كما يقال: ليس له معقول أي
عقل، فتقديره ستعلم ويعلمون بمن منكم المجنون، وقيل: معنى الباء ((في))
فكأنه قال: في أيكم الجنون^(٤).
والمفتون المبلى بتخيل الرأي كالمجنون، وذلك كما يتلى بشدة الهوى
للمحسوب، فيقال: فتن فلان بفلانة على هذا المعنى، وقال ابن عباس: بأيكم
الجنون^(٥).

والهاء^(٦) في بصيرة مثل الهاء في علامة للمبالغة.

١. قارن ١٠: ٧٥.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٧٦.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٧٦، وما بعد هذا سقط أكثر من مائة صفحة يتضمن تفسير بقية سورة القلم وتمام سورة
الحاقة والمعارج ونوح والجن والمزمل والمدثر وأوائل سورة القيامة إلى الآية: ١٤.

٦. من هنا نعود إلى المتن ويبدأ النص من منتخب التبيان لابن إدريس من سورة القيامة الآية ١٤ من
قوله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ * لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ *
إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾.

وقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه القرآن عجل بتحريك لسانه لحبه إياه، فنهاه الله عن ذلك ^(١).

والتحريك تغيير الشيء من مكان إلى مكان، أو من جهة إلى جهة بفعل الحركة فيه ^(٢).

العجلة طلب عمل الشيء قبل وقته الذي ينبغي أن يعمل فيه ونقيضه الإبطاء، والسرعة عمل الشيء في أول وقته الذي هو له وضده الأناة ^(٣).

وقوله: ﴿إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾ قال ابن عباس والضحاك: معناه أن علينا جمعه في صدرك وقراءته عليك حتى يمكنك تلاوته ^(٤).

فصل

قوله: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ لَهَا مَرْاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالتَّتَفَتِ الْأَسَاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى * وَلَيْكِن كَذَّبَتْ وَتَوَلَّى * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى * أُولَى لَكَ فَأُولَى * ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى * أَحَسَّسُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِي يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن مِّنْجَىٰ الْمَوْتَىٰ] الآيات: ٢٦ - ٤٠.

١. قارن ١٠: ١٩٦.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

قوله: ﴿وَالْتَفَتُ السَّاقُ السَّاقُ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: معناه التفت شدة أمر الآخرة بأمر الدنيا^(١).

وقال الحسن: التفت حال الموت بحال الحياة، ويقولون: قامت الحرب على ساق عند شدة الأمر^(٢)، قال الشاعر:

فإذا شمرت لك عن ساقها فويهاً ربيع ولا تسام^(٣)

وقوله: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ فالتمطي تمدد البدن من الكسل، والذم بكسل الثاقل عن الداعي إلى الحق^(٤).

وقال مجاهد وقتادة: معنى ﴿يَتَمَطَّى﴾ يتبختر^(٥)، وقيل: نزلت الآية في أبي جهل^(٦).

وقوله: ﴿أُولَى لَكَ فَأُولَى * ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى﴾ قال قتادة: هو وعيد على وعيد، وقيل: معنى ﴿أُولَى لَكَ﴾ وليك الشرياً أبا جهل^(٧).

وقيل: معناه الذم أولى لك من تركه، إلا أنه حذف وكثر في الكلام حتى صار بمنزلة الويل لك^(٨).



١. قارن ١٠: ٢٠١.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ١٠: ٢٠٢.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

٨. نفس المصدر.

سورة الإنسان

فصل

قوله: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ * إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا * إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَقْنَا وَسْعِيرًا [إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا] الآيات: ١ - ١٠.

قوله: ﴿هَلْ أَتَى﴾ قال الزجاج: معناه ألم يأت على الإنسان حين من الدهر وقد كان شيئاً إلا أنه لم يكن مذكوراً، لأنه كان تراباً وطيناً^(١).

وقال قوم: ((هل)) يحتمل معناه أمرين:

أحدهما: أن يكون بمعنى قد أتى.

والثاني: أن يكون معناها أتى على الإنسان، والأغلب عليها الاستفهام^(١).

والإنسان في اللغة حيوان على صورة الإنسانية، وقد تكون الصورة الإنسانية ولا إنسان، وقد يكون حيوان ولا إنسان، فإذا حصل المعنيان صح إنسان لا محالة^(٢).

والحين مدة من الزمان، وقد يقع على الكثير والقليل، قال الله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾^(٣) أي: وقت تمسون ووقت تصبحون، وقال تعالى: ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ يعني: كل ستة أشهر^(٤).

وفي الآية دلالة على أن المعدوم لا يسمّى شيئاً، وإنما سمي زلزلة الساعة شيئاً مجازاً، والمعنى أنها إذا وجدت كانت شيئاً عظيماً^(٥).

وقوله: ﴿أَمْشَاجٌ﴾ قال ابن عباس: أخلاط من ماء الرجل وماء المرأة^(٦)، ويقال مشجت هذا بهذا أي خلطته به وهو ممشوج به ومشيج به أي مخلوط به، قال رؤبة:

يطرحن كل معجل نشاج لم تكس جلدًا في دم أمشاج^(٧)

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٢٠٥، والآية في سورة الروم: ١٧.

٤. قارن ١٠: ٢٠٥، والآية في سورة إبراهيم: ٢٥.

٥. قارن ١٠: ٢٠٦.

٦. نفس المصدر.

٧. قارن ١٠: ٢٠٦، والرجز لرؤية كما في ديوانه.

وقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ معناه: إِنَّا أَرشَدْنَاهُ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَبَيَّنَّاهُ لَهُ وَدَلَّلْنَاهُ عَلَيْهِ ^(١).

وقوله: ﴿إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ قال الفراء: ان شكر وان كفر على الجزاء ^(٢). والمعنى إِنَّمَا أَنْ يَخْتَارَ بِحَسَنِ اخْتِيَارِهِ الشُّكْرَ لِلَّهِ تَعَالَى وَالْاعْتِرَافَ بِنِعْمِهِ فَيَصِيبُ الْحَقَّ، وَإِمَّا أَنْ يَكْفُرَ نِعْمَهُ وَيَجْحَدَ احْسَانَهُ، فَيَكُونُ ضَالًّا عَنِ الصَّوَابِ ^(٣).
وليس المعنى أَنَّهُ مَخِيرٌ فِي ذَلِكَ، وَإِنَّمَا خَرَجَ ذَلِكَ مَخْرَجَ التَّهْدِيدِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ بدلالة قوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ الْبَيَانُ عَنْ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَيْهِمَا، فَأَيُّهُمَا اخْتَارَ جُوزِي بِحَسَبِهِ ^(٤).

وفي الآية دلالة على أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ هَدَى جَمِيعَ الْمَكَلَّفِينَ، لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ عامٌ فِي جَمِيعِهِمْ، وَذَلِكَ يَبْطُلُ قَوْلُ الْمَجْبُورَةِ: أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَهْدِ الْكَافِرَ بِنَصْبِ الدَّلَالَةِ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَاجْتِنَابِ الْبَاطِلِ ^(٥).
وَالكَأْسُ إِنَاءُ الشَّرَابِ إِذَا كَانَ فِيهِ، وَلَا يُسَمَّى كَأْسًا إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَرَابٌ، ذَكَرَهُ الزَّجَّاجُ ^(٦).

وقوله: ﴿كَانَ مِرْأَجُهَا كَأُفُورًا﴾ قيل: مَا يَشُمُّ مِنْ رِيحِهَا لَا مِنْ جِهَةِ طَعْمِهَا ^(٧).

١. قارن ١٠: ٢٠٧.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ١٠: ٢٠٧، والآية في سورة الكهف: ٢٩.

٥. قارن ١٠: ٢٠٧.

٦. قارن ١٠: ٢٠٨.

٧. نفس المصدر.

وقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ نصب على البدل من كافور، ويجوز أن يكون على تقدير ويشربون عيناً، ويجوز أن يكون نصباً على الحال من مزاجها، قال الفراء: شربها وشرب فيها سواء في المعنى ^(١).

والوفاء بالنذر هو أن يفعل ما نذر عليه، فالوفاء امضاء العقد على الأمر الذي يدعو إليه العقل، ومنه قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ الصحيحة، لأنه لا يلزم أحداً أن يفي بعقد فاسد، وكل عقد صحيح يجب الوفاء به ^(٢).

القمطير الشديد في الشر، وقد اقمطر اليوم، ويوم قمطير، وقماطر، كأنه قد التف شره بعضه على بعض ^(٣)، قال الشاعر:

بني عمنا هل تذكرن بلاءنا عليكم إذا ما كان يوماً قمطراً ^(٤)

وقد روت الخاصة والعامة أن هذه الآية نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فإنهم آثروا المسكين واليتيم والأسير ثلاث ليال ^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ١٠: ٢٠٩، والآية في سورة المائدة: ١.

٣. قارن ١٠: ٢١٠.

٤. قارن ١٠: ٢١٠، والبيت من الشواهد في تفاسير الطبري والقرطبي والشوكاني والسمعاني وابن عطية وابن الجوزي ولم ينسب إلى شاعر باسمه.

٥. راجع المصادر التالية من التفاسير النكت والعيون للماوردي ٦: ١٦٨، وزاد المسير لابن الجوزي ٨: ١٦٨، وأشار إليه أيضاً في كتابه المدهش: ١٢٨ ط بغداد، وتفسير النسفي ٨: ٣١٨، والكشاف للزمخشري ٤: ٢٩٧، والفتوحات الإلهية للجمل ٤: ٤٢٥.

والدر المنثور للسيوطي ٦: ٢٩٩، نقلاً عن ابن مردويه والواحدي في أسباب النزول: ٣٣١، والقشيري في لطائف الإشارات ٣: ٦٦٣، والآلوسي في روح المعاني ٢٩: ١٥٧ وغير ذلك من التفاسير، أما من غير التفسير فراجع شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ٢: ٢٩٨ - ٣١٥، وتذكرة خواص الأمة -

→ لسبط ابن الجوزي: ٣٢٢، وأسد الغابة لابن الأثير ٥: ٥٣٠ في ترجمة فضة، والمناقب للخوارزمي الحنفي: ٧٨٨ نقلاً عن الثعلبي في تفسيره، والرياض النضرة للمحب الطبري ٢: ٢٢٧، وذخائر العقبى: ١٠٢ له أيضاً، ونور الأبصار للشبلنجي: ١٠٢ وغير ذلك كثير، وسيجد القارئ في بعض التفسير روايات تافهة وتشكيكات بانسة فمن الروايات: أن أسارى مشركي بدر أنفق عليهم سبعة من المهاجرين أبو بكر وعمر وعلي والزبير وعبد الرحمن وسعد وأبو عبيدة بن الجراح، فقالت الأنصار: قتلناهم في الله وفي رسوله وتوفونهم بالنفقة، فأنزل الله ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مَشَكِيَّةً وَنَيْمًا وَأَسِيرًا﴾ وهذا القول لا يخفى ما فيه من التافهة والسفاهة فأين النذر لمن ذكروا؟ وأين اليتيم والمسكين؟ أما التشكيكات البائسة البائسة فقد قالوا: إن السورة مكية والقصة كانت بالمدينة، وقد قال الحاكم الحسكاني: اعترض بعض النواصب على هذه القصة بأن قال: إتفق أهل التفسير على أن هذه السورة مكية وهذه القصة كانت بالمدينة - إن كانت - فكيف كانت سبب نزول السورة؟ وبأن بهذا أنها مخترعة.

قلت - والقاتل هو الحسكاني - كيف يسوغ له دعوى الإجماع مع قول الأكثر أنها مدنية، ثم ساق عدة أحاديث عن ابن عباس وغيره أنها مدنية، فليراجعها من شاء في شواهد التنزيل. ومع ذلك الدفع ووضوح الرؤية في شأن نزولها في أهل البيت نجد للأكوسي في روح المعاني كلاماً لا يخلو من همز ولمز فقد قال في ص ١٥٧ بعد نقله الخبر بطوله: والخبر مشهور بين الناس، ذكره الواحد في البسيط وعليه قول بعض الشيعة:

إلى مَ ألام وحتى متى أعاتب في حب هذا الفتى

وهل زوجة غيره فاطم وفي غيره هل أتى هل أتى

وتعقب بأنه خبر موضوع مفتعل كما ذكره الترمذي وابن الجوزي، وأثار الوضع ظاهرة عليه لفظاً ومعنى، ثم أنه يقتضي أن تكون السورة مدنية، لأن بناء عليّ كرم الله تعالى وجهه على فاطمة رضي الله تعالى عنهما كان بالمدينة، وهي عند ابن عباس المروي عنه على ما أخرج النحاس مكية، وكذا عند الجمهور في قول. وأقول: أمر مكنتها ومدنيتها مختلف فيه جداً كما سمعت فلا جزم فيه بشيء، وابن الجوزي نقل الخبر في تبصرته ولم يتعقبه، على أنه ممن يتساهل في أمر الوضع حتى قالوا أنه لا يعول عليه في هذا الباب، فاحتمال أصل النزول في الأمير كرم الله تعالى وجهه وفاطمة رضي الله تعالى عنها قائم، ولا جزم بنفي ولا اثبات لتعارض الأخبار، ولا يكاد يسلم المرجح عن قيل وقال، نعم لعله يترجح عدم وقوع الكيفية التي تضمنتها الرواية الأولى، ثم أنه على القول بنزولها فيهما لا يتخصص حكمها بهما، بل يشمل كل من فعل مثل ذلك كما ذكره الطبرسي من الشيعة في مجمع ←

فصل

قوله: ﴿فَوَقَلَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِغَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا * قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّحَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا] ﴿الآيات: ١١ - ٢٠﴾.

الزنجبيل ضرب من القرفة طيب الطعم يلذع اللسان ويربى بالعسل،

→ البيان راوياً له عن عبد الله بن ميمون عن أبي عبد الله رضي الله تعالى عنه، وعلى القول بعدم النزول فيهما لا يتطامن مقامهما ولا ينقص قدرهما إذ دخولهما في الأبرار أمر جلبي، بل هو دخول أولي، فهما هما، وماذا عسى يقول أمرؤ فيهما، سوى أن علياً مولى المؤمنين ووصي النبي، وفاطمة البضعة الأحمدية والجزء المحمدي، وأما الحسنان فالروح والريحان وسيدا شباب الجنان، وليس هذا من الرفض بشيء، بل ما سواه عندي هو الغي.

أنا عبد الحق لا عبد الهوى لعن الله الهوى فيمين لعن

أقول: ونحن كذلك عبيد الحق ومن الحق أن ندعن للحق، ولا نطيل معه الحساب إلا أنا نذكر له أبيات الشاعر عبد الباقي العمري الفاروقي، فقد قال كما في ديوانه: ١٢٦ ط النعمان سنة ١٣٨٢ هـ:

وسائل هل أتى نص بحق علي أجبت هل أتى نص بحق علي
فظننتي إذ غدا منّي الجواب له عين للسؤال صدئ من صفحة الجبل
وما درى لادري جدا ولا هزلا إنني بذاك أردت الجدد بالهزل

يستدفع به المضار، وإذا مزج به الشراب فاق في الألداز، والعرب تستطيب الزنجبيل جداً^(١)، قال الشاعر:

كأن القرنفل والزنجبيل باتا بفيها واريأ مشوراً^(٢)

وقوله: ﴿عَيْنًا﴾ نصب على أنه بدل من الزنجبيل^(٣).

وقوله: ﴿سَلْسِيلًا﴾ فهو الشراب السهل اللذيذ، وقيل: سلسيل معناه منقاد مأوها حيث شاؤوا، عن قتادة. وقيل: شديد الجرية^(٤).

وقوله: ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ قال قتادة: لا يموتون، وقيل: مستورون بلغة حمير، وقال بعض شعرائهم:

ومخلدات باللجين كأنما أعجازهن أقاوز الكتبان^(٥)

فصل

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوءٌ أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا * فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطْعَمْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا * وَادْكُرْ آسَمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا *

١. قارن ١٠: ٢١٤.

٢. قارن ١٠: ٢١٤، والبيت للأعشى كما في ديوانه: ٨.

٣. قارن ١٠: ٢١٥.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٢١٥، والبيت في اللسان (خلد) غير منسوب.

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَتُحِبُّونَ
الْعَاجِلَةَ وَيَذْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا * نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ
وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا * إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ
رَبِّهِ سَبِيلًا * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا
* يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۖ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢١﴾
الآيات: ٢١ - ٣١.

السندس الديباج الرقيق الفاخر الحسن وهو فعلل^(١)، وقوله: ﴿خَضِرٌ﴾
فمن جره جعله صفة لسندس خضر، ووصف سندس بخضر وهو لفظ جمع، لأن
سندساً اسم جنس يقع على الكثير والقليل، ومن رفعه جعله نعتاً للثياب، كأنه قال:
ثياب خضر من سندس^(٢).
وقوله: ﴿إِسْتَبْرَقَ﴾ من رفعه عطفه على ثياب سندس، فكأنه قال: عاليهم
ثياب سندس وعاليهم استبرق، ومن جره عطفه على سندس^(٣).
والاستبرق الديباج الغليظ الذي له بريق، فهم يتصرفون في فاخر اللباس،
كما يتصرفون في لذيذ الطعام والشراب^(٤).
وقيل: الاستبرق له غلظ الصفاقة لا غلظ السلك، لا غلظ الديقي وإن
كان رقيق السلك^(٥).

١. قارن ١٠: ٢١٧.

٢. قارن ١٠: ٢١٨.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

السجود وضع الجبهة على الأرض على وجه الخضوع، وأصله الانخفاض كما قال الشاعر:

تري الأكم فيه سجداً للحوافر^(١)

والسجود من العبادة التي أكد الله الأمر بها، لما فيها من صلاح العباد^(٢).
قوله: ﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ قال ابن عباس: الأسر الخلق، وهو من قولهم: أسر هذا الرجل فأحسن أسره، أي خلق فأحسن خلقه، أي شدّ بعضه على بعض أحسن الشد^(٣).

وقال ابن زيد: الأسر القوة، وقوله: ((خذ بأسره)) أي بشده قبل أن يحل، ثم كثر حتى جاء بمعنى خذ جميعه^(٤)، قال الأخطل:

من كل مجتلب شديد أسره سلس القياد تخاله مختالاً^(٥)
وأصل الأسر الشد، ومنه قتب مأسور، أي مشدود، ومنه الأسير، لأنهم كانوا يشدونه بالقيد^(٦).

وقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ معناه: من شاء اتخذ إلى رضا ربّه طريقاً، بأن يعمل بطاعته وينتهي عن معصيته، وذلك يدلّ على أنّه قادر على ذلك قبل أن يفعله، بخلاف ما يقوله المجبّرة^(٧).

١. قارن ١٠: ٢٢٠، والشعر عجز بيت لزيد الخيل صدره ((بجمع تضلّ البلق في حجراته)) وهو من الشواهد في التفاسير.

٢. قارن ١٠: ٢٢٠.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٢٢٠، والبيت للأخطل كما في شرح ديوانه: ٣٨٨ ط دار الثقافة بيروت.

٦. قارن ١٠: ٢٢١.

٧. نفس المصدر.

وقوله: ﴿مَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي وليس تشاؤون شيئاً من العمل بطاعته وبما يرضاه، ويوصلكم إلى ثوابه، إلا والله يشاؤه ويريده، لأنه يريد من عباده أن يطيعوه^(١).

وليس المراد أن يشاء كل ما يشاؤه العبد من المعاصي والمباحات، لأن الحكيم لا يجوز أن يريد القبائح ولا المباحات، لأن ذلك صفة نقص، ويتعالى الله عن ذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ والمعصية والكفر من أعظم العسر، فكيف يكون الله تعالى شائئاً له؟ وهل ذلك إلا تناقض ظاهر^(٢).



١. نفس المصدر.

٢. قارن ١٠: ٢٢١، والآية في سورة البقرة: ١٨٥.

سورة المرسلات

قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا * فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا * وَالنَّشْرِتِ
نَشْرًا * فَالْفَرَقَاتِ فَرَقًا * فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا * عُذْرًا أَوْ نَذْرًا * إِنَّمَا تُوعَدُونَ
لَوَاقِعُ * فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ دُسِفَتْ
[وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتْ * لِأَيِّ يَوْمٍ أُخِّلَتْ * لِيَوْمِ الْفَصْلِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا
يَوْمُ الْفَصْلِ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ]﴾ الآيات: ١ - ١٥.

قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة وأبو صالح: المرسلات ها هنا
الرياح^(١).

وفي رواية أخرى عن ابن مسعود وأبي صالح: أنها الملائكة^(٢).

وقال قوم: ﴿الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ الأنبياء جاءت بالمعروف^(٣).

وقوله: ﴿عُرْفًا﴾ أي متتابعة كعرف الفرس و ﴿الْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ يعني،
الرياح الهابطة بشدة^(٤).

١. قارن ١٠: ٢٢٣.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

فصل

قوله: ﴿الَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾.

نصب ﴿كِفَاتًا﴾ على الحال، وتقديره: أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ لَكُمْ وَلَهُمْ كِفَاتًا^(١)، فالكفات: الضمام، قد جعل الله الأرض للعباد تكفتهم ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ أي تضمهم في الحالين، كفت الشيء يكفته كفتاً وكفاتاً، أي ضمّه، وقيل: كفاتاً وعاءاً هذا كفته أي وعاءه^(٢).

وقال الشعبي ومجاهد: فظهرها للأحياء وبطنها للأموات، وهو قول قتادة^(٣)، ونصب أحياءاً وأمواتاً على الحال، ويجوز على المفعول به^(٤).

فصل

قوله تعالى: ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ * أَنْطَلِقُوا إِلَى

ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْلَّهَبِ * إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَاصِرِ * كَأَنَّهُ جُمِلَتْ صُفُرٌ] وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ * وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ^ط جَمَعْتَكُمْ وَالْأَوَّلِينَ * فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا * وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ] الآيات: ٢٩ - ٤٠.

١. قارن: ١٠: ٢٢٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

قيل: معناه يتشعب من النار ثلاث شعب: شعبة فوقه، وشعبة عن يمينه، وشعبة عن شماله، فتحيط بالكافر^(١).

قوله: ﴿لَا ظَلِيلٌ﴾ معناه غير مانع من الأذى يستره عنه^(٢).

وقوله: ﴿كَالْقَصْرِ﴾ أي ذلك الشر كالقصر، أي مثله في عظمه وتخويفه يتطير على الكافرين من كل جهة، نعوذ بالله منها^(٣).

والقصر واحد القصور من البنيان، في قول ابن عباس ومجاهد^(٤).

وقال قتادة والضحاك: والقصر أصول الشجر، وأحدثه قصرة مثل جمرة وجمر، والعرب تشبه الابل بالقصور^(٥)، قال الأخطل:

كَأَنَّهُ بَرَجٌ رُومِيٌّ يَشِيدُهُ لُزْزٌ بِجَصٍّ وَآجَرٌ وَأَحْجَارٌ^(٦)

والقصر في معنى الجمع، إلا أنه على طريق الجنس، ثم شبه القصر بالجمال فقال ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ صُفْرٌ﴾ قال الحسن وفتادة: كأنها أثيق سود لما يعتري سوادها من الصفرة^(٧).

وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة: قلوس السفن، وجماليات جمع جمل، كرجل ورجالات وبيت وبيوتات^(٨).

١. قارن ١٠: ٢٣٠.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٢٣١.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر، والبيت في شرح ديوانه ٧٦ ط دار الثقافة.

٧. نفس المصدر.

٨. نفس المصدر.

وقوله: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿﴾ اخبار من الله تعالى أن ذلك اليوم لا ينطق الكافر، وقيل في معناه قولان:

أحدهما: أن ذلك اليوم مواطن، فموطن لا ينطقون لأنهم يلسون على هول ما يرونه، وموطن يطلق فيه عن ألسنتهم فينطقون، فلذلك حكى عنهم أنهم قالوا: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ فَاغْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾.

والثاني: أنهم لا ينطقون بنطق يتفعول به فكانهم لم ينطقوا^(١).

وقوله: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ يعني يفصل بين الخلائق بالحكم لكل أحد بما له وعليه، والفصل قطع علق الأمور بتوفية الحقوق، وهذا الفصل الذي هو فصل القضاء، يكون ذلك في الآخرة على ظاهر الأمر وباطنه، وأما في الدنيا فهو على ظاهر الأمر، لأن الحاكم لا يعرف البواطن^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْاٰمِتِّقِيْنَ فِيْ ظُلُلٍ وَعُيُوْنٍ﴾ * وَقَوَّكِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ * كُلُّوْا وَاشْرَبُوْا هٰنِيْئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ * اِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ [وَيْلٌ يُّوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِيْنَ * كُلُّوْا وَتَمَتَّعُوْا قَلِيْلًا اِنْكُمْ تُجْرِمُوْنَ * وَيْلٌ يُّوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِيْنَ * وَاِذَا قِيْلَ لَهُمْ اَرْكَعُوْا لَا يَرْكَعُوْنَ * وَيْلٌ يُّوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِيْنَ * فَبِاٰيٍ حَدِيْثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُوْنَ] الآيات: ٤١ - ٥٠.

١. قارن ١٠: ٢٣٢، والآية في سورة غافر: ١١.

٢. قارن ١٠: ٢٣٣.

فواكه وهي جمع فاكهة، وهي ثمار الأشجار التي من شأنها أن تؤكل، وقد يكون من الثمر ما ليس كذلك، كثمر المر فإنه ليس من الفاكهة^(١).
ثم قال تعالى لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ صورته صورة الأمر والمراد به الإباحة^(٢).

وقال قوم: هو أمر على الحقيقة، لأن الله تعالى يريد منهم الأكل والشرب في الجنة، وأنهم إذا عملوا ذلك زاد في سرورهم، فلا تكون ارادته لذلك عبثاً^(٣).

والهنئ هو الذي لا أذى فيه فيما بعد^(٤).

وقيل: الهنيئ النفع الخالص من شائب الأذى، والشهوة يعني في القلب إذا صادف المشتهي كان لذة، وضده النفار إذا صادفه كان ألماً^(٥).



١. قارن ١٠: ٢٣٤.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

سورة النبأ

قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۖ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۖ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۖ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ۖ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۚ وَخَلَقْنَاهُ أَزْوَاجًا ۖ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۖ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۖ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۖ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۖ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۖ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۖ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۖ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ الآيات: ١-١٦.

معنى ﴿كَلَّا﴾ زجر وردع، كأنه قال: ارتدعوا وانزجروا، وليس الأمر كما ظننتم، وقال قوم: معناه حقاً ستعلمون عاقبة أمركم^(١).

قوله: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي أشكالا كل واحد يشاكل الآخر^(٢).

وقيل: معناه ذكراً وأنثى حتى يصح منكم التناسل^(٣).

١. قارن ١٠: ٢٣٩.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ قيل: معنى ﴿سُبَاتًا﴾ أي نعاساً في أوله تطلب النفس الراحة به ^(١).

وقيل: معناه جعلنا نومكم راحة، وقيل: معناه جعلنا نومكم طويلاً ممتداً، تعظم به راحة أبدانكم، ومنه سبت من الدهر، أي مدة طويلة، والسبات قطع العمل للراحة ^(٢).

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أي متصرفاً للعيش، والعيش الانتعاش الذي تبقى معه الحياة على حال الصحة، والنهار اتساع الضياء في الآفاق، وأصله من أنهر الدم إذا وسع مجراه، ومنه النهر وهو المجرى الواسع من مجاري الماء، والانتهار الاتساع في الاغلاظ ^(٣).

وقوله: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ يعني: سبع سماوات وإنما جعلها سبع سماوات لما في ذلك من الاعتبار للملائكة، ولما في تصور الطبقات من عظم القدرة وهول تلك الأمور ^(٤).

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ يعني: الشمس جعلها الله سراجاً للعالم، والوهَّاج الوفَّاد، وهو المشتعل بالنور ^(٥).

وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: يعني الرياح كأنها تعصر السحاب، وقيل: هي السحاب تتحلب بالمطر، في قول الربيع ^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ١٠: ٢٤٠.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٢٤١.

٦. نفس المصدر.

وقوله: ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ أي بساتين ملففة بالشجر يخرجها الله تعالى لعباده بالمطر^(١).

والألفاف الاختلاط المتداخلة يدور بعضها على بعض واحدها لف، والمعاني الملففة المتداخلة باستتار بعضها ببعض حتى لا تبين إلا في خفي، وقيل: واحده لف ولفيف^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا * يَوْمَ يُفَخُّ فِي السُّورِ فَتَاتُونَ أَفْوَاجًا * وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا * وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا * إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّيْغِينَ مَنَابًا * لِّلْبِثِّينَ فِيهَا أَحْقَابًا * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَاءً وَفَاقًا * إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا * وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا * فَذُوقُوا فَلَنْ نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ الآيات: ١٧ - ٣٠.

الغساق صديد أهل النار، في قول إبراهيم وفتادة وعكرمة وعطية^(٣).

وقال أبو عبيدة: الغساق ماء وهو من الغسل أي سيال^(٤).

وقال غيره: هو البارد، وقيل: المنتن^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٢٤٢.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

والميقات منتهى المقدار المضروب، لوقت حدوث أمر من الأمور، وهو مأخوذ من الوقت، كما أن الميعاد من الوعد^(١).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ فالنفخ اخراج ريح الجوف من الفم، ومنه نفخ الزق، والنفخ في البوق، والصور قرن ينفخ فيه^(٢).
وقال الحسن: هو جمع صورة^(٣).

وقوله: ﴿لَا يَشِينُ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ أي ما كثر فيها أزماناً كثيرة، وواحد الأحقاب حقب، وإنما قال: ﴿لَا يَشِينُ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ مع أنهم مخلصون مؤبدون لأمرين^(٤):
أحدهما: أحقاباً لا انقضاء لها، إلا أنه حذف للعلم بحال أهل النار من الكفار بإجماع أهل الأمة عليه^(٥).

وقال ابن عباس: الحقب ثمانون سنة^(٦). وقال الحسن: سبعون سنة^(٧).
وقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾^(٨) قال أبو عبيدة: البرد ها هنا النوم، قال الكندي:

فيصدني عنها وعن قبلتها البرد^(٩)

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ١٠: ٢٤٣.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ١٠: ٢٤٤.

٧. نفس المصدر.

٨. نفس المصدر.

٩. نفس المصدر.

أي: النوم، فكأنهم لا ينامون من شدة ما هم فيه من العذاب^(١).

وقال الحسن: الجنة والنار مخلوقتان في الأيام الستة الأول، وهي الجنة التي سكنها آدم، وهي الجنة التي يسكنها المتقون في الآخرة، ثم يفنيها الله لهلاك الخلائق، ثم يعيدها فلا يفنيها أبداً^(٢).

وقال قوم: هما مخلوقتان ولا يفنيهما الله^(٣)، وقال آخرون: هما غير مخلوقتين^(٤)، والجنة التي كان فيها آدم جنة أخرى ليست جنة الخلد^(٥).

وقوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ معناه: وأحصينا كل شيء أحصيناه في كتاب، فلما حذف حرف الجر نصبه، وقيل: إنما نصبه لأن في ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ معنى كتبناه فكأنه قال: كتبناه كتاباً^(٦).

والوجه في إحصاء الأشياء في الكتاب، ما فيه من الاعتبار للملائكة بموافقة ما يحدث لما يقوم به الإثبات، مع أن تصور ذلك يقتضي الاستكثار من الخير والاجتهاد فيه، كما يقتضي إذا قيل للإنسان ما عمله فإنه يكتب لك وعليك^(٧).

فصل

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ١٠: ٢٤٥.

٧. قارن ١٠: ٢٤٦.

أَتْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذْبًا * جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ
عَطَاءً حِسَابًا * رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَوْمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ
مِنْهُ خِطَابًا * يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ
أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا * ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ
مُتَابًا * إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ
الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿الآيات: ٣١ - ٤٠﴾

الأتراب جمع ترب، وهي اللدة التي تنشأ ((مع لدتها)) على سن الصبي
الذي يلعب بالتراب فكأنه قيل: هم على سن واحدة ^(١).
قال قتادة: أتراباً يعني في سن واحدة ^(٢).

وقوله: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ الدهاق ملئ بشدة الضغط، والدهق شدة الضغط
في الكأس ملأى مترعة ^(٣).

وقوله: ﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾ أي بحساب العمل، كل إنسان على قدر عمله،
معناه عطاء كافياً من قولهم: أعطاني ما أحسبني أي ما كفاني، وحسبك أي
اكتف، وحسبي الله أي كفاني الله ^(٤).

١. ما بين القوسين من المصدر .

٢. قارن ١٠ : ٢٤٨ .

٣. نفس المصدر .

٤. نفس المصدر .

﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ فالصواب موافقة الغرض الحكمي، كأنه أصابه ذلك الغرض الذي تدعو إليه الحكمة، ونقيضه الخطأ وهو مخالفة الغرض الحكمي^(١).

﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ﴾ في ذلك اليوم ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ أي يتمنى أن لو كان تراباً، لا يعاد ولا يحاسب، ليتخلص من عقاب ذلك اليوم، لأنه ليس معه شيء يرجوه من الثواب^(٢).

وقيل: إن الله يحشر البهائم ويتتصف للجما من القرناء، فإذا أنصف بينهما جعلهما تراباً، فيتمنى الكافر عند ذلك ليته كان مثل ذلك تراباً^(٣).



١. قارن ١٠: ٢٤٩.

٢. قارن ١٠: ٢٥٠.

٣. نفس المصدر.

سورة النازعات

قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّيِّحَاتِ
سَبْحًا * فَالسَّيِّقَاتِ سَبَقًا * فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا * يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ
* تَتَّبِعُهَا الزَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ [أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ] * يَقُولُونَ
أَيْنَا لِمَرَدُّودُونَ فِي الْحَافِرَةِ * أَيْنَا كُنَّا عِظَمًا مَخْزَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ
خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ الآيات: ١ - ١٤.

معنى النازعات الملائكة تنزع الأرواح من الأبدان، فالنازعات الجاذبات
الشيء من أعماق ما هو فيه ^(١).

وقال الحسن وقتادة: هي النجوم أي تنزع من أفق السماء إلى أفق
آخر ^(٢).

﴿النَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ قيل: هي الخارجات من بلد إلى بلد بعيد الأقطار،
بنشاط كما ينشط الوحش بالخروج من بلد إلى بلد ^(٣).

١. قارن ١٠: ٢٥١.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٢٥٢.

وقال ابن عباس: هي الملائكة أي تنشط بأمر الله إلى حيث كان^(١).

وقال مجاهد: السابحات الملائكة، لأنها تسبح في نزولها من الله تعالى، كما يقال: الفرس يسبح في جريه إذا أسرع^(٢).

وقوله: ﴿إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ قال ابن عباس والسدي: الحافرة الحياة الثانية، وقيل: الحافرة الأرض المحفورة، أي ونرد في قبورنا بعد موتنا أحياء^(٣)، قال الشاعر:

أحافرة على صلع وشيب معاذ الله من جهل وطيش^(٤)

والحافرة الكائنة على حفر أول الكرة، يقال: رجع في حافرتي إذا رجع من حيث جاء، وذلك كرجوع الفهري، فردوا في الحافرة، أي ردوا كما كانوا أول مرة، ويقال: رجع فلان على حافرتي، أي من حيث جاء. وقولهم النقد عند الحافرة، معناه إذا قال: بعثك رجعت عليه بالثمن، وقال قوم: معناه النقد عند حافر الدابة^(٥).

وقوله: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ﴾ فالنكال عقاب ينكل به عن الأقدام على سببه بشدته نكل به تنكيلاً إذا شوّه به في عقابه، بما يكون زاجراً لغيره عن مثل جزائه أشد الزجر الذي يزعج النفس^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٢٥٤.

٤. قارن ١٠: ٢٥٤، والبيت من الشواهد في كتب التفسير واللغة ولم ينسب لشاعر باسمه، وورد العجز في بعض المصادر: معاذ الله من سفه وعار.

٥. قارن ١٠: ٢٥٤.

٦. قارن ١٠: ٢٥٨.

فصل

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ * أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّلَهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا [مَتَلَعًا لَّكُمْ وَلِأَنْتَعِمَ كُرًا] الآيات: ٢٦ - ٣٣.

قوله: ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ قال مجاهد والضحاك: أخرج نورها^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ قال مجاهد والسدي: معناه دحاها مع ذلك، كما قال: ﴿عُتِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾^(٢) أي مع ذلك، ومعنى ﴿دَحَاهَا﴾ بسطها دحا يدحو دحواً، قال أوس بن حجر:

ينفي الحصى عن جديد الأرض مترك كأنه فاحص أو لاعب داح^(٣)

فصل

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى * وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى * فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى [وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ]

١. قارن ١٠: ٢٦٠.

٢. قارن ١٠: ٢٦٠، والآية في سورة القلم: ١٣.

٣. قارن ١٠: ٢٦٠، والبيت لأوس بن حجر كما في ديوانه: ١٦ ط داري صادر وبيروت.

عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنُهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا * إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَىٰ * إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ خَشَعَتِهَا * كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى ۚ ﴿٣٤-٤٦﴾

المنذر النبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(١).

قال قوم: المنذر النبي ﷺ والهادي عليّ ﷺ، والطامة هي النفخة الثانية^(٢).



١. قارن ١٠: ٢٦٣، والآية في سورة الرعد: ٧.

٢. الحديث المشار إليه رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين ٣: ١٢٩ ورواه ابن جریر الطبری في تفسیره ١٣: ٧٢ والفخر الرازی في سورة الرعد الآیة ٨ وكذلك السيوطي في الدر المنثور وقال: أخرجه ابن مردويه وابن عساکر، وذكره الهیثمی في مجمع الزوائد ٧: ٤١ من حدیث عليّ وقال فيه: والهادي رجل من بني هاشم وكانه ﷺ كره التصريح باسمه، وهو يعني نفسه وذكره المناوي في كنوز الحقائق: ٤٢، والدیلمي في الفردوس، والشبلنجي في نور الأبصار: ٧٠ وغيرهم وغيرهم.

سورة عبس

قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ
يَزْكَى * أَوْ يَذْكُرُ فِتْنَعَهُ الذِّكْرَى * أَمْ مِّنْ أَسْتَفْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى *
وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكَى * وَأَمْ مِّنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ
تَلَهَّى﴾ الآيات: ١ - ١٠.

فقول الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ معناه قبض وجهه وأعرض، والعبس
تقبُّض الوجه بكره^(١).

وقوله: ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ معناه: عبس لأن جاءه الأعمى^(٢).

وقال ابن خالويه: تقديره إذ جاءه الأعمى^(٣).

والأعمى المراد به عبد الله بن أم مكتوم، في قول ابن عباس ومجاهد
وقتادة والضحاك وابن زيد^(٤).

١. قارن ١٠: ٣٦٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

واختلفوا في من وصفه الله تعالى بذلك، فقال كثير من المفسرين وأهل الحشو: إن المراد به النبي ﷺ، قالوا: وذلك أن النبي ﷺ كان مع جماعة من أشراف قومه ورؤسائهم قد خلا بهم، فأقبل ابن أم مكتوم ليسلم فأعرض النبي ﷺ عنه كراهية أن يكره القوم اقباله عليه، فعاتبه الله على ذلك ^(١).

وقيل: إن ابن أم مكتوم كان مسلماً، وإنما كان يخاطب النبي وهو لا يعلم أن رسول الله مشغول بكلام قوم، فيقول: يا رسول الله ويكرر به ^(٢).

وهذا فاسد، لأن النبي ﷺ قد أجل الله قدره عن هذه الصفات، وكيف يصفه بالعبوس والتقطيب من وصفه بأنه على خلق عظيم ^(٣)، وأنه لو كان فظاً غليظ القلب لانفضوا من حوله، وكيف يعرض عمن تقدم وصفه مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ ^(٤) ومن عرف النبي ﷺ وآله وحسن أخلاقه، وما خصه الله به من مكارم الأخلاق، وحسن الصحبة، حتى أنه قيل: أنه لم يصفح أحداً قط فنزع يده من يده، حتى يكون ذلك الذي ينزع يده منه ^(٥).

فمن هذه صفته كيف يقطب في وجه أعمى جاءه يطلب الإسلام، على أن الأنبياء ﷺ مترهون عن مثل هذه الأخلاق وعمّا هو دونها، لما في ذلك من التنفير عن قبول قولهم، والإصغاء إلى دعائهم، ولا يجوز مثل هذا على الأنبياء ﷺ من عرف مقدارهم وتبين صفتهم ^(٦).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. القلم: ٤.

٤. الأنعام: ٥٢.

٥. قارن: ١٠: ٢٦٨.

٦. قارن: ١٠: ٢٦٩.

وقال قوم: ان هذه الآيات نزلت في رجل من بني أمية كان واقفاً مع النبي صلى الله عليه وآله، فلما أقبل ابن أم مكتوم تقزز منه وجمع نفسه، وعبس في وجهه وأعرض بوجهه عنه، فحكى الله ذلك وأنكره معاتبه على ذلك^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ تقديره: قل له يا محمد: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾ وإنما أضاف العبوس إلى النبي من أضافه لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ فراه متوجهاً إليه ظن أنه عتب له، دون أن يكون متوجهاً إليه على أن يقول لمن فعل ذلك ويوبخه عليه^(٢).

وقوله: ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ أي تعرض عنه، والتلهي عن الشيء هو النزوع بالإعراض عنه، والتلهي به التروح بالإقبال عليه، ومنه قولهم: ﴿إذا استأثر الله بشيء فأله عنه﴾ أي اتركه وأعرض عنه^(٣).

قوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ في الآية دليل على بطلان مذهب المجبرة في أن القدرة مع الفعل، وأن المؤمن لا قدرة له على الكفر، وأن الكافر لا يقدر على الإيمان، لأنه تعالى بين أن من شاء أن يذكره ذكره لأنه قادر عليه^(٤).

قوله تعالى: ﴿فَأَقْبِرْهُ﴾ فالأقبار جعل القبر لدفن الميت فيه، يقال: أقبره إقبارةً والقبر الحفر المهيأ للدفن فيه، يقال: أقبرني فلاناً أي جعلني أقبره، فالمقبر هو الله تعالى يأمر عباده أن يقبروا الناس إذا ماتوا، والأقابر الدافن للميت بيده^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٢٧٠.

٤. قارن ١٠: ٢٧١.

٥. قارن ١٠: ٢٧٣.

قال الشاعر:

لو اسندت ميتاً إلى نحرها عاش ولم ينقل إلى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا يا عجباً للميت الناصر^(١)

فصل

قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعَيْنًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَيْكِهَةً وَابًّا * مَّتَعًا لَكُمْ وَلَئْتَعْمِكُمْ﴾
الآيات: ٢٤ - ٣٢.

القضب الرطبة، في قول الضحاك والفراء، وأهل مكة يسمون القت قضباً وأصله فيما يقطع رطباً^(٢).

والغلب جمع أغلب، وهي الغلاظ بعظيم الأشجار، شجرة غلباً إذا كانت غليظة، قال الفرزدق:

عوى فائزاراغلب ضيفمياً فويل ابن المراغة ما استناراً^(٣)

والأب المرعى من الحشيش وسائر النبات الذي ترعاه الأنعام والدواب، والأنعام الماشية بنعمة المشي من الإبل والبقر والغنم، بخلاف الحافر لشدة وطئه بحافره من الخيل والبغال والحمير^(٤).

١. قارن ١٠: ٢٧٤، والبيت في ديوان الأعشى: ٩٣ ط النموذجية بمصر.

٢. قارن ١٠: ٢٧٥.

٣. قارن ١٠: ٢٧٦، والبيت في ديوان الفرزدق ٢: ٤٤٣ ط الصاوي.

٤. قارن ١٠: ٢٧٦.

فصل

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْ الصَّاحَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَحْبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * وَوَجُوهُ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوَجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ الآيات: ٣٣ - ٤٢.

قوله: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ فالمرء هو الذكر من الناس وثانيه إمراة، والمعنى ان كل إنسان مكلف مشغول بنفسه لا يلتفت إلى غيره من صعوبة الأمر وشدة أهواله^(١).

ومعنى ﴿يُغْنِيهِ﴾ أي يكفيه من يأتي عليه، أي ليس فيه فضل لغيره، لما هو فيه من الأمر الذي قد اكتنفه، فصار كالغني عن الشيء^(٢).



١. قارن ١٠: ٢٧٧.

٢. قارن ١٠: ٢٧٨.

سورة التكوير

قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ الآيات: ١ - ١٤.

يقول الله تعالى مخبراً عن وقت حضور القيامة وحصول شدائدها: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ثم انفطرت، واللفظ وإن كان ماضياً فالمراد به الاستقبال، لأنه إذا أخبر الله تعالى بشيء فلا بد من كونه فكأنه واقع، والفعل الماضي يكون بمعنى المستقبل في الشرط والجزاء، وفي أفعال الله تعالى وفي الدعاء إذا تكرر، كقولك: حفظك الله وأطال بقاءك^(١).

ومعنى ﴿كُوِّرَتْ﴾ في قول ابن عباس وأبي بن كعب ومجاهد وقتادة والضحاك: ذهب نورها^(٢).

والتكوير تلفيف على جهة الاستدارة، ومنه كور العمامة ومنه الكارة ويقال: كورت العمامة على رأسي أكورها كوراً وكورتها تكويراً^(٣).

١. قارن ١٠: ٢٨٠.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

وقوله: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ فالانكدار انقلاب الشيء حتى يصير الأعلى الأسفل بما لو كان ماء لتكدر، وقيل: أصل الانكدار الانصباب، قال العجاج:

أبصر خربان فضاء فانكدر^(١)

وقوله: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ فالعشار جمع عشراء، وهي الناقة التي قد أتى عليها عشرة أشهر من حملها، وهو مأخوذ من العشرة، والناقة إذا وضعت لتمام فهي مسنة^(٢).

وقال الفراء: العشار لقح الإبل عطّلها أهلها لاشتغالهم بأنفسهم^(٣).

وقال الجبائي: معناه أن السحاب يعطل ممّا يكون فيها من المياه التي ينزلها الله على عباده في الدنيا^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ معناه: ملئت ناراً كما يسجر التنور، وأصل السجر الملء^(٥)، قال لبيد:

فتوسطا عرض السري وصدعا مسجورة متجاوز قلامها^(٦)

أي: مملوءة، ومنه ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾^(٧).

١. قارن ١٠: ٢٨١، والرجز للعجاج كما في ديوانه: ٢٩ رواية الأصمعي تحال دكتور عزة حسن.

٢. قارن ١٠: ٢٨١.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٢٨٢.

٦. قارن ١٠: ٢٨٢، والبيت في ديوان لبيد: ٣٠٧ ط الكويت.

٧. قارن ١٠: ٢٨٢، والآية في سورة الطور: ٦.

وقوله: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ﴾ فالموؤدة المقتولة بدفنها حية، فكانت العرب تشد البنات خوف الإملاق، وعلى هذا جاء قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾^(١) وقيل: موؤدة للثقل الذي عليها من التراب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتُودَةُ حِفْظُهُمَا﴾^(٢) أي لا يثقله، قال الفرزدق:

ومنا الذي منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم يوؤد^(٣)

وإنما تسأل الموؤدة على جهة التوبيخ لقاتلها، وهو أبلغ من سؤاله، لأن هذا مما لا يصلح إلا بذنوب، وأي ذنب كان لك، فإذا ظهر أنه لا ذنب لها جاءت الطامة الكبرى على قاتلها^(٤).

وقوله: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ فالكشط القلع عن شدة التراق، والكشط والقشط واحد^(٥).

قوله: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُرْلِفَتْ﴾ أي قربت من أهلها يوم القيامة، فالازلاف ادناء ما يجب، ومنه الزلفة القرية، ومنه المزلفة لأنها قريبة من مكة^(٦).

فصل

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ إِذْ يَفُوتُ عِنْدَ

١. قارن ١٠: ٢٨٢، والآية في سورة الأنعام: ١٥١.

٢. البقرة: ٢٥٥.

٣. ديوان الفرزدق / ت ١ / ٢٠٣ ط الصاوي.

٤. قارن ١٠: ٢٨٣.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ١٠: ٢٨٤.

ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفْقَى الْأَيْمَنِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥-٢٩﴾

الخنس جمع خانس، وهو الغائب عن طلوع، خنست الوحشية في الكناس إذا غابت فيه بعد طلوع^(١).

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أن الخنس النجوم لأنها تخنس بالنهار وتبدو بالليل^(٢).

وقيل: تخنس في مغيبها بعد طلوعها، وبه قال الحسن ومجاهد، وقال ابن مسعود وإبراهيم: هم بقر الوحش^(٣).

والجارية النجوم السيارة، والجارية السفن في البحر، والجارية المرأة الشابة^(٤).

وقوله: ﴿الْكُنُسُ﴾ نعت للجوار، وهو جمع كناس، وهي الغيب في مثل الكناس، وهو كناس الوحشية بيت تتخذه من الشجر تختفي فيه، قال طرفة: كأن كناسي ضالة يكتفانها وأطرقسي تحت صلب مؤيد^(٥)

١. قارن ١٠: ٢٨٥.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٢٨٥.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٢٨٥، والبيت في ديوان طرفة: ٧٥ ط برطند سنة ١٩٠٠.

ومعنى ﴿عَسَسَ﴾ أدبر بظلامه، في قول أمير المؤمنين عليه السلام وابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد^(١). قال علقمة بن قرط:

حتى إذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسسا^(٢)

والأفق ناحية من السماء، وفلان ينظر في آفاق السماء، وقال الحسن وقتادة: الأفق المبين حيث تطلع الشمس^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٌ﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير وإبراهيم والضحاك: معناه ليس على وحي الله وما يخبر من الأخبار بمتهم، أي ليس ممن ينبغي أن يظن به الريبة، لأن أحواله ناطقة بالصدق والأمانة، ومن قرأ بالضاد معناه ليس ببخيل على الغيب^(٤).

وقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ قيل في معناه ثلاثة أقوال^(٥):

أحدها: وما تشاؤون من الاستقامة إلا وقد شاءها الله، لأنه قد جرى ذكرها، فرجعت الكناية إليها، ولا يجوز أن يشاء العبد الاستقامة إلا وقد شاءها الله، لأنه أمر بها، ورغب فيها أتم الترغيب، ومن ترغبه فيه إرادته له^(٦).

١. قارن ١٠: ٢٨٥.

٢. قارن ١٠: ٢٨٥، والرجز لعلقمة بن قرط كما في تفاسير الطبري والقرطبي وابن عطية والطبرسي وأبي حيان.

٣. قارن ١٠: ٢٨٧.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٢٨٨.

٦. نفس المصدر.

والثاني: وما تشاؤون شيئاً إلا أن يشاء الله يمكنكم منه، لأن الكلام يقتضي الاقتدار على تمكينهم إذا شاء ومنعهم إذا شاء^(١).

والثالث: وما تشاؤون إلا أن يشاء الله أن يلفظ لكم في الاستقامة، لما في الكلام من معنى النعمة^(٢).

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: شيبني هود وأخواتها الواقعة وإذا الشمس كورت، وهو جميع ما وعظ الله به عباده^(٣).

فإن قيل: أليس أنس لما سئل هل اختضب رسول الله ﷺ فقال: ما شأنه الشيب، فقال: أو شين هو يا أبا حمزة؟ فقال: كلكم يكرهه^(٤). قيل عنه جوابان:

أحدهما: أنه روي أن علياً عليه السلام لما غسل رسول الله ﷺ وجد في لحيته شعرات بيضاء، وما لا يظهر إلا بعد التفتيش لا يكون شيئاً^(٥).

والثاني: أنه أراد لو كان أمر يشيب منه إنسان لشبت من قراءة ما في هذه السور وما فيها من الوعيد^(٦).



١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. أخرجه الطبراني في مجمع الزوائد ٧: ٣٧.

٤. والخبر في مجمع البيان للطبرسي ١٠: ٢٧٣ ولم أقف عليه في غيره.

٥. قارن ١٠: ٢٨٩.

٦. قارن ١٠: ٢٨٩.

سورة الإنفطار

قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ *
وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ
وَأَخَّرَتْ * يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَّا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ [الَّذِي خَلَقَكَ
فَسَوَّلَكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ * كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ
بِالدِّينِ * وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَّا تَفْعَلُونَ]﴾
الآيات: ١ - ١٢.

قوله: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ أي خرق بعض مواضع الماء إلى بعض،
يقال: فُجِّرَ الأنهار يفجِّرها تفجيراً، ومنه الفجر لانفجاره بالضياء، ومنه الفجور
لانحراف صاحبه بالخروج إلى كثير من الذنوب^(١).
وقال قتادة: معنى فُجِّرَتْ أي تفجَّر عذبتها في مالحتها، ومالحتها في
عذبتها^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ معناه بَحِثَتْ^(٣).

١. قارن ١٠: ٢٩٠.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

ومعنى: ﴿مَا قَدِّمْتُ وَأَخَّرْتُ﴾ ما أخذت وتركت ممّا يستحق به
الجزاء^(١).

وقيل: معناه كلّ ما يستحق به الجزاء، ممّا كان في أول عمره أو آخره^(٢).
وقيل: معناه ما قدّمت من عملها وما أخّرت من سنّة سنّتها يعمل بها،
ذكره القرطبي^(٣).

وقال ابن عباس وقتادة: معناه ما قدّمت من طاعة أو تركت^(٤).
وقيل: ما قدّمت وأخّرت من إحسان أو إساءة إذا قرأ كتابه وجوزي
بعمله.

والغرور: ظهور أمر يتوهم به جهل الأمان من المحذور^(٥).
وقوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ فالصورة البنية التي تميل
((إلى مماثلة الحكاية))^(٦) بالتأليف.

وقال مجاهد: معناه في أي صورة ما شاء ركبك من شبه أب أو أم أو
خال أو عم^(٧).

وقال قوم: معناه في أي صورة ما شاء ركبك من ذكر أو أنثى، وجسيم
أو نحيف، وطويل أو قصير، ومستحسن أو مستقبح^(٨).

١. قارن ١٠: ٢٩١.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. قارن ١٠: ٢٩١، وما بين القوسين من المصدر.

٧. نفس المصدر.

٨. نفس المصدر.

ومن قال: الإنسان غير هذه الجملة استدلّ بقوله: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ قالوا: لأنه بين أنه يركب القابل في أي صورة شاء، فدلّ على أنه غير الصورة^(١).

وقد بينا القول في تأويل ذلك، على أن عندهم أن ذلك الحي لا يصحّ عليه التركيب، والله تعالى بين أنه يركبه كيف شاء وفي أي صورة شاء^(٢)، وذلك خلاف مذهبهم.

وقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ أي لا يخفى عليهم شيء من الذي يعملونه، فيثبتون ذلك كله^(٣).

وقيل: إن الملائكة تعلم ما يفعله العبد اما باضطرار، كما تعلم أنه يقصد إلى خطابنا وأمرنا ونهينا^(٤).

وأما باستدلال إذا رآه وقد ظهر منه الأمور التي لا يكون إلا عن علم وقصد، من نحو التحري في الوزن والكيل، ورد الوديعة، وقضاء الدين^(٥).

وقال الحسن: يعلمون ما تفعلون من الظاهر دون الباطن^(٦)، وقيل: بل هو على ظاهر العموم، لأن الله تعالى يعلمهم إياه^(٧).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

فصل

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا * وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ الآيات: ١٣ - ١٩.

أخبر تعالى بأنّ الفجار وهم الذين خرجوا عن طاعة الله إلى معصيته، والمراد به ها هنا الكفار لفي جحيم، جزاءً على كفرهم ومعاصيهم^(١).

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ يعني لا يكونون غائبين عن الجحيم بل يكونون مؤبدين فيها^(٢)، وليس يدل ذلك على أنّ فساق أهل الملة لا يخرجون من النار، لأنّا بينّا أنّ الآية مخصوصة بالكفار من حيث بينّا في غير موضع أنّ معهم ثواباً دائماً على إيمانهم لم ينحبط لبطلان القول بالإحباط، فاذن لا بدّ من إخراجهم من النار ليقوّوا ثوابهم^(٣).



١. قارن ١٠: ٢٩٣.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

سورة المطففين

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الآيات: ١-٦.

﴿وَيْلٌ﴾ كلمة موضوعة للوعيد والتهديد، ويقال ذلك لمن وقع في هلاك وعقاب^(١).

وقيل: إن وَيْلاً واد في جهنم قعره سبعون سنة^(٢).

والمطفف المقلل حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل أو وزن، والتطفيف النزر القليل، وهو مأخوذ من طف الشيء، وهو جانبه، والتطفيف التنقيص على وجه الخيانة في الكيل أو الوزن^(٣).

فصل

قوله: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ [الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ] *

١. قارن ١٠: ٢٩٥.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٧﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٩﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿٢١﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ [الآيات: ٧-١٧].

قوله: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ﴾ يعني كتابهم الذي فيه ثبت أعمالهم من المعاصي والفجور ﴿لَفِي سَجِينٍ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: يعني في الأرض السابعة السفلى، وهو قول الضحاك^(١).

وقال مجاهد: تحت صخرة في الأرض السابعة السفلى^(٢).

وروي في الخبر ((أَنَّ سَجِينَ جَب فِي جَهَنَّمَ))^(٣)، وقال أبو عبيدة: سجين شديد وأنشد:

ضرباً توأصى به الأبطال سجيناً^(٤)

يعني شديداً فكأنه كشد السجن.

وقوله: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ فواحد الأساطير أسطورة، مثل أحدىثة وأحاديث.

١. قارن ١٠: ٢٩٨.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٢٩٨، والخبر في تفسير الطبري والرازي وابن عطية وغيرهم عن أبي هريرة مرفوعاً قال: سَجِينَ جَبَ فِي جَهَنَّمَ.

٤. قارن ١٠: ٢٩٨ والشعر عجزيت لثميم بن مقبل وصدرة ((ورجلة يضربون البيض ضاحية)) راجع صحيح البخاري ٥: ٢١٣ ط دار الفكر، وورد في تفسير الطبري ١٢: ١٢٣ ط دار الفكر بلفظ ضرباً توأصى به الأبطال سَجِيلاً، والبيت في قصيدة نونية.

وقيل: معناه أباطيل الأولين، وقيل: معناه هذا ما سطره الأولون أي كتبوه ولا أصل له^(١).

ثم قال: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ومعناه ليس الأمر على ما قالوه، بل غلب على قلوبهم، يقال منه رانت الخمر على عقله، ترين ريناً إذا سكر فغلبت، فالرین غلبة السكر على القلب^(٢)، قال أبو زيد الطائي:

ثم لما رآه رانت به الخمر وأن لا يرينه باتقواء^(٣)
يرينه أي مخافة أن يسكر فهي لا تبقيه.

فصل

قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيْنَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا

عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ * إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَمُهُ مِسْكَ * وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَّافْسٍ الَّتِي نَفَسْوَ * وَمَرَّاجُهُ * مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ الآيات: ١٨ - ٢٨.

قوله: ﴿عِلِّيِّينَ﴾ أي مراتب عالية محفوفة بالجلالة، وجمعت بالواو والنون تشبيهاً بما يعقل في الفضل وعظم الشأن^(٤).

١. قارن ١٠: ٢٩٩.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٢٩٩، والشعر في اللسان (ران) وهو من الشواهد في تفاسير الطبري والقرطبي وابن عطية وأبي حيان وغيرهم وفي شعراء إسلاميون، شعر أبي زيد: ٥٨٢.

٤. قارن ١٠: ٣٠١.

وقال ابن عباس: العليّون الجنة^(١).

وقال كعب وقتادة ومجاهد والضحاك: أرواح المؤمنين في السماء السابعة^(٢).

وقال الضحاك: - في رواية - عليّون سدرة المنتهى، وهي التي ينتهي إليها كل شيء من أمر الله تعالى^(٣).

وقيل: عليّون علواً على علو مضاعف، ولهذا جمع بالواو والنون تفخيماً لشأنه^(٤)، قال الشاعر:

وأصبحت المذاهب قد أذاعت به الأعصار بعد الوابلينا^(٥)

يريد مطراً بعد مطر غير محدود العدد، وكذلك تفخيم شأن العدد الذي ليس على الواحد، نحو ثلاثين إلى تسعين، وجرت العشرون عليه^(٦).

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ قال ابن عباس: الأرائك الأسرة^(٧).

وقال مجاهد: هي من اللؤلؤ والياقوت^(٨) واحداً أريكة، وهو سرير في حجلة، ينظرون إلى ما أعطاهم الله من الملك والكرامة، والحجلة كالثقبة على الأسرة^(٩).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٣٠٢، والبيت لم أعرف قائله، وهو من شواهد مجمع البيان للطبرسي.

٦. قارن ١٠: ٣٠٢.

٧. نفس المصدر.

٨. نفس المصدر.

٩. نفس المصدر.

والرحيق: الخمر الصافية الخالصة من كل غش^(١).

قال الخليل: هي أفضل الخمر وأجودها^(٢)، قال حسان:

يسقون من ورد البريص عليهم برداً يصفق بالرحيق السلسل^(٣)

وقوله: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ قيل في معناه قولان^(٤):

أحدهما: أن مقطعه مسك بأن يوجد ريح المسك عند خاتمة شربه، ذكره

ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك^(٥).

الثاني: أنه ختم اناؤه بالمسك بدل الطين الذي يختم بمثله الشراب في

الدنيا ذكره مجاهد وابن زيد^(٦).

قوله: ﴿وَمِرْأَجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ فالمزاج خلط المائع بالمائع، والتسним عين

ماء يجري من علو إلى أسفل، يتسمن عليهم من الغرف، واشتقاقه من السنام^(٧).

قال ابن عباس: التسنيم أشرف شراب في الجنة^(٨).

وقال عكرمة: من تشريف^(٩)، ويقال: سنام البعير لعلوه من بدنه^(١٠).

١. نفس المصدر.

٢. قارن ١٠: ٣٠٣.

٣. قارن ١٠: ٣٠٣، والبيت في ديوان حسان: ٢٠٩ جمع البرقوقي ط المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٣٠٣.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

٨. نفس المصدر.

٩. نفس المصدر.

١٠. نفس المصدر.

قوله: ﴿انْقَلَبُوا فَاَكِيهِنَ﴾ أي لاهين، ومن قرأ ﴿فَكِيهِنَ﴾ أراد مرحين معجبين بجمالهم^(١).

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ يعني الكفار إذا رأوا المؤمنين في دار الدنيا ﴿قَالُوا﴾ يعني بعضهم لبعض ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ وأشاروا به إلى المؤمنين ﴿لَضَالُّونَ﴾ عن طريق الحق وعادلون عن الاستقامة^(٢).

فقال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ أي لم يرسل هؤلاء الكفار حافظين على المؤمنين، فيحفظون ما هم عليه، والمراد بذلك الذم لهم بغيب المؤمنين بالضلال من غير أن كلّفوا منعهم من المراد^(٣).

قوله تعالى: ﴿هَلْ تُؤْتِبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ قيل في معناه قولان: أحدهما: هل جوزي الكفار إذا فعل بهم هذا الذي ذكر بما كانوا يفعلون، الثاني: ينظرون هل جوزي الكفار، فيكون موضعه نصباً بـ ﴿يَنْظُرُونَ﴾^(٤).



١. قارن ١٠: ٣٠٤.

٢. قارن ١٠: ٣٠٥.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ١٠: ٣٠٦.

سورة الانشقاق

قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا
الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَخَخَلَّتْ * وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * يَتَأْتِيهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ * فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ
بِيمِينَةٍ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا [وَيُنْقَلَبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا]﴾
الآيات: ١ - ٩.

قوله: ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد،
وقتادة معناه: سمعت وأطاعت، أي كأنها سمعت باذن، وأطاعت بانقياد لتدبير الله
تعالى^(١)، تقول العرب: أذن لك هذا الأمر اذنًا، بمعنى أسمع لك، قال عدي بن زيد:
أيها القلب تعلل بددن ان همي في سماع وأذن^(٢)

وقال آخر:

صم إذا سمعوا خيراً ذكرتُ به وان ذكرتُ بسوء عندهم أذن^(٣)

١. قارن ١٠: ٣٠٨.

٢. قارن ١٠: ٣٠٨، والبيت في ديوان عدي بن زيد: ١٧٢ جمع المعيد وهو من الشواهد في اللسان
(ززا) وأمالى المرتضى ١: ٣٣، وتصحيفات المحدثين ١: ٣٥٦، وغريب الحديث لابن سلام ٢: ١٣٩.

٣. قارن ١٠: ٣٠٨، والبيت في اللسان والتاج (أذن) وقائله ابن أم صاحب الغطفاني كما في شرح درة
الغواص: ١٣٠.

أي: سمعوا. وقال عدي بن زيد:

في سماع يأذن الشيخ له وحديث مثل ما ذِيّ مشار^(١)

وقيل: إن معنى ﴿وَحَقَّتْ﴾ حق لها أن تأذن بالانقياد لأمر ربها، يقال: حق له أن يكون على هذا الأمر، بمعنى جعل ذلك حقاً^(٢).

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ الكدح السعي الشديد في الأمر، يقال: كدح الانسان في أمره يكدح كدحاً، وفيه كدوح وخدوش، أي آثار من شدة السعي في الأمر^(٣).

ومعنى ﴿كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾ أيها الإنسان، إنك ساع في أمرك بشدة ومشقة، إلى أن تلقى جزاء عملك من ربك، فأنت لا تخلو في الدنيا من مشقة، فلا تعمل لها، واعمل لغيرها فيما تصير به إلى الراحة من الكدح^(٤).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَأَى ظَهْرَهُ * فَسَوْفَ

يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ

أَنْ لَنْ يَخُورَ * بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ الآيات: ١٠ - ١٥.

١. قارن ١٠: ٣٠٨.

٢. قارن ١٠: ٣٠٨، والبيت في ديوان عدي بن زيد: ٩٥ جمع المعبد، وهو من الشواهد اللغوية في التفاسير وكتب اللغة والأدب، راجع أمالي المرتضى ٢: ١١، والفايق للزمخشري ١: ٢٨، ومفردات الراغب الاصبهاني: ٢٧٠ وغيرها.

٣. قارن ١٠: ٣٠٩.

٤. نفس المصدر.

لما ذكر الله تعالى حُكْمَ مَنْ يُعْطَى كِتَابَهُ يَمِينُهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلَ الطَّاعَاتِ، وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنْ أَنْوَاعِ النِّعَمِ، وَانْقِلَابَهُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً، ذَكَرَ حُكْمَ الْكَفَّارِ الَّذِينَ يُعْطُونَ كِتَابَ أَعْمَالِهِمْ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ^(١).

وروي أنه يخرج شماله من ظهره ويعطى كتابه منه.

والوجه في ذلك ما قدّمناه من كون ذلك إمارة للملائكة والخلائق أنه من أهل النار، كما أن إعطاء الكتاب ((باليمين علامة)) على أنه من أهل الجنة ^(٢).

ثم حكى ما يحل به فقال: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾ فالثبور الهلاك أن يقول: واهلاكاه، والمثبور الهالك ^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ * فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ * فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الآيات: ١٦ - ٢٥].

١. قارن ١٠: ٣١٠.

٢. قارن ١٠: ٣١٠، وما بين القوسين من المصدر.

٣. قارن ١٠: ٣١٠.

قيل: معنى ﴿وَسَقَ﴾ جمع إلى مسكنه ما كان منتشرًا بالنهار في متصرفه، يقال: وسقته أسقه وسقاً إذا جمعته، وطعام موسوق أي مجموع في الغرائر والأوعية، والوسق الطعام المجتمع، وقدره ستون صاعاً^(١).

وقوله: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ معناه منزلة عن منزلة، وطبقة عن طبقة، وذلك أن من كان على صلاح دعاه إلى صلاح فوقه، ومن كان على فساد دعاه إلى فساد فوقه، لأن كل شيء يحن إلى شكله^(٢).

وقيل: معنى ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ جزاء عن عمل، وقيل: معناه شدة عن شدة^(٣).



١. قارن ١٠: ٣١٣.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

سورة البروج

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَهِيدٍ * وَمَشْهُودٍ * قَتَلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا * بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ * وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ الآيات: ١ - ١٠.

قوله: ﴿وَشَهِيدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ فالشاهد هو النبي، والمشهود يوم القيامة، في قول الحسن بن علي عليه السلام، وتلا قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(١) وقال: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾^(٢) وهو قول ابن عباس وسعيد بن المسيب^(٣).

١. النساء: ٤١.

٢. هود: ١٠٣.

٣. قارن ١٠: ٣١٦.

وقال قتادة: الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة، وروي ذلك في أخبارنا^(١).

وقال الجبائي: الشاهد هم الذين يشهدون على الخلائق، والمشهود هم الذين يشهدون عليه^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ جَنَّاتُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ * إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ * وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ * ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ [فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ * هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ * وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ * بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ]﴾ الآيات: ١١-٢٢.

البطش: الأخذ بالعنف، بطش به يبطش ببطشاً^(٣).

وقوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ أي كريم، فالمجيد الكريم العظيم الكريم بما يعطي من الخير، فلما كان القرآن يعطي المعاني الجليلة، والدلائل

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٣٢٠.

النفيسة، كان كريماً مجيداً بما يعطي من ذلك^(١).

ويقال: مجدت الابل، تمجد مجوداً، إذا رعيها فرعت وشبعت ولا فعل لك، وأمجدتها أمجاداً إذا أشبعتها من العلف وملأت بطونها ولا فعل لها في ذلك^(٢).

وفي المثل ((في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار)) ومعناه كثر ناره لأنه ليس في الشجر أكثر ناراً من العفار^(٣).



١. قارن ١٠: ٣٢١.

٢. قارن ١٠: ٣٢٠.

٣. نفس المصدر.

سورة الطارق

قوله تعالى: ﴿وَالسَّهَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ * إِنَّ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ * فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۚ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ * فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ الآيات: ١ - ١٠.

الثاقب المضئ المنير، وثقوبه توقده تنوره، تقول العرب: أثقبت نارك أي أشعلها حتى تضيئ^(١).

قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ فالصلب هو الظهر، والترائب جمع تريبة، وهو موضع القلادة من صدر المرأة، في قول ابن عباس، وهو مأخوذ من تذليل حركتها كالتراب^(٢).

قال المثقّب:

ومن ذهب يشن على تريب كلون العاج ليس بذئ غصون^(٣)
وقال آخر:

والزعفران على ترائبها شرقا به اللبات والصدر^(٤)

١. قارن ١٠: ٣٢٣.

٢. قارن ١٠: ٣٢٤.

٣. قارن ١٠: ٣٢٤، والبيت في ديوان المثقّب العبدى: ٣٢ ط المعارف بغداد.

٤. قارن ١٠: ٣٢٤، والبيت للمخيل السعدي كما في تفسير القرطبي ٢٠: ٥.

فصل

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ * إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ * وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ * إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهْلِلِ الْكَافِرِينَ أَهْلَهُمْ زُوَيْدًا﴾ الآيات: ١١ - ١٧.

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك: ذات الرجع ذات المطر^(١)، وقال ابن زيد: يعني شمسها وقمرها ونجومها تغيب ثم تطلع^(٢)، وقيل: رجع السماء اعطاؤها الخير الذي يكون من جهتها حالاً بعد حال^(٣)، وقيل: الرجع الماء لكثرة تردده بالرياح^(٤)، قال المنخل في صفة السيف:

أبيض كالرجع رسوب إذا ما ثاخ في محتفل يختلي^(٥)
وقوله: ﴿ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ بالنبات: يصدع الأرض انشقاقها بالنبات لضروب الزروع^(٦).

قوله: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أي: أجازيهم على كيدهم، وسمي الجزاء على الكيد باسمه لازدواج الكلام^(٧).



١. قارن ١٠: ٣٢٦.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٣٢٦، والبيت للمتخلل البشكري يصف سيفاً له كما في صحاح الجوهري (نوخ) فتح القدير للشوكاني ٥: ٤٢٠.

٦. قارن ١٠: ٣٢٦.

٧. نفس المصدر.

سورة الأعلى

قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى *
وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى * وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى * فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى *
سُقَّرْتُكَ فَلَا تَنْسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ [إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى *
وَنُيْسِرُكَ لِلْإِسْرَى * فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى * سَيَذَكِّرْ مَنْ تَخَشَى]﴾
الآيات: ١ - ١٠.

الغناء: ما يقذف به السيل على جانب الوادي من الحشيش والنبات،
والأحوى الأسود، والحوة السوداء^(١)، قال ذو الرمة:

لمياء في شفيتها حوة لعس وفي اللثات وفي أنيابها شنب^(٢)

وقوله: ﴿سُقَّرْتُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ معناه: سنأخذ عليك قراءة القرآن فلا تنسى
ذلك، والنسيان ذهاب المعنى عن النفس بعد أن كان حاضراً لها، ونقيضه الذكر
ومثله السهو، يقال: نسي ينسى نسياناً^(٣).

١. قارن ١٠: ٣٢٩.

٢. قارن ١٠: ٣٢٩، والبيت في ديوان ذي الرمة ج ١: ٣٢ ط مجمع اللغة العربية بدمشق.

٣. قارن ١٠: ٣٣٠.

وقيل: ﴿فَلَا تَنْسَى﴾ * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴿أن تنساه برفع حكمه وتلاوته، في قول الحسن وقتادة^(١)﴾.

وقيل: معنى ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أي ما شاء نسيانه مما لا يكلف القيام بأدائه، لأن التكليف مضمّن بالذكر^(٢).

وقوله: ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ معناه: سيعتظ وينتفع بدعائك وذكرك من يخاف الله ويخشى عقابه، لأنه من لا يخافه لا ينتفع بها^(٣).

فصل

قوله تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى * الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا [وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى]﴾ الآيات: ١١ - ١٩.

قال الحسن: النار الكبرى نار جهنم، والنار الصغرى نار الدنيا^(٤).

وقال الفراء: النار الكبرى التي في الطبقة السفلى من جهنم^(٥).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٣٣١.

٤. قارن ١٠: ٣٣٢.

٥. نفس المصدر.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾ معناه: ان هذا الشقي لا يموت في النار، فيتخلص من العذاب، ولا يحيى حياة له فيها للذة، بل هو في ألوان العذاب وفنون العقاب^(١).

وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ معناه: قد فاز من تزكى، يعني صار زاكياً بأن عمل الطاعات، في قول ابن عباس والحسن، وذكر اسم الله على كل حال، وصلى على ما أمره الله به^(٢).

((ثم قال: بل هؤلاء الكفار يؤثرون، أي يختارون الحياة الدنيا على الآخرة، بأن يعملوا للدنيا ولا يعملوا للآخرة))^(٣).



١. نفس المصدر.

٢. قارن ١٠: ٣٣٣.

٣. قارن ١٠: ٣٣٣، وما بين القوسين من المصدر.

سورة الغاشية

فصل

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وَجُوهُ يُومَدُ خَشِيعَةً * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آيَةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ [وَجُوهُ يُومَدُ نَاعِمَةً * لَسَعِيهَا رَاضِيَةً * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ]﴾ الآيات: ١ - ١٠.

معنى ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ قد أتاك يا محمد ﴿حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾^(١).

قال ابن عباس وقتادة والحسن: الغاشية القيامة تغشى الناس بالأهوال^(٢)، وقال سعيد بن جبير: الغاشية النار تغشى وجوه الكفار بالعذاب^(٣).

وقوله: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ قال الحسن: معناه لم تعمل لله في الدنيا فأعملها في النار.

١. قارن ١٠: ٣٣٤.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

وقال قوم: معناه عاملة ناصبة في الدنيا بما يؤذيها إلى النار، وهو ممّا اتصلت صفتهم في الدنيا بصفاتهم في الآخرة، ومعنى الناصبة والنّصبة التبعة، وهي التي أتبعها الانتصاب للعمل، يقال: نصب الرجل ينصب نصباً إذا تعب في العمل^(١).

والضريع نبات تأكله الإبل يضر ولا ينفع كما وصفه الله، وقيل: الضريع الشبرق^(٢).

فصل

قوله تعالى: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَّةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزُرَابِي مَبْثُوثَةٌ﴾ [أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ] الآيات: ١١ - ٢٠.

الأكواب كالأباريق لا عرى لها ولا خراطيم، وهي آنية تتخذ للشراب، والنمارق الوسائد واحداً نمرقة، والزرابي البسط الفاخرة واحداً زريبة^(٣).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٣٣٦.

ثم نبّه على الأدلة التي يستدلّ بها على توحيده ووجوب اخلاص
 العبادة له، فقال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾ أي أفلا يتفكرون بنظرهم ﴿إِلَى الْإِبْرَةِ﴾
 ويعتبرون ما خلقه الله عليه من عجيب الخلق، ومع عظمه وقوته ذلك للصبي
 الصغير، فينقاد له بتسخير الله له، ويبركه ويحمل عليه ثم يقوم، وليس ذلك في
 شيء من الحيوان^(١).



سورة الفجر

قوله: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْتَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾
الآيات: ١ - ١٤.

الفجر: شق عمود الصبح، فجره الله لعباده يفجره فجراً إذا أظهره في أفق المشرق، يادبار الليل المظلم وإقبال النهار المضئ^(١).

والفجر فجران: أحدهما الفجر المستطيل، وهو الذي يصعد طويلاً كذنب السرحان ولا حكم له في الشرع، والآخر: هو المستطير ينتشر في أفق السماء، وهو الذي يحرم عنده الأكل والشرب ويوجب الصوم في شهر رمضان، وهو ابتداء اليوم^(٢).

١. قارن ١٠: ٣٤١.

٢. نفس المصدر.

وقوله: ﴿وَلَيْسَالِ عَشْرِ﴾ قال ابن عباس والحسن وعبد الله بن الزبير ومجاهد ومسروق والضحاك وابن زيد: هي العشر الأول من ذي الحجة شرفها الله ليسارع الناس فيها إلى عمل الخير^(١).

وقال قوم: هي العشر من أول المحرم، والأول هو المعتمد^(٢).

وقوله: ﴿وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ﴾ قال ابن عباس وكثير من أهل العلم: الشفع الخلق بما له من الشكل والمثل، والوتر الخلق الفرد الذي لا مثل له^(٣).
وقوله: ﴿لِذِي حِجْرٍ﴾ أي لذي عقل، في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن^(٤).

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ قيل: عاد الأولى عاد ابن ارم، وقيل: إن ارم بلد منه الاسكندرية في قول القرظي^(٥).
وقال المعري: هو دمشق^(٦)، وقال مجاهد: هم أمة من الأمم^(٧).
وقوله: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: معناه ذات الطول^(٨).
وقيل: ذات عمد للأبيات ينتقلون من مكان إلى مكان للانتجاع، وقيل: إن ارم هو سام بن نوح^(٩).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. قارن ١٠: ٣٤٢.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

٨. نفس المصدر.

٩. نفس المصدر.

وقوله: ﴿الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ﴾ يعني: في عظم أجسامهم وشدة قواهم^(١)، وقوله: ﴿جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ معناه: قطعوا الصخر من الجبال لشدة قوتهم^(٢)، قال النابغة:

أناك أبو ليلى يجوب به الدجى دجى الليل جواب الفلاة عميم
قال مجاهد: قطعوا الجبال بيوتاً، كما قال: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ
بُيُوتًا﴾^(٣).

وقوله: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ قال ابن عباس: معناه ذي الجنود الذين كانوا يشيدون أمره^(٤)، وقال مجاهد: كان يوتد الأوتاد في أيدي الناس^(٥).
وقيل: إن فرعون كان إذا غضب على الرجل مده بين أربعة أوتاد حتى يموت^(٦).

وقوله: ﴿سَوَّطَ عَذَابٍ﴾ أي قسط عذاب، كالعذاب بالسوط الذي يعرف، إلا أنه أعظم^(٧).

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِمِرْصَادٍ﴾ معناه: إن ربك يا محمد لا يفوته شيء من أعمال العباد، كما لا يفوت من بالمرصاد، والمرصاد مفعال، من رصده يرصده رصداً فهو راصد إذا راعى ما يكون منه ليقابل بما يقتضيه^(٨).

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٣٤٣، والآية في سورة الشعراء: ١٤٩.

٤. قارن ١٠: ٣٤٣.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

٨. نفس المصدر.

فصل

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۖ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ۖ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ۖ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۖ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۖ وَتُحِبُّونَ الْآلَمَالَ حُبًّا جَمًّا ۖ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۖ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۖ وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ۖ يَقُولُ يَلِيَّتَنِي قَدِّمْتُ لِحَيَاتِي ۖ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ۖ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدًا ۖ يَنَّايَهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ۖ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۖ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ۖ وَادْخُلِي جَنَّتِي ۖ﴾ الآيات: ١٥ - ٣٠.

قوله: ﴿كَلَّا﴾ معناه: ليس الأمر على ما ظن هذا الإنسان الكافر الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر، ذكره قتادة^(١).
وقوله: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ أي جمعاً، يقال: لممت ما على الخوان ألمه لمأ إذا أكلته أجمع، والتراث الميراث^(٢).

وقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ معناه: وجاء أمر الله أو عذاب الله^(٣).

١. قارن ١٠: ٣٤٦.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٣٤٧.

وقيل: معناه وجاء جلائل آياته، فجعل مجيئ جلائل الآيات مجيئاً لها تفخيماً لشأنها^(١). وقال الحسن: معناه وجاء قضاء الله كما يقول القائل: جاءتنا الروم أي سيرتهم^(٢).

وقال بعضهم: معنى جاء ظهر بضرورة المعرفة كما توصف الآية إذا وقعت ضرورة المعرفة، لأنها تقوم مقام الرؤية^(٣).

ثم قال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ معناه في قراءة من كسر الذال اخبار من الله تعالى أنه لا يعذب عذاب الله أحد في ذلك اليوم^(٤).

ومن فتح الذال قال: معناه لا يعذب عذاب الجاني الكافر الذي لم يقدم لحياته أحد من الناس، لأننا علمنا أن ابليس أشدَّ عذاباً من غيره بحسب إجرامه، وإذا أطلق الكلام لقيام الدلالة على ذلك قيل: معناه لا يؤاخذ بذنب غيره، لأنه المستحق للعذاب، ولا يؤاخذ الله أحداً بجرم غيره^(٥).



١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٣٤٨.

سورة البلد

فصل

قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَالْوَالِدِ
وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ * أَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ
[يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَدًا * أَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَءَهُ أَحَدٌ * أَلَمْ نجْعَلْ لَهُ
عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ]﴾ الآيات: ١-١٠.

قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وابن زيد: يعني بالبلد مكة^(١).

وقوله: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ معناه في قول ابن عباس أنه حلال لك،
به قتل من رأيت حين أمر بالقتال، فقتل ابن حنظل صبراً وهو آخذ بأستار الكعبة
ولم يحل لأحد من بعده^(٢)، وبه قال مجاهد وقتادة وعطاء وابن زيد والضحاك،
وقال عطاء: لم يحل إلا لنيككم ساعة من النهار^(٣).

١. قارن ١٠: ٣٥٠.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٣٥٠، وابن خطل هنا هو عبدالله وهو الذي كانت تسميه قريش ذا القلبين فأنزل الله تعالى ﴿مَا
جَعَلَ اللَّهُ لِلرَّجُلِ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ فقدمه أبو برزة سعيد بن حرب الأسلمي فضرب - بأمره ﷺ - ←

وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ قال ابن عباس والحسن: في شدة^(١)، قال لبيد:

يا عين هلا بكيت أربد إذ قمنا وقام الخصوم في كبد^(٢)

أي: في شدة نصب، فالكبد في اللغة شدة الأمر.

وقوله: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ قال الحسن: معناه يقول أهلك مالا كثيرا فمن يحاسبني عليه^(٣)، واللبد: الكثير الذي قد تراكب بعضه على بعض، ومنه تلبد القطن والصوف إذا تراكب بعضه على بعض، وكذلك الشعر.

ومعنى قوله: ﴿هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قال ابن عباس: معناه نجد الخير والشر، وبه قال الحسن ومجاهد والضحاك وقتادة، وفي رواية عن ابن عباس أنهما الشديان^(٤)، وشبه طريق الخير والشر بالطريقين العالين لظهوره فيهما، وأصل النجد العلو^(٥).

فصل

قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْتَحِمُ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُ رَقَبَةً * أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ

→ عنقه وهو متعلق بأستار الكعبة، وكان قد أظهر الإسلام وكتب لرسول الله ﷺ شيئا من الرحي فارتدّ وشنع على رسول الله ﷺ بأن ما يمليه من القرآن منه لا من الله تعالى، وقيس بن صباة، وقتل غيرهما أيضاً كما هو مذكور في كتب السير. راجع الكشف ٣: ٣٣٨، روح المعاني للآلوسي ٣٠: ١٣٤ ط المنيرية الثانية، والدر المثور ٦: ٣٥١.

١. قارن ١٠: ٣٥٠.

٢. قارن ١٠: ٣٥٠، البيت في ديوان لبيد: ١٩.

٣. قارن ١٠: ٣٥١.

٤. قارن ١٠: ٣٥٢.

٥. نفس المصدر.

كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْأَيْمَنِ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعَايَتَنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ
مُؤَصَّدَةٌ ﴿الآيَات: ١١ - ٢٠﴾

تلخيصه: هلا افتحم العقبة، ولا يجوز الصراط إلا من كان بهذه الصفة
بفك رقبة، أو يطعم يتيمًا في يوم ذي مجاعة، فلا اقتحم بمعنى ((لم)) كما قال
تعالى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ ومعناه لم يصدق ولم يصل^(١).

ومعنى: ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ الوصيد الباب من أوصدته فهو مؤصد^(٢).

قال الحسن: عقبة والله شديدة، مجاهدة الإنسان نفسه، وهواه، وعدوه،
والشيطان^(٣).

وحكي عن ابن عباس أنه قال: تقديره افلا اقتحم وحذف الاستفهام
والاقتحام الدخول على الشدة^(٤).

وقوله: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ فالمسغبة المجاعة^(٥)، قال جرير:

تعلل وهي ساغة بنيتها بأنفاس من الشبم القراح^(٦)

١. القيامة: ٣٦.

٢. قارن ١٠: ٣٥٣.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٣٥٤.

٦. ديوان جرير: ٩٧ ط الأولى بمصر والشبم البارد.

واليتيم الصبي الذي قد مات أبوه أو أمه، والأغلب في اليتيم من الأب في الناس^(١).

وقوله: ﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ معناه: ذا قرابة، ولا يقال فلان قرابتي وإنما يقال: ذو قرابتي لأنه مصدره، كما قال الشاعر:

يبكي الغريب عليه ليس يعرفه وذو قرابته في الحي مسرور^(٢)

وقوله: ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ معناه: ذا حاجة شديدة من قولهم ترب الرجل إذا افتقر^(٣).

وقوله: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّوصَدَةٌ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: معناه مطبقة^(٤).



١. قارن ١٠: ٣٥٤.

٢. قارن ١٠: ٣٥٤، والبيت لعشير بن لبيد العذري في جملة أبيات رواها عبيد بن شريّة لمعاوية في حديث بينهما رواه ابن الأثير في أسد الغابة في ترجمته عبيد، ومثله ابن حجر في الإصابة وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٣٨: ٢٠٤.

٣. قارن ١٠: ٣٥٤.

٤. قارن ١٠: ٣٥٥.

سورة الشمس

قوله تعالى: ﴿وَالشُّمُسُ وَضُحَاهَا﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا
جَلَّهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّاهَا
[وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ
خَابَ مَنْ دَسَّاهَا] الآيات: ١ - ١٠.

قوله: ﴿وَضُحَاهَا﴾ يعني: ضحى الشمس، وهو صدر وقت طلوعها
ومجئ النهار.

قال ابن زيد: القمر إذا اتبع الشمس في النصف الأول من الشهر إذا
غربت الشمس تلاها القمر بالطلوع، وفي آخر الشهر يتلوها في الغروب^(١).

وقال الحسن: ﴿إِذَا تَلَّهَا﴾ معناه: ليلة الهلال^(٢).

قوله: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّاهَا﴾ معنى طحاها بسطها حتى أمكن التصرف
عليها^(٣).

١. قارن ١٠: ٣٥٧.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٣٥٨.

وقال الحسن ومجاهد: طحاها ودحاها واحد بمعنى بسطها^(١)، قال علقمة:

طحا بك قلب في الحسان طروب^(٢)

قوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وسفيان: معناه عرّفها طريقة الفجور والتقوى، ورغبها في التقوى، وزهداها في الفجور، وقال قوم: خذلها حتى اختارت الفجور وألهمها تقواها بأن وفقها لها^(٣).

وقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ معناه: قد خاب أي خسر من دَسَّ نفسه في معاصي الله، منهمكاً في القبايح التي نهاه الله عنها^(٤).

فصل

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَيْهَا * إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَاسْوَوْهَا * وَلَا تَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ الآيات: ١١ - ١٦.

قوله: ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ أي كان تكذيبها حين انبعث أشقى ثمود، وقيل: اسمه قدار بن سالف، وقال قوم: عقر الناقة هو تكذيبهم^(٥).

١. نفس المصدر .

٢. الشعر لعلقمة بن عبدة الفحل كما في ديوانه: ٣ ط المكتبة الأهلية بيروت، وهو أول قصيدة في ديوانه .

٣. قارن ١٠: ٣٥٨ .

٤. قارن ١٠: ٣٥٩ .

٥. قارن ١٠: ٣٦٠ .

وقوله: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ معناه: أهلكهم الله عقوبة على ذنبهم^(١).

وقيل: معنى دمدم عليهم دمر عليهم، وقيل: معناه أطبق عليهم بالعذاب،

وقيل: دمدم عليهم أي غضب عليهم، فالدمدمة ترديد الحال المتكررة^(٢).

وقوله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ معناه: لا يخاف الله تبعة الدمدمة^(٣).



١. قارن ١٠: ٣٦١.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

سورة الليل

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ * وَمَا خَلَقَ
الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ * فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ
بِالْحُسْنَىٰ [فَسَنِيْسِرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ
* فَسَنِيْسِرُهُ لِلْعُسْرَىٰ * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ * إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ
* وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ]﴾ الآيات: ١ - ١٣.

التيسير لليسرى يكون بأن يصيرهم إلى الجنة، والتيسير إلى العسرى بأن
يصيرهم إلى النار، ويجوز أن يراد بالتمكين من سلوك طريق الجنة، والتمكين
من سلوك طريق النار^(١).

ومعناه: أننا لسنا نمنع المكلفين من سلوك أحد الطريقتين ولا نضطرهم
إليه، وإنما نمكّنهم بالاقرار عليهما ورفع المنع، والترغيب في أحدهما، والتزهيد
في الآخر، فإن أحسن الاختيار اختار ما يؤدّيه إلى الجنة، وإن أساء فاختار ما
يؤدّيه إلى النار، فمن قبل نفسه أتي^(٢).

١. قارن ١٠: ٣٦٣.

٢. نفس المصدر.

وقوله: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ معناه: أي شيء يغني عن هذا الرجل الذي بخل بماله، ولم يخرج حق الله منه، إذا تردى في نار جهنم، في قول قتادة وأبي صالح، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام^(١).

وقيل في قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ دلالة على وجوب هدى المكلفين إلى الدين، وأنه لا يجوز إضلالهم عنه^(٢).

وقوله: ﴿وَمَا لَأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ معناه: ليس ذلك ليد سلفت تكافئ عليها، ولا ليد يتخذها عند أحد من العباد^(٣).

وقوله: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ معناه: بل إنما فعل ذلك طلب رضا الله، وذكر الوجه طلباً لشرف الذكر، والمعنى إلا الله^(٤).



١. قارن ١٠: ٣٦٤.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٣٦٦.

٤. نفس المصدر.

سورة الضحى

قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ * وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ * أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾
الآيات: ١ - ١١.

وقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ قال الحسن: معنى ﴿سَجَى﴾ غشى بظلامه^(١).
وقال قتادة: معنى ﴿سَجَى﴾ سكن، وهذا من قولهم بحر ساج أي ساكن،
وبه قال الضحاك^(٢)، قال الأعشى^(٣):

فما ذنبنا إن جاش بحر ابن عمكم وبحرك ساج ما يوارى الدعامصا

وقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ قيل: أنه لما تأخر الوحي عنه خمس
عشرة ليلة قال قوم من المشركين: ودَّع الله محمداً وقلاه، فأنزل الله تعالى هذه
السورة تكذيباً لهم^(٤).

١. قارن ١٠: ٣٦٨.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٣٦٨، والشعر للأعشى الكبير كما في ديوانه: ١٥١ ط النسخة بمصر.

٤. قارن ١٠: ٣٦٨.

ثم عدد تعالى نعمه في دار الدنيا فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ ومعناه تقريره على نعم الله حين مات أبوه وبقي يتيمًا فآواه، بأن سخر له عبد المطلب أولاً، ولما مات عبد المطلب آواه إلى أبي طالب وسخره للاشفاق عليه والحنين إلى حفظه ومراعاته^(١).

وقوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ قيل في معناه أقوال:
أحدها: وجدك لا تعرف الحق فهذاك إليه، بأن نصب لك الأدلة، وأرشدك إليها، حتى عرفت الحق، وذلك من نعم الله.
وثانيها: وجدك ضالًّا عما أنت عليه الآن من النبوة والشرعة فهذاك اليهما.

وثالثها: وجدك في قوم ضلّال، أي فكأنك واحد منهم.
ورابعها: ووجدك مضلّولاً عنك فهدى الخلق إلى الإقرار بنبوتك والاعتراف بصدقك، فجعل ضالًّا بمعنى مضلّول، كما قيل: ماء دافق بمعنى مدفوق وسر كاتم بمعنى مكتوم.
وخامسها: أنّه لما هاجر إلى المدينة ضلّ في الطريق وضلّ دليله، فأرشدهم الله إلى الطريق الواضح حتى وصلوا^(٢).

فإذا قيل: السورة مكية أمكن أن يقال: إن المراد بذلك الاستقبال والإعلام له أنّه يكون هذا على وجه البشارة له به، ولم يكن ضلالة معصية، لأنّه ليس ذهاباً عما كلّف^(٣).

١. قارن ١٠: ٣٦٩.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

وقوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ فالعائل الفقير وهو ذو العيلة^(١)، قال

الشاعر:

وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل^(٢)
أي: متى يفتقر.

فإن قيل: في هذا ونظائره مما عدده الله على خلقه من النعمة وامتنانه عليهم، كيف يمتن الله تعالى على خلقه بالنعم، وذلك من فعل البخلاء، لأنّ الواجد منا لو منّ على غيره بما يسدى إليه كان مقبحاً؟

قيل: إنّما يقبح الامتنان إذا كان الغرض الإضرار بالمنعم عليه والتقصير به، فأما إذا كان الغرض تعريف النعمة وتعديدها، وإعلامه وجوها ليقابلها بالشكر، فيستحق به الثواب والمدح فإنّ نعمة أخرى، وتفضّل آخر يستحق به الشكر، فبطل ما قالوه^(٣).



١. نفس المصدر.

٢. قارن ١٠: ٣٦٩، والبيت لاحتجة بن الجلاح الأوسي من أبيات له ذكرها ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٩: ١٧٩ وهي من قصيدة قالها في حرب بين قومه الأوس وبين الخزرج، والبيت من شواهد معاني القرآن للفراء ١: ٢٥٥، واللسان (عيل) وغيرهما.

٣. قارن ١٠: ٣٧٠.

سورة الانشراح

قوله تعالى: ﴿الَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ *

الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ

الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَب﴾ الآيات: ١-٨.

روى أصحابنا أن ﴿الَمْ نَشْرَحْ﴾ مع ﴿الضُّحَى﴾ سورة واحدة، لتعلق

بعضها ببعض ولم يفصلوا بينهما بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وأوجبوا قراءتهما

في الفرائض في ركعة وألا يفصل بينهما، ومثله قالوا في سورة ﴿الَمْ تَرَ كَيْفَ﴾

و ﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ﴾ وفي المصحف هما سورتان فصل بينهما بيسم الله ^(١).

قوله: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ قال الحسن: يعني بالوزر الذي كان عليه

في الجاهلية قبل النبوة ^(٢).

وقال مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد: يعني ذنبك، قالوا: وإنما

وصفت ذنوب الأنبياء بهذا الثقل مع أنها صغار مكفرة، لشدة اغتمامهم بها

وتحسرهم على وقوعها مع ندمهم عليها ^(٣).

وهذان التأويلان لا يصحان على مذهبنا، لأن الأنبياء ﷺ لا يفعلون

شيئاً من القبائح، لا قبل النبوة ولا بعدها، لا صغيرة ولا كبيرة، فإذا ثبت هذا

١. قارن ١٠: ٣٧١.

٢. قارن ١٠: ٣٧٢.

٣. نفس المصدر.

فمعنى الآية هو: أن الله تعالى لما بعث نبيه، وأوحى إليه، وانتشر أمره، وظهر حكمه كان يلقي من كفار قومه، وتبعهم لأصحابه بأذاهم له، وتعرضهم إياهم، ما كان يغمه ويسوءه، ويضيق به صدره، ويثقل عليه، فأزال الله ذلك بأن أعلى كلمته، وأظهر دعوته، وقهر عدوه^(١).

فإن قيل: السورة مكية وكان ما ذكرتموه بعد الهجرة^(٢).

قيل: ليس يمتنع أن يكون الله أخبره، بأن ذلك سيكون فيما بعد، ليسره به، ويسليه عما هو عليه، فجاء بلفظ الماضي وأراد الاستقبال، كما قال: ﴿وَتَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ﴾^(٣) وكما قال: ﴿وَتَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾^(٤) والوزر الثقل في اللغة^(٥).

وقوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ قال ابن عباس: معناه فإذا فرغت من فرضك فانصب إلى ما رغبك الله فيه من العمل^(٦).

وقال قتادة: معناه فإذا فرغت من صلاتك فانصب إلى ربك في الدعاء^(٧)، وقال مجاهد: معناه فإذا فرغت من أمر دنياك فانصب إلى عبادة ربك^(٨)، ومعنى ﴿فَانصَبْ﴾ فاتعب، يقال: ناله هم ناصب أي ذو نصب^(٩).



١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. الأعراف: ٤٤.

٤. الزخرف: ٧٧.

٥. قارن ١٠: ٣٧٣.

٦. نفس المصدر.

٧. نفس المصدر.

٨. نفس المصدر.

٩. نفس المصدر.

سورة التين

قوله تعالى: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ * فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ * أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ الآيات: ١ - ٨.

قال الحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة: هو التين الذي يؤكل، والزيتون الذي يعصر^(١).

وقال ابن زيد: التين مسجد دمشق، والزيتون بيت المقدس^(٢). والطور جبل، وسنين معناه مبارك، فكأنه قيل: جبل فيه الخير الكثير، لأنه إضافة تعريف^(٣).

وقال الحسن: طور سينين هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام^(٤) وقيل: سينين بمعنى حسن، لأنه كثير النبات والشجر، في قول عكرمة^(٥).

١. قارن ١٠: ٣٧٥.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٣٧٦.

وقوله: ﴿الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: البلد الأمين مكة، والأمين بمعنى آمن^(١).

قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ قال ابن عباس وإبراهيم وقتادة: معناه إلى أرذل العمر^(٢).

وقال الحسن ومجاهد وابن زيد: ثم رددناه إلى النار في أقبح صورة^(٣).



١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

سورة العلق

قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ * أُنْزِلَتْ أَمْثَلُ نَارٍ * أَلَمْ يَرَأْهُ أَتَوَلَّى * إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ * أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ * عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ] الآيات: ١ - ١٠.

النفطة تستحيل في الرحم علقه، ثم مضغة، ويسمى ضرب من الدود الأسود العلق، لأنه يعلق على الشفتين لداء يصيبهما فيمتص الدم، وفي خلق الإنسان من علق دليل على ما يصح أن ينقلب إليه الجوهر^(١).

وقوله: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ تقرير للنبي ﷺ وإعلام له ما يفعله بمن ينهاه عن الصلاة^(٢).

وقيل: إن الآية نزلت في أبي جهل، والمراد بالآية النبي ﷺ بأن أبا جهل كان ينهى النبي عن الصلاة، وكان النبي لما قال له أبو جهل: ألم أنهك عن الصلاة، انتهره وأغلظ له، فقال له أبو جهل: أنا أكثر أهل هذا الوادي نادياً، ذكره

١. قارن ١٠: ٣٧٩.

٢. قارن ١٠: ٣٨١.

ابن عباس وقتادة، والمعنى: أرايت يا محمد من فعل ما ذكرناه من منع الصلاة وينهى المصلين عنها، ماذا يكون جزاؤه؟ وما يكون حاله عند الله؟^(١)

فصل

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ * أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَىٰ * أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ * كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ [فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ * كَلَّا لَا تُطِيعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ]﴾ الآيات: ١١ - ١٩.

قوله: ﴿لَنَسْفَعَنَ بِالنَّاصِيَةِ﴾ أي لنغيرن بها إلى حال تشويهه، يقال: سفعته النار والشمس إذا غيرت وجهه إلى حال تشويهه^(٢).

وقيل: هو أن يجبر بناصيته إلى النار، والناصية شعر مقدم الرأس، وهو من ناصي يناصر مناصاة إذا واصل^(٣)، قال الراجز:

قِي يَنَاصِيهَا بِلَادِ قِي^(٤)

فالناصية متصلة بشعر الرأس.

وقوله: ﴿وَاسْجُدْ﴾ فالسجود فرض وهو من العزائم، وهي أربع مواضع:

١. نفس المصدر .

٢. قارن ١٠ : ٣٨٢ .

٣. نفس المصدر .

٤. نفس المصدر وقد تقدم الشاهد مكرراً .

آلم تنزيل، حم السجدة، والنجم، واقرأ باسم ربك، وما عداها في جميع القرآن مسنون وليس بمفروض، وفيه خلاف ذكرناه في الخلاف^(١).

وقوله: ﴿وَأَقْتَرِبْ﴾ معناه من ثوابه، وقيل: معناه تقرب إليه بطاعته دون الرياء والسمعة^(٢).



١. قارن ١٠: ٣٨٣.

٢. قارن ١٠: ٣٨٣، وراجع الخلاف ١: ٤٢٧ ط مؤسسة النشر الإسلامي.

سورة القدر

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ

* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ الآيات: ١ - ٥.

قيل: سميت ليلة القدر لعظم شأنها وجلال وقعها من قولهم ((فلان له قدر))^(١) وليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان بلا خلاف، وهي ليلة الافراد بلا خلاف^(٢).

وقال أصحابنا: هي إحدى الليلتين: إما ليلة إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين^(٣).

وجوز قوم أن يكون سائر ليالي الأفراد: إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وتسع وعشرين، وإنما لم يعين هذه الليلة ليتوفر العباد على العمل في سائر الليالي، والقدر كون الشيء على مساواة غيره من غير زيادة ولا نقصان، ففي ليلة القدر تجدد الأمور على مقاديرها^(٤).

١. قارن ١٠: ٣٨٥.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

وقوله: ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ والمعنى أن الثواب على الطاعة فيها يفضل على ثواب كل طاعة تفعل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر^(١).

وقيل: إن الله تعالى يتفضل على خلقه في هذه الليلة وينعم عليهم، بما لا يفعل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر^(٢).

وقوله: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ الذي هو جبرئيل بكل أمر في ليلة القدر إلى سماء الدنيا^(٣).

وقوله: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ هو سلام الملائكة بعضهم على بعض إلى طلوع الفجر^(٤)، ((وقيل: إن الملائكة تنزل بالسلامة والخير والبركة إلى طلوع الفجر))^(٥)، وقيل: معناه سلام هي من الشر حتى مطلع الفجر^(٦).



١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. قارن ١٠: ٣٨٦.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر، وما بين القوسين من ابن إدريس.

٦. قارن ١٠: ٣٨٦.

سورة البينة

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿الآيَات: ١-٨﴾

يقول الله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ قال الحسن وقتادة: معناه لم يكونوا منتهين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة^(١).

وقوله: ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ القيمة المستمرة في جهة الصواب، فهو على وزن (فعيلة) من قام بالأمر يقوم به إذا أجراه في جهة الاستقامة^(١).

وقوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ إخبار من الله تعالى أن هؤلاء الكفار لم يختلفوا في نبوة النبي ﷺ، لأنهم كانوا مجتمعين على نبوته بما وجدوه في كتبهم من صفاته، فلما أتاهم بالبينة الظاهرة والمعجزة القاهرة، تفرقوا واختلفوا، فأمن بعضهم وكفر بعضهم^(٢).

وفي ذلك دلالة على بطلان قول من يقول: إن الكفار خلقوا كفاراً في بطون أمهاتهم، لأنه تعالى بين أنهم لم يختلفوا في ذلك قبل مجيئ معجزاته وأدلتها، ولا يلزم على ذلك أن يكون مجيئ الآيات مفسدة من حيث وقع الفساد عندها، لأنه ليس حد المفسدة ما يقع عنده الفساد، بل حد ما يقع عنده الفساد ولولاه لم يقع، من غير أن يكون تمكيناً، وها هنا المعجزات تمكين فلم تكن مفسدة^(٣).

وقوله: ﴿خُنَفَاءَ﴾ جمع حنيف، وهو المائل إلى الحق، والحنفية الشريعة المائلة إلى الحق^(٤).

وقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ دليل على فساد مذهب المجبرة في أن الله تعالى خلق الكفار ليكفروا به، لأنه صرح ها هنا أنه خلقهم ليعبدوه^(٥).

١. قارن ١٠: ٣٨٩.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. قارن ١٠: ٣٩٠.

وليس في الآية دلالة على أن أفعال الجوارح من الإيمان ولا من الدين، لأنه يجوز أن يكون المراد ((وذلك)) إشارة إلى التدين، وتقديره: التدين بذلك فهو دين القيمة، لأن من لا يعتقد جميع ذلك ويؤمن بجميع ما يجب عليه فليس بمسلم، وقد تقدم قوله تعالى: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(١).

ثم قال: ﴿وَذَلِكَ﴾ يعني وذلك الدين ﴿دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ وليس يلزم أن يكون راجعاً إلى جميع ما تقدم، كما لا يلزم على مذهبهم في قوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ أن يكون راجعاً إلى الشرك وقتل النفس والزنا، بل عندهم إلى كل واحد من ذلك فكذلك ها هنا^(٢).



١. نفس المصدر.

٢. قارن ١٠: ٣٩٠، والآية في سورة الفرقان: ٦٨.

سورة الزلزلة

قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ
أَنْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَآ * يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى
لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ الآيات: ١-٨.

قوله: ﴿أُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا﴾ قال ابن عباس ومجاهد: معناه
أخرجت موتاها، وأنقال الأرض ما فيها مدفون من الموتى وغيرها، فإن الأرض
تلفظ بكل ما فيها عند انقضاء أمر الدنيا^(١).

قوله: ﴿أَشْتَاتًا﴾ أي مختلفين ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ﴾ أي ليجازوا على
أعمالهم أو ليريهم الله جزاء أعمالهم^(٢).

وقيل: معنى رؤية الأعمال المعرفة بها عند تلك الحال وهي رؤية
القلب^(٣)، ويجوز أن يكون التأويل على رؤية العين، بمعنى ليروا صحائف
أعمالهم يقرؤون فيها لا يغادر صغيرة ولا كبيرة^(٤).

١. قارن ١٠: ٣٩٣.

٢. قارن ١٠: ٣٩٤.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

ثم قال على وجه الوعيد: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ قال أبو عبيدة: مثقال ذرة زنة ذرة، وتقديره: من يعمل قدر ذرة من الخير يرى ثوابه وجزاه ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ أي يرى ما يستحق من العقاب.

ويمكن أن يستدل بذلك على بطلان الإحباط، لأن عموم الآية يدل على أنه لا يفعل شيئاً من طاعة أو معصية إلا ويجازى عليها، وعلى مذهب القائلين بالاحباط بخلاف ذلك، فإن ما يقع محبطاً لا يجازى عليها^(١).

تم التعليق من الجزء التاسع من كتاب التبيان في تفسير القرآن، وبتمامه تم كتاب المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان، والله المستعان وعليه التكلان.

قد ذكرنا هذا الكتاب جملة وجيزة من كل سورة بأخصر ما قدرنا عليه وبلغ وسعنا إليه، ولو شرعنا في شرح ذلك وذكر الأقاويل لخرجنا عن المقصود والمغزى المطلوب، وفيما لخصناه واختصرناه كفاية لمن ضبط هذا الفن، ويغنيه بذلك على ما عده.

والله تعالى نسأل توفيقاً وعصمة، ويجعله خالصاً لوجهه ومقرباً من رضاه بمتنه وكرمه، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

وافق الفراغ من استخراجها أواخر شهر ذي الحجة من شهور سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة، وكتب محمد بن إدريس حامداً مصلياً.





فهرس المصادر

- ١- أبو طالب مؤمن قريش للشيخ عبد الله الخنيزي.
- ٢- أبو هريرة شيخ المضيرة للشيخ المغفور له محمود أبو رية ط مصر.
- ٣- أبو هريرة للإمام شرف الدين ط النجف و ط بيروت.
- ٤- اتحاف السادة المتقين للزبيدي ط دار الكتب العلمية بيروت.
- ٥- اتحاف المهرة بزوائد المسانيد العشرة.
- ٦- أحكام القرآن لابن العربي ط مصر بتحقيق البجاوي.
- ٧- أحكام القرآن للجصاص ط مصر و ط افست دار الكتاب العربي بيروت.
- ٨- أدب المجالسة لابن عبد البر ط طنطا دار الصحابة للتراث سنة ١٤٠٩ هـ.
- ٩- أسباب النزول للواحدي ط مصر سنة ١٣١٥ بمطبعة هندية في غيط النوبي.
- ١٠- أسد الغابة لابن الأثير الجزري ط أفست الإسلامية.
- ١١- أشعار الشعراء الستة الجاهليين .
- ١٢- إصلاح المنطق لابن السكيت ط مصر .
- ١٣- أصول السرخسي ط مصر.
- ١٤- أضواء البيان للشنقيطي ط بيروت.
- ١٥- إعانة الطالبين .
- ١٦- الأثر في الدر المنثور .
- ١٧- الأربعين في أصول الدين للفخر الرازي ط حيدر آباد.

- ١٨- الاستذكار لابن عبد البر ط دار الكتب العلمية بيروت.
- ١٩- الاستيعاب لابن عبد البر ط حيدر آباد و ط بهامش الإصابة ط مصطفى محمد سنة ١٣٥٨ هـ و ط محففة .
- ٢٠- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ط مصطفى محمد بمصر سنة ١٣٥٨ هـ و ط تحالبجاي و ط الأولى بنفقة عبد الحفيظ في ترجمة جندب بن عمرو بن حممة.
- ٢١- الأصمعيات.
- ٢٢- الأعلام للزركلي ط مصر الثالثة سنة ٢٣٠ هـ.
- ٢٣- الأغاني لأبي الفرج الاصبهاني ط الساسي و ط تراثا دار الكتب المصرية و ط بولاق.
- ٢٤- الانصاف لابن البتارين في معجم شعراء العربية.
- ٢٥- الإنصاف لابن الأنباري ط مصر الطبعة / ٤ سنة ١٣٨٠ هـ.
- ٢٦- الايجاز للشيخ أبي جعفر عليه السلام ط النجف.
- ٢٧- أمالي الشريف المرتضى ط مصر سنة ١٣٧٣ هـ تح محمد أبو الفضل إبراهيم .
- ٢٨- أمالي الشريف المرتضى ط مصر.
- ٢٩- أمالي القالي ط دار الكتب سنة ١٣٤٤ هـ.
- ٣٠- أمالي القالي ط دار الكتب.
- ٣١- أمالي ابن الشجري ط حيدر اباد.
- ٣٢- أنساب الأشراف للبلاذري ط بيروت سنة ١٤١٧ هـ و ط بولس آبل سنة ١٨٨٤ م و ط أفست المثنى ببغداد و تحالمحمودي و تحاحسان عباس و (نسخة مخطوطة بقلم) و ط دار المعارف بتحقيق الدكتور محمد حميد الله.

- ٣٣- البحر الرائق لابن نجيم الحنفي المصري ط مصر .
- ٣٤- البحر المحيط لأبي حيان ط دارالفكر .
- ٣٥- البداية والنهاية للحافظ أبن كثير الشامي ط السعادة بمصر .
- ٣٦- البيان والتبيين للجاحظ ط مصر تحقيق محمد عبد السلام هارون .
- ٣٧- البيان والتبيين للجاحظ ط مصر تحقيق محمد عبد السلام هارون .
- ٣٨- بحار الأنوار ط دار الكتب الإسلامية و الطبعة الحجرية (كمباني) و ط دار الوفاء بيروت .
- ٣٩- بدائع الصنائع للكاساني ط مصر .
- ٤٠- بداية المجتهد لابن رشد ط مصر .
- ٤١- بغية الوعاة للسيوطي ط مصر .
- ٤٢- التبيان لتفسير القرآن للشيخ أبي جعفر الطوسي رحمته الله ط النجف تح أحمد القصير .
- ٤٣- التبيان للشيخ طاهر الجزائري ط المنار سنة ١٣٣٤ هـ .
- ٤٤- التسهيل لابن جزي ط مصر سنة ١٣٥٥ هـ .
- ٤٥- التكملة .
- ٤٦- التمهيد لابن عبد البر ط بيروت .
- ٤٧- تاج العروس للزبيدي ط افست بيروت .
- ٤٨- تاريخ الطبري ط دار المعارف سنة ١٩٧٠ م الطبعة الثالثة، ط الأستقامة بمصر و ط افست ليدن و ط الحسينية بمصر و ط دار المعارف .
- ٤٩- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ط السعادة بمصر .
- ٥٠- تاريخ دمشق لابن عساكر (ترجمة الإمام) تح المحمودي .
- ٥١- تحبير المقال للأكوسي .

- ٥٢- تذكرة الحفاظ ط حيدر اباد.
- ٥٣- تذكرة خواص الأمة لسبط ابن الجوزي ط حجرية سنة ١٢٨٥ هـ و ط منشورات الشريف الرضي بقم.
- ٥٤- تصحيقات المحدثين.
- ٥٥- تفسير أبي حيان البحر والنهر والجمال .
- ٥٦- تفسير البرهان ط ايران.
- ٥٧- تفسير البغوي ط مصر .
- ٥٨- تفسير البيضاوي ط مصر و ط بيروت.
- ٥٩- تفسير الثعلبي ط بيروت دار الكتب العلمية.
- ٦٠- تفسير الخازن ط الميمنية سنة ١٣١٧ هـ .
- ٦١- تفسير الدر المنثور للسيوطي ط أفست الإسلامية.
- ٦٢- تفسير الرازي ط مصر و ط الاستانة و ط العامرة .
- ٦٣- تفسير السراج المنير للخطيب الشربيني .
- ٦٤- تفسير السمرقندي .
- ٦٥- تفسير السمعاني.
- ٦٦- تفسير الشربيني ط الخيرية سنة ١٣١١ هـ .
- ٦٧- تفسير الشوكاني.
- ٦٨- تفسير الصافي للفيض الكاشاني .
- ٦٩- تفسير الطبري ط مصطفى البايي الحلبي بمصر سنة ١٣٧٣ هـ ط دار المعارف المصرية الثانية تح محمود محمد شاكر وأخيه أحمد.
- ٧٠- تفسير العياشي ط ايران.
- ٧١- تفسير الماوردي ط بيروت.

- ٧٢- تفسير النسفي ط دار احياء الكتب العربية بمصر، وعنها ط دار الفكر بيروت. وكذا ط بهامش تفسير الخازن ط اليمنية بمصر سنة ١٣١٧ هـ.
- ٧٣- تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري ط الأولى بمصر.
- ٧٤- تفسير الآصفي .
- ٧٥- تفسير ابن كثير ط دار الفكر بيروت و ط الاستقامة .
- ٧٦- تفسير روح المعاني لأبي الثناء الآلوسي ط المنيرية (الثانية).
- ٧٧- تلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني نشر مكتبة ابن تيمية.
- ٧٨- تلخيص الشافعي للشيخ الطوسي ط ملحفاً بكتاب الشافعي (حجرية) و ط الآداب النجف .
- ٧٩- تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ط دار الكتب الإسلامية النجف الأشرف تح الحجة السيد حسن الموسوي الخرسان رحمته الله.
- ٨٠- تهذيب الأسماء واللغات للنووي ط المنيرية بمصر.
- ٨١- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ط حيدر اباد (أفست).
- ٨٢- تهذيب تاريخ ابن عساكر لابن بدران ط الشام و ط افست دار المسيرة.
- ٨٣- الجامع الصغير للسيوطي ط بولاق و ط دار الفكر.
- ٨٤- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ط دار إحياء التراث العربي بيروت و ط دار الشعب بالقاهرة.
- ٨٥- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ط دار الكتب العلمية بيروت و ط مصر .
- ٨٦- جمع الجوامع للسيوطي.
- ٨٧- جمهرة أشعار العرب ط دار نهضة مصر للطبع والنشر بمصر .
- ٨٨- جمهرة اللغة لابن دريد ط افست حيدر اباد و ط الهند.

- ٨٩- جنى الجنتين للمحبي ط الشرقي بدمشق سنة ١٣٤٨ هـ.
- ٩٠- الحاوي في الفتاوي للسيوطي ط مصر.
- ٩١- الحجة على الذاهب للسيد فخار بن معد ط النجف .
- ٩٢- الحماسة للبحري ط الرحمانية بمصر سنة ١٩٢٩ م.
- ٩٣- الحيوان للجاحظ ط مصر تح محمد عبد السلام هارون.
- ٩٤- حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء للفقاه الشاشي ط مكتبة الرسالة الحديثة في عمان بالأردن سنة ١٩٨٨ م.
- ٩٥- حماسة المرزوقي.
- ٩٦- حماسة ابن الشجري .
- ٩٧- حياة الحيوان للدميمري ط بولاق مصر.
- ٩٨- الخصائص لابن جني ط مصر.
- ٩٩- الخلاف للشيخ الطوسي رحمه الله ط الثانية مطبعة رنكين في طهران سنة ١٣٧٧ هـ و ط حجرية و ط مؤسسة النشر الإسلامي بقم.
- ١٠٠- خزنة الأدب للبغدادي ط السلفية بمصر سنة ١٣٤٧ هـ و ط افست دار صادر.
- ١٠١- الدر المختار للحصكفي ط مصر .
- ١٠٢- الدلائل للبيهقي ط بيروت.
- ١٠٣- ديوان أبي الأسود الدؤلي تح عبد الكريم الدجيلي سنة ١٣٧٣ هـ و تح الشيخ محمد حسن آل يس سنة ١٣٨٤ هـ.
- ١٠٤- ديوان الأخطل جمع إيليا سليم الحاوي ط دار الثقافة بيروت.
- ١٠٥- ديوان الأعشى الكبير شرح وتعليق الدكتور م. محمد حسين ط النموذجية بمصر.

١٠٦- ديوان الأعشىين.

١٠٧- ديوان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

١٠٨- ديوان الحارث بن وعلة الشيباني.

١٠٩- ديوان الحطيئة بشرح السكري ط التقديم و تحنعمان أمين طه ط الأولى بمصر سنة ١٣٧٨ هـ.

١١٠- ديوان الطرماح بن حكيم الطائي تحفة حسن ط دمشق سنة ١٣٨٨ هـ.

١١١- ديوان العجاج بن روبة تحفة الدكتور عزة حسن ط دار الشروق بيروت .

١١٢- ديوان الفرزدق ط الصاوي و ط صادر و ط المكتبة الأهلية في بيروت.

١١٣- ديوان القطامي .

١١٤- ديوان المتلمس.

١١٥- ديوان المثقب العبدى تحفة الشيخ محمد حسن آل يس ط المعارف بغداد.

١١٦- ديوان المرقش الأصغر .

١١٧- ديوان المنخل اليشكري.

١١٨- ديوان النابغة الجعدي .

١١٩- ديوان النابغة الذبياني صنعة ابن السكيت تحفة شكرى فيصل ط دار الفكر و ط بشرح البطليوسي ط المكتبة الأهلية بيروت.

١٢٠- ديوان الهذليين ط مصورة عن ط دار الكتب بمصر سنة ١٣٨٤ هـ.

١٢١- ديوان امرئ القيس الكندي ط الاستقامة جمع حسن السندوبي ط مصر

سنة ١٣٨٨ هـ.

١٢٢- ديوان أمية بن أبي الصلت جمع بشير يموت ط بيروت سنة ١٣٥٢ هـ.

١٢٣- ديوان أوس بن حجر تحفة الدكتور محمد يوسف نجم ط داري صادر

وبيروت .

- ١٢٤- ديوان بشر بن أبي خازم تحال الدكتور عزة حسن ط دمشق سنة ١٣٧٩هـ .
- ١٢٥- ديوان جرير جمع و تحال صاوي ط الأولى بمصر .
- ١٢٦- ديوان جميل ط بيروت المكتبة الأهلية .
- ١٢٧- ديوان حسان بن ثابت جمع و شرح البرقوقي ط مصر .
- ١٢٨- ديوان ذي الرمة ط (أوفست) كمبريج سنة ١٩١٩م و ط مجمع اللغة العربية بدمشق تحال الدكتور عبد القدوس أبو صالح .
- ١٢٩- ديوان رؤبة بن العجاج ط افست مكتبة المثنى ببغداد و ط ليسيك جمع وليم بن الورد البروسي سنة ١٩٠٣ م أفست المثنى .
- ١٣٠- ديوان زهير بن أبي سلمى صنعة ثعلب ط دار الكتب المصرية سنة ١٣٦٣ هـ .
- ١٣١- ديوان زيد الخيل صنعة الدكتور نوري حمودي القيسي مط النعمان .
- ١٣٢- ديوان طرفة ط برطرنند سنة ١٩٠٠ م .
- ١٣٣- ديوان عبد الباقي العمري الفاروقي ط النعمان سنة ١٣٨٢ هـ .
- ١٣٤- ديوان عبد الله بن قيس الرقيات .
- ١٣٥- ديوان عبيد بن الأبرص تحال الدكتور حسين نصّار المصري ط سنة ١٣٧٧ هـ بمصر .
- ١٣٦- ديوان عدي بن زيد جمع محمد جبار المعيد ط وزارة الثقافة والإرشاد ببغداد سنة ١٣٨٥ هـ .
- ١٣٧- ديوان علقمة بن عبدة الفحل ط المكتبة الأهلية بيروت .
- ١٣٨- ديوان عمر بن أبي ربيعة ط محمد محي الدين عبد الحميد .
- ١٣٩- ديوان عمرو بن معدي كرب الزبيدي جمع مطاع الطرايشي - دمشق .
- ١٤٠- ديوان عنترة ط المكتب الإسلامي .

- ١٤١- ديوان قيس بن الخطيم تح ناصر الأسد ط ١ سنة ١٩٨١.
- ١٤٢- ديوان كثير عزة جمع الدكتور إحسان عباس.
- ١٤٣- ديوان كعب بن زهير صنعة السكري ط دار الكتب المصرية ١٣٦٩ هـ.
- ١٤٤- ديوان لبيد بن ربيعة ط الكويت .
- ١٤٥- ذخائر العقبى للمحب الطبري ط مصر و ط القدسي سنة ٢٣٧ هـ .
- ١٤٦- الذريعة إلى تصانيف الشيعة ط الغري .
- ١٤٧- الذريعة للسيد المرتضى ط تح أبو القاسم كرجي ط دانشگاه طهران.
- ١٤٨- ربيع الأبرار للزمخشري ط أوقاف بغداد.
- ١٤٩- الرياض النضرة للمحب الطبري ط بدر الدين النعساني بمصر سنة ١٣٢٧ هـ .
- ١٥٠- زاد المسير لابن الجوزي ط دار الكتب العلمية .
- ١٥١- زاد المعاد لابن قيم الجوزية.
- ١٥٢- زعامة الشعر الجاهلي بين امرئ القيس وعدي بن زيد لعبد المتعال الصعيدي.
- ١٥٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة لناصر الدين الباني ط مكتبة المعارف الرياض و الطبعة الرابعة نشر المكتب الإسلامي سنة ١٤٠٥ هـ .
- ١٥٤- سمط اللثالي للبكري تح الميمني ط مصر سنة ١٣٥٤ هـ .
- ١٥٥- سنن ابن ماجة ط الأولى بولاق بمصر سنة ١٣١٣ هـ تح محمد فؤاد عبد الباقي الأولى.
- ١٥٦- سنن أبي داود لأبي داود السجستاني ط دار الفكر مصر تح محمد محي الدين عبد الحميد و ط دار الحديث حمص و ط هندية.
- ١٥٧- سنن الترمذي تح عطوة ط مصر و ط هندية وأخرى مصرية بشرح تحفة الأحوذى.

- ١٥٨- السنن الكبرى للبيهقي ط دار الفكر افست بيروت سنة ١٤١١ هـ عن ط حيدر آباد و ط دار الباز بمكة المكرمة.
- ١٥٩- السنن الكبرى للنسائي ط مصر و ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤١١ هـ.
- ١٦٠- سيرة ابن هشام ط تراث الإسلام بتحقيق مصطفى السقا ورفيقه.
- ١٦١- شذور الذهب .
- ١٦٢- شرح أشعار الهذليين صنعة السكري ط مصر .
- ١٦٣- شرح البطليوسي ط المكتبة الأهلية في بيروت.
- ١٦٤- شرح الحماسة للمرزوقي.
- ١٦٥- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ط دار المعارف.
- ١٦٦- الشرح الكبير .
- ١٦٧- شرح المفضليات .
- ١٦٨- شرح المواهب اللدنية للزرقاني.
- ١٦٩- شرح درة الخواص.
- ١٧٠- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة لمحمد محي الدين عبد الحميد.
- ١٧١- شرح ديوان ليبد ط الكويت سنة ١٩٦٢ م.
- ١٧٢- شرح شواهد الكشف ط البابي الحلبي و ط مصر .
- ١٧٣- شرح شواهد المغني للسيوطي ط دار مكتبة الحياة بيروت و ط مصر.
- ١٧٤- شرح صحيح مسلم للنووي ط مصر سنة ١٣٤٩ هـ و ط الهند.
- ١٧٥- شرح معاني الآثار للطحاوي - وهو من الأحناف - تحقيق محمد زهري النجار ط دار الكتب العلمية سنة ١٣٩٩ هـ بيروت.

- ١٧٦- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ط دار الكتب العربية مصر (الأولى) والطبعة الحديثة بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
- ١٧٧- شعر الكميت جمع د. داود سلوم ط النعمان سنة ١٩٦٩.
- ١٧٨- الشعر والشعراء لابن قتيبة ط مصر و ط (أفست) عن ط ليدن سنة ١٩٠٢ م.
- ١٧٩- الشعراء الجاهليون للخفاجي الطبعة الأولى .
- ١٨٠- شعر المثقب العبدى تح الشيخ محمد حسن آل يس .
- ١٨١- شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ط بيروت.
- ١٨٢- شواهد العيني بهامش حاشية الصبان على شرح الأشموني ط عيسى البابي الحلبي بمصر.
- ١٨٣- الصبح المنير .
- ١٨٤- الصحاح للجوهري تح أحمد عبد الغفور عطار ط دار الكتاب العربي بمصر و ط دار الحضارة العربية، بيروت .
- ١٨٥- صحيح ابن حبان ط بيروت.
- ١٨٦- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري ط مصر بولاق سنة ١٣١٢ هـ و ط مصر بولاق سنة ١٣١٣ هـ.
- ١٨٧- صحيح الترمذي تح إبراهيم عطوه عوض .
- ١٨٨- صحيح مسلم بن الحجاج القشيري ط محمد علي صبيح بمصر و ط بولاق و ط حجرية سنة ١٢٧٢ هـ.
- ١٨٩- صلاة الخوف ط مؤسسة الشر الإسلامى.
- ١٩٠- الصواعق المحرقة لأبن حجر المكي الهيثمي ط الميمنية سنة ١٣١٢ هـ بمصر (الأولى) و ط تح عبد الوهاب عبد اللطيف.

١٩١- طبقات الشعراء للجمحي ط مصر .

١٩٢- الطبقات الكبير لابن سعد ط افست ليدن و ط لجنة الثقافة القاهرة سنة

١٣٥٨ هـ و ط الطائف سنة ١٤١٤ هـ تحد محمد بن صامل السلمي و ط الخانجي

بمصر.

١٩٣- طبقات خليفة بن خياط.

١٩٤- طبقات فحول الشعراء.

١٩٥- العدة للشيخ الطوسي ط حجرية و ط بمبي سنة ١٣١٨ هـ.

١٩٦- علل الشرائع للشيخ الصدوق ابن بابويه المتوفى سنة ٣٨١ هـ ط النجف،

الحيدرية ومقدمة الكتاب طبع ايران (قم) و ط منشورات مكتبة الشريف الرضي بقم.

١٩٧- علي إمام البررة للسيد محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان ط

دارالهادي بيروت.

١٩٨- العدة لابن رشيقي القيرواني ط مصر.

١٩٩- العين تحقيق المخزومي وإبراهيم السامرائي ط وزارة الثقافة والأعلام

العراقية .

٢٠٠- عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق ط الحيدرية .

٢٠١- غريب الحديث لابن سلام ط مصر.

٢٠٢- الفائق للزمخشري ط حيدر اباد و ط تح الطناحي بمصر.

٢٠٣- الفاخر للمفضل بن سلمة ط سلسلة تراثنا مصر بتحقيق عبدالعليم

الطحاوي.

٢٠٤- فتح الباري لابن حجر ط مصطفى محمد البابي الحلبي وأولاده سنة

١٣٧٨ هـ بمصر و ط دار المعرفة بيروت تحد محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين

الخطيب.

- ٢٠٥- فتح العزيز للرافعي ط مصر.
- ٢٠٦- فتح القدير للشوكاني ط البايي الحلبي سنة ١٣٥ هـ.
- ٢٠٧- الفتوحات الإلهية للجمل ط عيسى البايي الحلبي وشركاه بمصر.
- ٢٠٨- الفخري في الآداب السلطانية في الدول الإسلامية لابن الطقطقي ط مصر الأولى و ط دار صادر بيروت.
- ٢٠٩- فرائد السمطين للحمويني نقلاً عن تفسير مطلع المعاني للإمام حسام الدين محمد بن عثمان بن محمد العلي آبادي.
- ٢١٠- الفرج بعد الشدة للتونخي منشورات الشريف الرضي بقم.
- ٢١١- فردوس الأخبار للديلملي ط بيروت.
- ٢١٢- فقه القرآن للراوندي.
- ٢١٣- فيض القدير للشوكاني ط دار الكتب العلمية و ط الإستقامة بمصر.
- ٢١٤- القاموس المحيط للفيروز ابادي ط مصر.
- ٢١٥- القول المليح في تعيين الذبيح لابن تيمية.
- ٢١٦- الكافي للكليني ط حصرية ١٣١٢ هـ و ط دار الكتب الإسلامية طهران.
- ٢١٧- الكامل لابن عدي ط الثالثة دار الفكر.
- ٢١٨- الكامل للمبرد ط دار نهضة مصر تحمّد أبو الفضل إبراهيم.
- ٢١٩- الكتاب لسيبويه ط بولاق.
- ٢٢٠- الكشف للزمخشري ط مصطفى البايي الحلبي بمصر سنة ١٣٦٧ هـ.
- ٢٢١- كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني ط القدسي بمصر.
- ٢٢٢- كفاية الطالب للحافظ الكنجي الشافعي ط الحيدرية (الثانية) في النجف سنة ١٣٩٠ هـ.

- ٢٢٣- كتر العمال للمتي الهندي ط حيدر آباد الأولى والثانية و ط مؤسسة الرسالة بحلب ومنتخبه بهامش مسند أحمد ط مصر الأولى.
- ٢٢٤- كتر العمال ومنتخبه بهامش مسند أحمد ط مصر الأولى.
- ٢٢٥- الكتر اللغوي لابن السكيت.
- ٢٢٦- كنوز الحقائق للمناوي ط مصر سنة ١٣٠٥ هـ.
- ٢٢٧- اللثالي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ط الأدبية سنة ١٣١٧ هـ الأولى بمصر.
- ٢٢٨- لسان العرب لابن منظور ط اوفست بولاق و ط دار صادر بيروت.
- ٢٢٩- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ط افست حيدر اباد.
- ٢٣٠- لطائف الإشارات للقسري الطبعة الثانية مركز تحقيق التراث / مصر سنة ١٩٨١ م.
- ٢٣١- المؤلف والمختلف للآمدي بتحقيق عبد الستار أحمد فراج.
- ٢٣٢- المبسوط للسرخسي ط بيروت افست عن مصر.
- ٢٣٣- المبسوط للشيخ الطوسي رحمته الله ط المكتبة المرتضوية إيران.
- ٢٣٤- متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار تحزرزور ط دار التراث بمصر.
- ٢٣٥- المثالب للكلي (مخطوطة السماوي).
- ٢٣٦- مجاز القرآن لأبي عبيدة ط ١ بتحقيق محمد فؤاد سزكين ط مصر.
- ٢٣٧- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى ط الأولى بتحقيق محمد فؤاد سزكين مصر تفسير عبد الرزاق ط دار الكتب العلمية.
- ٢٣٨- مجمع الامثال للميداني ط دار الفكر مصر.
- ٢٣٩- مجمع البيان للطبرسي ط صيدا.
- ٢٤٠- مجمع الزوائد لنور الدين الهيثمي ط القدسي سنة ١٣٥٣ هـ بمصر.

٢٤١- المجموع للنووي .

٢٤٢- المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي ط العلمية بيروت سنة ١٤١٣ هـ .

٢٤٣- المحسن السبط مولود أم سقط لمحمد مهدي السيد حسن الموسوي
الخرسان ط قم سنة ١٣٢٧ هـ .

٢٤٤- المحلى لابن حزم ط افست دار الفكر بيروت .

٢٤٥- مختارات ابن الشجري .

٢٤٦- المدهش لابن الجوزي ط بغداد .

٢٤٧- مستدرک الوسائل للمحدث النوري ط حجرية كتابفروشي إسلامية و
ط مؤسسة آل البيت (عليه السلام) .

٢٤٨- المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري ط دمج افست بحلب
افست عن حيدر آباد و ط دار الكتب العلمية تح مصطفی عبد القادر .

٢٤٩- مسند أحمد بن حنبل ط مصر الأولى و ط تح أحمد محمد شاكر .

٢٥٠- مسند الحافظ أبي يعلى الموصلي ط دار الكتب العلمية بيروت و ط
دار المأمون بدمشق سنة ١٤٠٤ هـ .

٢٥١- المصون لأبي أحمد العسكري ط الكويت .

٢٥٢- المعارف لابن قتيبة تح ثروت عكاشة ط مصر الأولى و ط ليدن سنة
١٩٦٠ م .

٢٥٣- معاني الأخبار للصدوق ط الحيدرية بتقديم في النجف الأشرف سنة
١٣٩١ هـ .

٢٥٤- معاني القرآن للفراء .

٢٥٥- معاني القرآن للنحاس .

٢٥٦- معجم الأدباء لياقوت الحموي ط دار المأمون بمصر .

- ٢٥٧- معجم الشعراء للمرزباني تح عبد الستار أحمد فراج.
- ٢٥٨- المعجم الكبير للحافظ الطبراني ط الثانية بمطبعة الزهراء بالموصل تح السلفي و ط الأولى بمطبعة الوطن العربي.
- ٢٥٩- معجم رجال الحديث للإمام الخوئي رحمته الله ط الأولى الآداب في النجف الأشرف.
- ٢٦٠- معجم شواهد العربية لعبد السلام محمد هارون ط الأولى سنة ١٣٩٢ هـ نشر الخانجي مصر .
- ٢٦١- معجم مقاييس اللغة لابن فارس ط مصر تحقيق هارون .
- ٢٦٢- معرفة السنن والآثار للبيهقي .
- ٢٦٣- معرفة الصحابة لأبي نعيم.
- ٢٦٤- المعلقات العشر وأخبار شعرائها للشقنقيطي ط الاستقامة بمصر سنة ١٣٥٣ هـ .
- ٢٦٥- المغني لابن قدامة المقدسي ط ٣ / دار الثامر سنة ١٣٦٧ هـ .
- ٢٦٦- المغني لابن هشام ط مصر.
- ٢٦٧- مفردات الراغب الاصبهاني ط الميمنية بمصر سنة ١٣٢٤ هـ .
- ٢٦٨- المقاصد الحسنة للسخاوي ط مصر.
- ٢٦٩- الملل والنحل للشهرستاني ط مصر و ط الأزهر الحديثة الثانية سنة ١٣٩٥ هـ و ط بيروت.
- ٢٧٠- من لا يحضره الفقيه للصدوق تح المرحوم السيد حسن الموسوي الخراساني رحمته الله ط دار الكتب الإسلامية في النجف الأشرف سنة ١٣٧٧-١٣٧٨ هـ .
- ٢٧١- المناقب لابن المغازلي المالكي ط الإسلامية إيران.
- ٢٧٢- المناقب للخوارزمي الحنفي ط حجرية.

٢٧٣- موارد الظمان بزوائد ابن حبان ط السلفية بتحقيق محمد عبد الرزاق حمزة.

٢٧٤- المواهب للقسطلاني بشرح الزرقاني ط الأزهرية سنة ١٣٢٥ هـ.

٢٧٥- موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ط عالم التراث بيروت.

٢٧٦- الموشع للمرزباني ط مصر.

٢٧٨- الموطأ لمالك بشرح تنوير الحوالك للسيوطي ط مصطفى محمد بمصر.

٢٧٩- ميزان الاعتدال للذهبي تح البجاوي ط مصر الأولى و ط محففة.

٢٨٠- النكت والعيون للماوردي ط دار الكتب العلمية .

٢٨١- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير تح الزاوي و محمود محمد

الطناحي ط مصر و ط بمط الخيرية بمصر سنة ١٣٢٢ هـ الأولى.

٢٨٢- النهاية للشيخ أبي جعفر عليه السلام ط الثانية دار الكتاب العربي بيروت.

٢٨٣- نصب الراية لأحاديث الهداية لجمال الدين عبد الله بن يوسف الحنفي

الزليعي ط المجلس العلمي سنة ١٣٥٧ هـ مصر .

٢٨٤- نقاض جرير والأخطل .

٢٨٥- نقاض جرير والفرزدق .

٢٨٦- نوادر أبي زيد .

٢٨٧- نور الأبصار للشبلنجي ط مصر الأولى.

٢٨٨- نور الثقلين مطبعة الحكمة بقم.

٢٨٩- الوافي بالوفيات للصفدي ط بيروت.

٢٩٠- الوسائل ط كتابفروشي إسلامية و ط مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء

٢٩١- وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري تح عبد السلام محمد هارون ط
عيسى البابي الحلبي وشركاه الأولى بالقاهرة سنة ١٣٦٥ هـ و ط حجرية ط الثانية
بمصر ١٣٨٢ هـ .

٢٩٢- هاشميات الكميت الأسدي للرياشي ط ليدن و ط مصر الثانية تأليف
محمد محمود الهاشمي و ط أوروبا .

٢٩٣- الهداية في تخريج أحاديث نصب الراية لابن حجر .

٢٩٤- ينابيع المودة للقندوزي ط اسلامبول سنة ١٣٠٢ هـ و ط الحيدرية
بتقديمي .



فهرس الكتاب

سورة السجدة

- قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٦
- قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ ٨
- المراد من العذاب الأدنى والأكبر ٩
- المراد من الأرض الجزر ١٠

سورة الأحزاب

- أحكام الظهار ١٢
- دلالة الآية على أولوية النبي بالمؤمنين منهم بأنفسهم ١٣
- قوله تعالى: ﴿وَبَلَغْتَ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ ١٥
- جواز الاقتداء بجميع أفعال النبي ﷺ ١٧
- معنى النحب والصياصي ١٩ - ٢١
- المراد من الجاهلية الأولى ٢٢
- تفسير آية التطهير ٢٢
- دلالة الآية على فساد مذهب المجبرة في القضاء والقدر ٢٦
- قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ ٢٨
- تفسير آية: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ ٣٠

- معنى الارحاء فى الآفة الشرففة ٣٢
- علة عدم جواز تزوفج نساء النبىؑ من بعده ٣٤
- معنى الجلافس والارحاء ٣٦
- المراد من عرض الأمانة على السماوات والأرض ٣٧

سورة سبأ

- كلام حول الحمد لله تعالى ٣٩
- معنى العرم فى الآفة الشرففة ٤١
- معنى الاكل والائل ٤٢

سورة الملائكة (فاطر)

- قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ ٤٥
- معنى الاصطفاء ٤٧

سورة يس

- معنى المقمح فى الآفة الكرفمة ٤٩
- المراد من النفخ فى الصور ٥١
- دلالة الآفة على بطلان مذهب المجبرة فى الإرادة ٥٣
- قدرة الله تعالى على إعادة الموتى ٥٤

سورة الصافات

- المراد من الزاجرات زجراً ٥٥
- معنى الغول فى الآفة الشرففة ٥٧
- كلام حول قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ﴾ ٥٩

منتخب التبيان الجزء الثالث ٤٢١

- ٦٠ معنى النزل والزقوم
- ٦٢ معنى النجاة والكرب والشيعة
- ٦٣ معنى قول إبراهيم عليه السلام: «إِنِّي سَقِيمٌ»
- ٦٤ كلام حول الخبر النبوي (ما كذب أبي إبراهيم إلا ثلاث كذبات)
- ٦٦ قوله تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ»
- ٦٨ المراد من بلوغ إسماعيل مع أبيه في السعي
- ٧١ الاستدلال بالآية على جواز النسخ قبل وقت فعله
- ٧٢ الشبهة الواردة في الفداء والجواب عنها
- ٧٣-٧٢ معنى الفداء والبعل والابق
- ٧٤ قوله تعالى: «فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ»

سورة ص

- ٧٧ معنى الشقاق والمناص والجند
- ٧٩ معنى الخصم والتسور والمحراب
- ٨١ الحكم الذي صدر عن داود عليه السلام هل كان خطأ ؟
- ٨٣ قوله تعالى: «وَإِذْ كَرَّ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ»
- ٨٤ معنى الحميم والفساق والشكل
- ٨٦ المراد من اليوم الوقت المعلوم

سورة الزمر

- ٨٨ دلالة الآية على بطلان قول المجبرة في تعذيب أطفال الكفار
- ٨٩ المراد من الاضلال والهداية
- ٩١ دلالة الآية على جواز الغفران بدون التوبة

- ٩٢ الفرق بين النفس والروح
- ٩٤ معنى المقاليد
- ٩٦ قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾

سورة غافر

- ٩٩ المراد من القاء الروح
- ١٠١ المراد من يوم التناد
- ١٠٢ معنى التباب والسجر

سورة فصلت

- ١٠٥ قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾
- ١٠٦ المراد من تقدير الأوقات في أربعة أيام
- ١٠٨ المراد من الاستواء على العرش
- ١٠٩ معنى الوزع والنطق
- ١١٣ قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾
- ١١٣ وجه ذكر الظلام على وجه المبالغة مع أنه لا يفعل شيئاً

سورة الشورى

- ١١٥ معنى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾
- ١١٧ المراد من الحجة الداحضة
- ١١٩ الاستدلال بالآية على جواز التقاص
- ١٢٠ معنى كلام الله لعباده

سورة الزخرف

- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ ١٢٢
- إبطال مذهب المجبرة في ارادة الله القبيح ١٢٣
- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ ١٢٥
- مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ ١٢٧
- معنى الحبور والابلاس ١٢٨
- علة منع الولد لله تعالى ١٢٩

سورة الدخان

- معنى النعمة والويل والوراء ١٣٢

سورة الجاثية

- معنى الاجتراح ١٣٤

سورة الأحقاف

- معنى الایزاع ١٣٧
- أولو العزم من الرسل ١٣٨

سورة محمد

- حكم الأسير ١٤٠
- جواز تفسير ظاهر الآية بالخبر والسمع ١٤٣

سورة الفتح

- قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ١٤٥
- المراد من يد الله فوق أيديهم ١٤٧

الاستدلال بالآية على إمامة أبي بكر والجواب عنه ١٤٩

آية يعة الرضوان والكلام حولها ١٥٥

سورة الحجرات

المراد من رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ ١٥٩

الاستدلال بآية النبأ على حجية خبر الواحد والكلام حولها ١٦٠

معنى اللمز والنبز ١٦٤

المراد من الظن القبيح والمحمود ١٦٥

معنى المن والمرج ١٦٦

سورة ق

معنى الرزق والايكة والعي والوريد ١٦٨

قوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ١٧٠

معنى الازلاف ١٧٣

معنى المحيص واللغوب ١٧٣

سورة الذاريات

معنى المخرص في الآية الشريفة ١٧٧

معنى السائل والمحروم ١٨٠

المراد من نزول الرزق من السماء ١٨١

معنى العقيم والمسومة ١٨٣

سورة الطور

المراد من البيت المعمور ١٨٧

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ ١٨٨

منتخب التبيان الجزء الثالث ٤٢٥

الفرق بين الغنى بالشيء والغنى عنه ١٩٠

سورة النجم

المراد من النجم في الآية الشريفة ١٩١

العزى واللات ومناة ١٩٣

عدم غنى الظن عن العلم شيئاً ١٩٥

الفواحش والمراد من الذنوب الكبار والصغار واللمم ١٩٦

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ ١٩٨

معنى الإقتناء والإتفالك والسامد ٢٠٠

سورة القمر

المراد من السحر المستمر ٢٠١

معنى الفتنة والشرب والهشيم والحسبان ٢٠٣

سورة الرحمن

معنى الصلصال والمارج ٢٠٧

معنى البرزخ والمرجان ٢٠٧

تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ٢٠٩

معنى الشواظ والنحاس والدهان ٢١١

معنى السيماء والناصية ٢١٣

معنى الاستبرق والقاصر والنضج ٢١٤

معنى الررفرف والعبقري والهباء ٢١٦

سورة الواقعة

المراد من: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ ٢١٨

٤٢٦ الفهرس

٢٢٠ معنى الطلح والعرب والأترب والزقوم والمغرم

٢٢٢ معنى الاجاج والزند

٢٢٤ قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾

٢٢٥ معنى المدهن

سورة الحديد

٢٢٨ المراد من أنه تعالى هو الأول والآخر

٢٢٩ معنى أخذ الميثاق

٢٣٤ المراد من الجنة عرضها كعرض السماء والأرض

سورة المجادلة

٢٣٨ آية الظهار والكلام حولها

٢٤٠ كيفية كفارة الظهار

٢٤٢ نزول آية النجوى في المنافقين والكفار

٢٤٦ معنى استحواذ الشيطان عليهم

سورة الحشر

٢٤٨ الاستدلال بالآية على صحة القياس والجواب عنه

٢٥٠ آية الخمس والكلام حولها

٢٥٢ مستحقين الخمس والزكاة

٢٥٣ قوله تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾

٢٥٤ معنى القدوس والسلام والمهيمن

سورة الممتحنة

٢٥٦ كيفية امتحان النبي ﷺ النساء المؤمنات

منتخب التبيان الجزء الثالث ٤٢٧

دلالة الآية على عدم جواز العقد على الكافرة ٢٥٧

سورة الصف

معنى المرصوص في الآية الشريفة ٢٦١

معنى الزيف ٢٦١

سورة الجمعة

تفسير قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَخْمِلُ أَثْقَارًا﴾ ٢٦٥

لزوم صلاة الجمعة لجميع المكلفين ٢٦٦

سورة المنافقين

تفسير سورة المنافقين وشأن نزولها ٢٦٩

سورة التغابن

المراد من تسبيح ما في السماوات وما في الأرض ٢٧١

قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ٢٧٣

كل ما يأمر الله به فلا بد أن يكون مشروطاً بالاستطاعة ٢٧٥

سورة الطلاق

معنى الطلاق في الشرع وأحكامه ٢٧٨

أقسام عدة المرأة ٢٨٠

ما يجب على المرأة في العدة الرجعية ٢٨١

اشتراط الاشهاد في وقوع الطلاق ٢٨٣

عدة الحامل ٢٨٥

أحكام رضاع الولد ٢٨٧

سورة التحريم

- سبب نزول سورة التحريم ٢٨٩
 معنى تحلة اليمين والاسرار ٢٩١
 المراد من صالح المؤمنين ٢٩٣
 معنى القانتات والسايحات ٢٩٤

سورة الملك

- معنى الفطور والخاصء ٢٩٩

سورة النون

- معنى التحريك والعجلة والتمطي ٣٠٥

سورة الإنسان

- معنى الإنسان والحين ٣٠٧
 معنى الأمشاج والكأس ٣٠٨
 دلالة الآية على أنه تعالى قد هدى جميع المكلفين ٣٠٩
 معنى القمطرير والزنجيل ٣١٠
 معنى السندس والاستبرق ٣١٤

سورة المرسلات

- قوله تعالى: ﴿وَأَلْمُرْسَلَتِ عُرْفًا...﴾ ٣١٧

سورة النبأ

- قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ...﴾ ٣٢٢
 معنى الالفاف ٣٢٤

سورة النازعات

قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا...﴾ ٣٢٩

سورة عبس

شأن نزول سورة عبس ٣٣٣

سورة التكويد

المراد من الموءودة في الآية الشريفة ٣٣٨

معنى الخنس والجارية والكنس ٣٤١

سورة الانفطار

قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ...﴾ ٣٤٤

سورة المطففين

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ...﴾ ٣٤٨

معنى العليون والأرائك ٣٥١

المراد من التسنيم ٣٥٢

سورة الانشقاق

قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ...﴾ ٣٥٤

معنى الكدح ٣٥٥

معنى الوسق والطبق ٣٥٧

سورة البروج

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ...﴾ ٣٥٨

المراد من الشاهد والمشهود ٣٥٨

سورة الطارق

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ...﴾ ٣٦١

معنى الثاقب والثرائب ٣٦١

سورة الأعلى

قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى...﴾ ٣٦٣

معنى الغشاء ٣٦٣

المراد من النار الكبرى والصغرى ٣٦٤

سورة الغاشية

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ...﴾ ٣٦٦

معنى الغاشية والضريع ٣٦٦ - ٣٦٧

سورة الفجر

قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ * وَكَيْلِ عَشْرِ...﴾ ٣٦٩

معنى الفجر وأقسامه ٣٦٩

سورة البلد

قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ...﴾ ٣٧٤

المراد من النجدين ٣٧٥

سورة الشمس

قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا...﴾ ٣٧٨

منتخب التبيان الجزء الثالث ٤٣١

معنى الدمدم ٣٨٠

سورة الليل

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى...﴾ ٣٨١

سورة الضحى

قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى * وَلَيْلٌ إِذَا سَجَى...﴾ ٣٨٣

معنى السجى ٣٨٣

قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ ٣٨٤

سورة الانشراح

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ...﴾ ٣٨٦

المراد من وضع الوزر عن النبي ﷺ ٣٨٦

سورة التين

قوله تعالى: ﴿والتِّينِ وَالزَّيْتُونِ...﴾ ٣٨٨

معنى الطور ٣٨٨

سورة العلق

قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ...﴾ ٣٩٠

سورة القدر

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ...﴾ ٣٩٣

لم سميت ليلة القدر ؟ ٣٩٣

سورة البيّنة

- قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...﴾ ٣٩٥
 بطلان قول من قال الكفار خلقوا كفاراً في بطون أمهاتهم ٣٩٦

سورة الزلزلة

- قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا...﴾ ٣٩٩
 الاستدلال بالآية على بطلان الاحباط ٣٩٩
 فهرس المصادر ٤٠١
 فهرس الكتاب ٤١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ